دراسات
في تاريخ أوربا في العصور الوسطى

تاريخ أوربا في العصور الوسطى



د. صلاح محمد ضبيع



دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى

دكتور / صلاح محمد ضبيع

كلية الآداب- سوهاج

جامعة جنوب الوادي

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب: دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى
اسم المؤلف : دكتور/ صلاح محمد ضبيع
تصميم الغلاف: شريف الغالي

الناشر
المكتب العربي للمعارف
٢٦ شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة
تليفون/ فاكس: ٢٦٤٢٣١١٠-٠١٢٨٣٣٢٢٢٧٣
بريد إلكتروني: Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى يناير ٢٠١٤

رقم الإيداع: ٢٠١٤/٢٥٤٧
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978-977-276-723-6

دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى

العلاقات السياسية

بين الروم والفرس

منذ سنة ٢٢٦ وحتى ٣٠٥م

كانت بلاد فارس تنقسم إلى ثماني عشرة ولاية، وكانت كل ولاية تسمى مملكة، وكان حكام هذه الممالك يدعون ملوكًا، ومن هذا المنطلق لم يكن لقب ملك قاصرًا على حكام البيت المالك في فارس. ومن أهم تلك الإمارات إمارة مدينة أصطخر- عاصمة ملوك فارس قديمًا- التي كانت آنذاك في يد جوتجهر Gotchihr. وقد عين جوتجهر ساسان سادنًا لبيت نار آناهيد في أصطخر. ولقد خلفه ابنه بابك في هذه الوظيفة(١)؛ أما بابك فمن ناحيته فقد قام بتنصيب ابنه أردشير، أو أرتاكزرخيس Artaxerxes حاكمًا عسكريًا على مدينة دارا بجرد. وابتداءً من عام ٢١٢م أصبح أردشير سيدًا على الكثير من مدن هذا الإقليم، وذلك بغلبته أو قتله لحكامه، هذا في الوقت الذي تمكن فيه بابك من قتل الملك جوتجهر بمدينة البيضاء(٢)، وتولى مكانه(٣).

ويبدو أن أردشير قد تطلع، آنذاك، لارتقاء عرش فارس. أما بابك فمن ناحيته فقد كتب إلى الملك أردوان الخامس (٢١٣- ٢٢٤م)، ملك بارثيا الأشكاني يتضرع إليه ويستأذنه في تتويج ابنه سابور بتاج جوتجهر، ولكن إجابة الملك جاءت مخيبة للآمال، حيث أعتبر بابك وابنه أردشير ثائران. وعلى كل مات بابك بعد ذلك بقليل، فارتقى ابنه الأكبر سابور عرش مدينة أصطخر. فاشتعلت الحرب بينه وبين أخيه أردشير، والتي انتهت بارتقاء الأخير عرش المدينة. وراح أردشير بعد ذلك يستولي على المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى(٤) وفي النهاية شبت الحرب بينه وبين أردوان، الذي أمر أبرسام ملك

---

(1) آرشر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة عن الفرنسية يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام (بيروت، د.ت). ص٨، ٧٣، ٧٤.

(2) البيضاء: إحدى مدن إقليم أصطخر. وسميت البيضاء لأن بها قلعة بيضاء ترى من بعيد، واسمها بالفارسية نشانك. وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ. أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٤، الذخائر، العدد ١٣٣، (القاهرة: ٢٠٠٥)، ص ٣٤٦.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ١، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ص ٤٧٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ص ٢٢١؛ سعيد ابن بطريق: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت، ١٩٠٥م)، ص ١٠٦.

(4) الطبري: المصدر السابق، جـ١، ص ٤٧٧، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٢١- ٢٢٢.

الأهواز بقتاله. ولكن جهود أبرسام الحربية ضد أردشير باءت بالفشل، وانتهت بهزيمته والاستيلاء على ولايته، وبعض الولايات الفارسية الأخرى. وفي النهاية اشتبك أردشير مع الملك أردوان الخامس في معركة شرسة، في صحراء هرمزجان، انتهت بقتل أردوان بيد أردشير. وكانت النتيجة دخول أردشير طيسفون(٥) معتبرًا نفسه وريثًا للأسرة الأشكانية الحاكمة في بارثيا.

ثم ما لبث أن أخضع العديد من الولايات الفارسية لطاعته(٦). وفي سنة ٢٢٦م تم تتويج أردشير الأول شاهنشاه- ملك الملوك- وهكذا قامت الدولة الساسانية في بلاد فارس(٧). والتي كانت على قدم المساواة مع الإمبراطورية الرومانية.

وقبل المضي قدمًا في سرد وقائع الأحداث بين الفرس والرومان، فإنه لابد من الإشارة إلى أنه طالما كانت فارس محكومة بواسطة عائلة أرشاكيس Arsaclids البارثية لم تكن هناك خطورة كبيرة على روما في الشرق. وذلك

---

(5) طيسفون: مدينة كبيرة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، على مقربة من بغداد، وهي عاصمة الإمبراطورية الفارسية. أنظر:
Matthew Bunson: A dictionary of The Roman Empire, (New- York, 1991), p. 376, 386.
وطيسفون هي الاسم الفارسي للمدائن. أنظر: القلقشندي: المصدر السابق، جـ٤، ص ٩٢٣.

(6) الطبري: المصدر السابق، ص ٤٧٨- ٤٧٩؛ الكامل: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٢٢؛
Aelius Lampardius: The life of Severus Alexander, Tr. By David Magie, (Harvard University Press, 1924), Section of the Historia Augusta., Net., p .1; Cassius Dio: Roman History, Tr. By Earnest cary, (Har. Uni., Press, 1914), Book Lxxx, Net., p. I. Cf also, Richard N. Frye: The Heritage of Persia, (New York, 1970) pp. 235- 236.
ويذكر ريتشارد فرى أن انتصار أردشيره على أردوان الخامس ربما حدث في أبريل سنة ٢٢٤م. أنظر:
The Heritage of Persia, p. 236.

(7) Gibbon: Declline and Fall of the Roman Empire, Vol. I, Chapter VIII, Part I, Net, p. I; Warren Treadgold: A History of The Byzantine State and Society, (U.S.A., 1997), p. 7.
أسد رستم: الروم، جـ١، (القاهرة، ١٩٥٥م)، ص٤٤؛ حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣م)، ص ١٦.

لأن هذه العائلة كانت ضعيفة ومشغولة دائمًا في الحروب الأهلية الدائرة بين المطالبين بالعرش الفارسي، أو بين الملوك والمتمردين من القادة العسكريين التابعين لهم[٨].

صحيح أن المملكة البارثية كانت قادرة على شن الغارات على أراضي الإمبراطورية الرومانية في الشرق ولكن هذه الغارات لم تكن تمثل أدنى خطورة على الإمبراطورية[٩].

ولكن مع تغير الأسرة الحاكمة في فارس تغيرت العلاقات السياسية بين الفرس والرومان. لقد كانت الأسرة الساسانية أسرة قوية وتمتاز بالعنف، وكانت في وضع أقوى من روما، وأصبحت فارس، في عهدها، في موقف الهجوم بعد ما كانت في موقف الدفاع[١٠]. ولعل ذلك يعود إلى أن الدولة الساسانية قد توحدت سياسيًا، حيث أرغمت الأمراء والأشراف على الاعتراف بسيادتها والإخلاص لها، هذا من ناحية، كما أن الديانة المازدية التي تم اعتمادها دينًا رسميًا للدولة وفرت للروح الوطنية قوتها وكيانها ولذلك غدت المملكة قوية ومتماسكة، بل وسيطرت عليها الروح القومية، من ناحية أخرى[١١].

ومما هو جدير بالذكر أن الروح القومية التي سادت الدولة الساسانية انعكست على سياستها الخارجية. وهذا ما رأيناه في تطلع الملك أردشير إلى استرجاع جميع الأراضي التي كانت من قبل جزءًا من الإمبراطورية الفارسية القديمة، بما في ذلك مصر وآسيا الصغرى وسوريا، تلك الإمبراطورية التي

---

(8) Jones A.H: The Dicline of the Ancient world, (London, 1966), p. 12.

(9) موريس كروزية: تاريخ الحضارات العام، م٢، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٥٣٠.

(10) حسين الشيخ: الرومان، (الإسكندرية، ٢٠٠٠)، ص ٩٦.

(11) William G. Sinnigen and Arthur E. R. Boak: AHistory of Rome to A.D. 565, (U.S.A., 1977), p. 330; Robert S.Hoyt, Stanley Chodorow: Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1976), p. 22;
آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٨٤؛ موريس كروزية: المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٣٠– ٥٣١. وللمزيد من التفاصيل عن الديانة الماذدية. أنظر: أسد رستم: المرجع السابق، ص ٤٤–٤٥.

قضي عليها الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٠م(١٢). ويجمع المؤرخون على أن الملك أردشير كان يرى أن ينحدر من فرع ملوك الفرس القدامى، ومن ثم فإنه ينـوب عنهم، ولذلك فإنه من واجبه أن يعمل جاهـدًا لاسـتعادة إمبراطوريـة الملـك داريوس الأول، وكذلك إنقاذ الفرس من ظلم الرومان، الذين كانوا يمثلون العدو الأساسي لأردشير(١٣).

ويبدو أن طموحات الملك أردشير قد وصلت إلى روما ومن ثـم كـان هناك تأثير كبير على القوات الرومانية نفسها التي انخفضت روحها المعنويـة. وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين المعاصرين بقوله: "إن بعض القوات رفضـت خوض القتال ضد الفرس"(١٤).

ولأن الملك الفارسي أردشير الأول كان يستشـعر فـي نفسـه القـوة لاسترداد أراضي أجداده، إن لم يكن عن طريق السلم فعن طريق الحرب، فبادر على الفور بإرسال سفارة إلى الإمبراطور ألكسندر سـيفيروس (٢٢٢-٢٣٥م) Alexander Severus، والتي ربما تعد أكبر سفارة في التـاريخ، وذلـك لأن تعدادها بلغ حوالي أربعمائة فارس من أقوى وأعظم الفرسان الفرس، الذين عن طريق خيولهم العظيمة وأسلحتهم اللامعة ولباسهم الفـاخر، أظهـروا كبريـاء وعظمة ملكهم وقوة بأسه وجبروته. ولقد ظهر كبرياء أردشير في الرسالة التي

---

(12) الكامل: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٢١؛
Gassius Dio: Roman History Book Lxxx, Net, p. 1; Roger Collins: Early Meclleval Europe 300-1000, (U.S.A, 1999), p.1; Herbert W. Benario: Alexander Severious, (222-235), (Emory Uni., 15 June 2001) Net, p.6; Marcel le Glay et Other: A History of Rome, Tr. By Antonia Nevill and other, (United Kingdom, 2005), p. 415.

(13) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, pp. 1-4 Net; Previte Orton C.W.: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. I, (Cam., 1953), p. 34; Jones: op.cit., p. 12;
آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص١٩٦؛ موريس كروزيه: المرجع السابق، جـ٢، ص٥٣٠؛ أسد رستم: الروم، جـ١، ص ٤٦.

(14) Cassius Dio: op.cit., Book Lxxx, Net, p. I.

سلمتها السفارة إلى الإمبراطور. والتي كانت عبارة عـن أمـر للإمبراطـور بالانسحاب فورًا من جميع أقاليم أجداده، وأن يسلم الرومان للفرس إمبراطوريـة آسيا حتى البسفور، وأن يكتفوا بأملاكهم في أوروبا، حيث أنها لا يوجد عليهـا نزاع(١٥).

وتعليقًا على هذه السفارة يذكر إدوارد جيبون(١٦)، أنها لم تكن تعـرض التفاوض بقدر ما كانت إعلانًا للحرب. أما بخصوص إجابة ألكسندر سـيفيروس على سفارة أردشير فلم تذكر المصادر التاريخية المعاصرة أو غير المعاصرة أو حتى المؤلفات الحديثة التي اعتمد عليهـا الباحـث شـيئًا عنهـا. وبـديهي أن الإمبراطور كان سيرفض هذا المر.

وعن اسـتعدادات أردشـير لقتـال الفـرس ذكـر المـؤرخ أليـوس لامبارديوس(١٧) Aelius lampardius، في كتابـه عـن حيـاة الإمبراطـور الإسكندر سيفيروس، أن الإسكندر نفسه في خطابه الذي ألقاه على مجلس السناتو

---

(15) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part 2, p. 4 Net.

ينفرد جلانفيل بالإشارة إلى أن الإمبراطور ألكسندر سيفيروس أرسل في سنة ٢٣١م عندما كان في أنطاكية سفارة إلى الملك أردشير لبحث إمكانية السلام ولكن الملك رفض وطالب الإمبراطور بالرحيل عن سوريا وآسيا الصغرى. أنظر:

Glanville Downew: A History of Antioch in Syria from Seleucus to Arab Conquest, (Princeton University, 1961) p. 251.

(16) Decline and Fall of the Roman Empire, vol. I, p. 4.

بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، م٣، (بيروت، لبنان، د.ت)، ص ٣٠.

(17) The life of Alexander Severus, 1 VI, Net.

في حين يذكر بعض أحد المؤرخين المحدثين أن تعداد الفيلة كان حوالي ستمائة فيل، كما أشار إلى أن عربات النقل كانت مسلحة بالمناجل الكبيرة، وأن تعداد الفرسان بلغ حوالي مائة وعشرون ألفا. انظر،

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII., Part 2, p. 4 Net.

في مدينة روما بعد عودته من قتال الفرس ذكر أن تعداد الفيلة كان حوالي سبعمائة فيل، "مزودة بالأبراج الصغيرة ورماة السهام، وكميات كبيرة من النبال". كما كان هناك ألف وثمانمائة عربة نقل، ومائة واثنتى عشرة ألفًا من الفرسان.

وعلى أية حال، فشلت آنذاك قوات أردشير في الاستيلاء على قلعة هاترا Hatra[١٨]، حيث كان ينوي اتخاذها قاعدة لمهاجمة الأراضي الرومانية، كما أن محاولته غزو أرمينيا[١٩] باءت أيضًا بالفشل، بسبب استماتة أهلها في الدفاع عنها[٢٠]. وفي سنة ٢٣٠-٢٣١م عبرت القوات الفارسية نهر دجلة واجتاحت بقيادة أردشير بلاد ما بين النهرين ولكنها لم تحقق تقدمًا كبيرًا ضد الرومان، الذين بدأوا يدركون خطورة الموقف. وفشلت جميع محاولات التفاوض للوصل إلى حل سلمي بين الجانبين، ولذلك كان ألكسندر سيفيروس مجبرًا على خوض القتال ضد الفرس[٢١]، علمًا أن الإمبراطورية الرومانية لم تغامر أبدًا، خلال القرنين الأولين من تاريخها، بالدخول في عدة حروب كبرى في آن واحد، لا سيما وأنها كانت على علم بعدم قدرتها على القيام بهذا العمل. ولكنها الآن

---

(18) هاترا: قلعة حصينة تقع في صحراء بلاد ما بين النهرين غرب الفرات وتوجد اليوم في شمال العراق، تقريبًا على مسافة خمسة وخمسين ميلاً جنوب مدينة الموصل. أنظر:
Matthew Bunson: op.cit., p. 189; Michael L. Meckler: (Gordian III, (238-344 A.D.), (Ohio State Uni., 2001), (New- York) p. 3.

(19) أرمينيا: كانت أرمينيا مقسمة جغرافيا بواسطة نهر الفرات إلى قسمين، أرمينيا الصغرى وأرمينيا الكبرى. تقع أرمينيا الصغرى على الضفة الغربية لنهر الفرات بين بونتوس وكبادوكيا، أما أرمينيا الكبرى فتقع شرق هذا النهر بطول مساحة كبيرة من الحد الفارسي. أنظر:
Matthew Bunson: op.cit., p. 29.

(20) Cassius Dio: op.cit., Book LXXX, p. I Net. Cf also, William Sinnigen: op.cit., p. 330; Matthew Bunson: op.cit., p. 189.

(21) Aelius lampardius: op.cit., LV. Net. Cf also, William G.Sinnigen.cit., p. 330;
موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، جـ٢، ص ٥٣١، سيد أحمد على الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، (القاهرة ١٩٧٨م)، ص ٣٣٨.

أصبحت مرغمة على ذلك[٢٢]. وخصوصًا أن الوضع في بلاد ما بين النهرين أصبح ينذر بالخطر، وبدأ الشعب الروماني يشعر بالخوف[٢٣]. وفي سنة ٢٣١م تقدم الإمبراطور ألكسندر سيفيروس إلى مدينة أنطاكية على رأس قوات ضخمة وفي صحبة والدته وقادته. ومما لاشك فيه أن وجوده بين قواته رفع من روحها المعنوية بدرجة كبيرة[٢٤].

والجدير بالذكر، أنه عندما ارتكب بعض الجنود الرومان في مدينة أنطاكية بعض الأعمال الفاضحة كقضاء وقت فراغهم في حمامات النساء وغير ذلك من الأعمال التي لا تليق بالأخلاق العسكرية، أمر الإمبراطور باعتقال كل الذي فعلوا ذلك وتقييدهم بالسلاسل، الأمر الذي أدى إلى حدوث تمرد في المعسكر الروماني. وعند ذلك خاطبهم ألكسندر موضحًا أن الأعمال الغير أخلاقية التي ارتكبها بعض الجنود لا تسئ لهم فقط بل للجميع، "إن نظام أجدادنا ما يزال يحكم الدولة، وإذا ضعف هذا النظام فإننا سنفقد كلاهما اسم الإمبراطور والإمبراطورية". ولكن هتافات الجنود تعالت ضده، فتحدث مرة ثانية موضحًا لهم أن تلك الهتافات يجب أن تكون ضد الفرس في ساحات القتال" ولكن ليست ضد إمبراطوركم..... الذي يعطيكم رواتبكم" وعندما وجد الرجل أن الهتافات ضده ما تزال عالية، بل وتم رفع السلاح في وجهه، طالبهم بإنزال هذه الأسلحة، التي يجب أن ترفع فقط ضد الفرس، العدو الأساسي للرومان. وعندما لم تنخفض الهتافات صاح فيهم بأعلى صوته: "أيها المواطنون ضعوا أسلحتهم، وغادروا فورًا". ففعلوا ما أراد، ولكنهم لم يضعوا الأسلحة فقط بل والملابس العسكرية، ولم يعودوا إلى المعسكر بل إلى البلاد التي جاءوا منها، إلا أن الإمبراطور تمكن من إعادتهم مرة ثانية إلى الصفوف قواته[٢٥]. وبطبيعة الحال،

(22) موريس كروزيه: المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٣٠.

(23) Cassius Dio: Roman History: Book Lxxx, p. Net.

(24) Aelius Lampardius: op.cit., p.2 Net. Cf also, Hebert W. Benario op.cit., p. 6 Net; Glanville Downey: op.cit., p. 251.

ويذكر جلانفيل أن الإمبراطور ألكسندر سيفيروس جمع قواته أثناء تقدمه لأنطاكية.

(25) للمزيد من التفاصيل عن التمرد الذي حدث في المعسكر الروماني وموقف الإمبراطور ألكسندر سيفيروس منه. أنظر،

كما يرى الباحث، أن هذا التمرد قد أعاق الإمبراطور ألكسندر عن التوجه لقتال الفرس في عام ٢٣١م. ويوضح في الوقت ذاته مدى قوة الإمبراطور وصلابته.

وعلى كل تجمع بعض المصـــادر المعاصـــرة والمراجـــع الحديثـــة أن الرومان سعوا إلى غزو الأراضي الفارسية بثلاثة جيوش منفصلة مـــن ثلاثـــة جهات. ولكن الجيش الأول الذي تقدم صوب مصب نهري دجلة والفرات تمـــت محاصرته من قبل الفرس وأبيد عن آخره، أما الثاني الذي تقدم من جهة الشمال عبر الصحارى الأرمينية فقد أحرز بعض الانتصارات على القـــوات الفارســـية التي كان يقودها أردشير نفسه، الملك الفارسي، أما الجيش الثالث الـــذي كـــان يقوده الإمبراطور ألكسندر سيفيروس والذي كان مقدرًا له أن يقوم بالهجوم على وسط المملكة الفارسة لم يقم بالمطلوب منه؛ وذلك لأن الإمبراطور قفل به عائدًا لأنطاكية، وربما كان ذلك بنصيحة من والدته أو الخوف الذي سيطر عليه. المهم هو أنه أثناء عودة فرقة الإمبراطور اشتبك معها أردشير في قتال طاحن مـــات فيه الآلاف من قواته(٢٦).

ولكن المؤرخ أليوس لامبارديوس(٢٧) وصـــف القتـــال بـــين الفـــرس والرومان برواية أخرى، حيث ذكر أن الإمبراطور نفسه تـــولى قيـــادة أجنحـــة قواته، مشجعًا إياها على القتال، ومعرضًا نفسه للكثير من الســـهام، بـــل وقتـــل العديد من الجنود الفرس بسيفه حتى أجبر في النهاية "الملك العظيم على الهروب إلى بلاده"، ثم عاد ألكسندر إلى مدينة أنطاكية. والباحث من جانبه لا يميل لهـــذه الرواية، لأن لابمارديوس يكتب سيرة ذاتية للإمبراطور ألكسندر ومن ثم كـــان لابد أن يظهره بمظهر البطل أمام الفرس هذا من ناحية، كما أن إدوارد جيبـــون لا يميل لهذه الرواية، بل ويعتبر أن الهدف منها هو إخفاء الفضـــيحة الحقيقيـــة

---

(26) Aelius Lampardius: op.cit., p.2. Cf also, Glancille D.: op.cit., p. 22. Gibbom: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, p.5 Net; William G. Sinnigen: op.cit., pp. 330-331;
سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص٣٣٨. ويذكر بعض المؤرخين أن السبب في عودة ألكسندر سيفيروس لأنطاكية أنه كان قد مرض عام ٢٣٢/٢٣٣. أنظر:
Glanville D.: op.cit., p. 252.

(27) The L:ife of Alexander, p.2 Net.

للإمبراطور وقواته من ناحية ثانية[28]، ومن ناحية ثالثة لم تشر إليها المراجع الحديثة.

ومهما يكن من أمر فإن نتيجة هذه المواجهة بين الفرس والرومان نتج عنها عودة بلاد ما بين النهرين ولاية رومانية مرة أخرى[29]. وبدلاً من طرد الرومان من قارة آسيا، وجد الملك الفارسي أردشير نفسه عاجزًا عن الاستيلاء منهم على إقليم بلاد ما بين النهرين الصغير[30].

وفي مدينة أنطاكية سمح الإمبراطور الإسكندر سيفيروس لقواته وقواده بالاحتفاظ بالنهب الذي استولوا عليه من الفرس[31]. وهذا طبيعي كمكافأة لهم على قتالهم ضد الفرس.

وهنا لابد من الإشارة إلى حدوث مفاوضات بين الملك أردشير والإمبراطور ألكسندر سيفيروس حول إطلاق سراح الأسري الفرس، ولقد تم ذلك بعد دفع الفدية، وهذه الفدية إما أن يكون الإمبراطور قد أعطاها إلى أولئك الذين كانوا يمتلكون الأسري، أو أودعها الخزانة العامة[32].

هذا ويذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور ألكسندر سيفيروس راح، في مدينة أنطاكية، يستعد لحملة ثانية، ولكنه علم أن الفرس لن يخوضوا حربًا أخرى بسبب الخسائر الفادحة التي منوا بها في الأرواح، وهذا بطبيعية الحال لم يكن متوقعًا. وفي ذلك الوقت، تلقى الإمبراطور تقارير تفيد أن الجرمان عبروا نهر الراين والدانوب وهددوا ألليريكوم Illyricum والأراضي الإيطالية

---

(28) Decline and Fall of The Roman Empire, Vol. I Chapter VIII, Part2, p. 4.

(29) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, p.4; William G. Sinnigen: op.cit., p. 331.

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(30) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, p. 5.

بطرس البستاني: المرجع السابق، م٣، ص٣٠.

(31) Aelius Lampardius: op.cit., p.2.

(32) Loc-cit.

المجاورة لها. وعند سماع هذه الأخبار غادر الإمبراطور أنطاكية إلى مدينة روما في صيف ٢٣٣م، وهناك راح يحتفل بنصره على الفرس(٣٣).

ففي السابع من أكتوبر عام ٢٣٣م اجتمع ألكسندر مع مجلس السناتو، فأوضح له أن الرومان قد حققوا نصرًا مدويًا على الفرس. وتحدث أيضًا عن استعدادات الملك أردشير وعن الأضرار التي لحقت به في هذه المعركة. ومن جملة ما قاله: "... لقد أسرنا العديد من الفرس وبعناهم ليكونوا أقنانًا، وتمكنا من إعادة فتح الأراضي الواقعة بين الأنهار، أعنى– بلاد ما بين النهرين– التي استولى عليها الوحش القذر أرتاكزرخيس Artaxerxes (يعني أردشير)..". وطردناه من ساحة المعركة... لقد عاد جنودنا أغنياء بسبب نصرهم..". ثم طالب أعضاء المجلس بتقديم الشكر رسميًا للآلهة على هذا النصر، الذي ربما لن يتكرر مرة أخرى، ومن لم يفعل سيكون ناكرًا للجميل. وعند ذلك تعالت هتافات المجلس لتحية الإمبراطور ألكسندر سيفيروس والجنود الرومان، الذين رفعوا اسم روما عاليًا(٣٤).

ولم يقتصر لقاء الإمبراطور ألكسندر على مجلس السناتو فقط، بل ذهب إلى الكابيتول Capitolium وبعد تقديم الأضاحي خاطب الحاضرون من الشعب موضحًا لهم أن القوات الرومانية قد قهرت الفرس، "لقد عدنا بالقوات محملة بالغنائم. إننا نعدكم بالمزيد، وغدًا سنقدم الألعاب في السيرك في الاحتفال بنصرنا على الفرس"(٣٥).

وعلى كل، في سنة ٢٣٤م غادر الإمبراطور ألكسندر سيفيروس ووالدته مدينة روما إلى حد نهر الراين. ولكن عندما فكر في شراء السلام من

---

(33) Glanville D.: op.cit., p. 252; Herbert W: op.cit., p. 6.
يقلل بعض المؤرخين من قيمة الانتصار الذي حققه الإمبراطور ألكسندر على الفرس. أنظر:
Jacob Burckhardt: The Age of Constantine The Great, (New York, 1949) p. 26.

(34) للمزيد من التفاصيل عن الخطاب الذي ألقاه الإمبراطور ألكسندر سيفيروس في مجلس الشيوخ. أنظر،
Aelius Lampardius: op.cit., p3.

(35) Loc-cit.

الجرمان حدث تمرد في معسكره بقيادة جايوس جوليسه فريوس ماكسيميانوس Gaius Jullies Verus Maximianus، أحد قادته، في بداية مارس سنة ٢٣٥م، انتهى بقتله ووالدته وتولية ماكسيميانوس إمبراطورًا (٢٣٥-٢٣٨م) [٣٦].

وفي غضون ذلك، وبالتحديد في سنة ٢٣٧م، وأصل الملك أردشير سياسته العدوانية ضد الإمبراطورية الرومانية فعبر نهر دجلة واستولى على نصيبين Nisibis، وكاري Carrhae[٣٧]. ولكنه فشل في الاستيلاء على مدينتي بالميرا ودورا أوروبوس[٣٨]. ويبدو أن هذه الأعمال العسكرية كانت آخر ما قام به ضد الرومان. وهنا لابد من القول إن الملك أردشير الأول لم يستطع أن يحقق طموحاته العسكرية المتمثلة في استرداد أراضي أجداده وهو السبب الذي من أجله أعلن الحرب على الرومان.

---

(36) Michael L. Meckler: Maximionus Thrax (235- 238 AD.), (Ohio State Uni., 26 August, 1997), Net p. 1; Herbert Benario: op.cit., p. 7 Glanville: op.cit., p. 252.

(37) Glanville: op.cit., p. 253; Michael Meckler: Gordian III (2380 244 A.D.) (ohio-St- Unit., 2001), Net, p. 3; William G.,: op.cit., p. 392.

حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٦- ونصيبين: مدينة استراتيجية هامة تقع في بلاد ما بين النهرين بين أعالي نهري دجلة والفرات. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 296.

أما كاري: فهي مدينة حوران وتقع في بلاد ما بين النهرين جنوب مدينة الرها. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., 74.

(38) حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٦- وبالميرا Palmyra: "مدينة أشجار النخيل" City of palma trees، تقع بين بلاد ما بين النهر وبلاد الشام في واحة الصحراء السورية. وطبقًا للأسطورة أن سليمان كان أول من بنى هذه المدينة، وأطلق عليها تادمر Tadmor، وترجمها اليونانيين عن الآرمية إلى بالميرا. لعبت دورًا كبيرًا في مجال التجارة بين الشرق والغرب. أنظر:

Mathew Bunson: op.cit., p. 310; Saunders: History of Medieval Islam, (London, 1965), p. 8.

أما دورا أوروبوس فهي مدينة تقع على نهر الفرات، وهناك احتمال أن المقدونيين هم الذين أسسوها. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 140.

أما على الجانب الروماني فتشير المصادر التاريخية القديمة والمراجع الحديثة إلى أن الثورة التي شبت في أفريقيا في بداية عام ٢٣٨م انتهت بالإطاحة بالإمبراطور ماكسيميانوس والمناداة بجورديان الثالث (٢٣٨- ٢٤٤م) Gordian III إمبراطورًا رومانيًا في نهاية أبريل من العام نفسه(٣٩).

وخلال عامي ٢٣٨ و ٢٣٩م لم تسجل لنا كتب التاريخ أي هجمات للفرس على الأراضي الرومانية، ويبدو أن ذلك يعود إلى المرض الذي ألم بالملك أردشير الأول. ولكن عجلة الحرب ما لبثت أن دارت مرة ثانية، وذلك لأن أردشير المريض قام بتنصيب ابنه سابور شريكًا معه في الحكم سنة ٢٤٠م. وعلى الفور تقدم سابور على رأس القوات واستولى على مدينة هاترا(٤٠). وعندما توفى الملك أردشير الأول سنة ٢٤١م، اعتلى ابنه سابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) Sapor I العرش الفارسي(٤١).

ولم تؤد وفاة أردشير إلى زوال الخطر الفارسي عن الجبهة الشرقية للرومان، وذلك لأن ابنه سابور الأول ورث خططه وطموحاته القائمة على استرداد سوريا وآسيا الصغرى منهم. ومن ثم فقد بدأ سياسة والده الاستعمارية فورًا، حيث تقدم على رأس قواته سنة ٢٤١م وأخضع أرمينيا، حليفة الرومان، لسيادته(٤٢).

---

(39) وللمزيد من التفاصيل. أنظر:
Eutropius: Abridgment of Roman History, Book IX, II, p.28. Cf also, Michael Meckler: Gordian III, pp. 1-2.

(40) Michael Meckler: Gordian III, p. 3.

(41) الطبري: المصدر السابق، جـ١، ص ٤٤٨١؛ آرثر كريستنس: المرجع السابق، ص ١٦٩. يذكر وليم ج أن سابور الأول أعتلى العرش الفارسي سنة ٢٤٠م. انظر:
History of Rome to A.D. 565, p. 392; Richard N. Frey: The History of Persia, p. 237.

(42) Rebe Grousset: Histoire De l' Armenie, (Paris, 1997), p. 114; 5 Net; Michael vol. I, Chapter VIII, Part 2, p.1, op.cit., Gibbon: Meckler: Gordian III, p.3

ويذكر جيبون[٤٣] هنا أن إخضاع أرمينيا بدون متاعب تـذكر أعطـى سابور الأول دفعة قوية وشعور بالعظمة فاستولى على مدينتي كاري ونصيبين.

وتقدم لنا المصادر العربية رواية الاستيلاء على مدينة نصيبين فتقـول: "إنه (أي سابور) حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة، ثم أتاه مـن ناحية خراسان ما احتاج إلى مشاهدته فسار إليها وأحكم أمرها، ثـم عـاد إلـى نصيبين فزعموا أن سورها تصدع وانفرجت منه فرجه دخل منها وقتل وسـبي وغنم"[٤٤]. ولو كان ذلك قد حدث بالفعل فلابد من القول إن الرومان تمكنوا من استرداد هاتين المدينتين بعدما استولى عليهما أردشير سنة ٢٣٧م. وسبب هـذا الارتباك بين المراجع الحديثة أن المصادر المعاصرة لم تشر إلى ذلك.

وعلى أية حال، اجتاحت القوات الفارسية سـوريا فـي ربيـع ٢٤٢م، وتعرضت مدينة أنطاكية آنذاك لتهديدات خطيرة[٤٥].

وبدأت روما تشعر بالخطر على أملاكها في الشرق، وبـدأ التخطـيط لهجوم روماني مضاد. وعلى وجه السرعة انتقلت القوات الرومانية من الغـرب إلى الشرق تحت قيادة الإمبراطور جورديان وقائد حرسه البريتـوري جـايوس فوريوس تيميسيثوس Gaius Furius Timesitheus. وفـي المعركـة التـي نشبت في Resaina اكتسحت القوات الرومانية الجيش الفارسـي، وتـم طـرد الفرس من سوريا، واسترداد مدينتي كاري ونصيبين وإنقـاذ مدينـة أنطاكيـة منهم[٤٦].

---

(43) Decline and Fall of The Roman Empire, vol. I, p. 1.

(44) الطبري: المصدر السابق، جـ١، ص ٤٨٣؛ ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٢٤؛ سعيد ابن البطريق: المصدر السابق، ص ١٠٨- ١١٠.

(45) Glanville: op.cit., p. 253; William G: op.cit., p. 392.

(46) Eutropius: Abridgment of Roman History, Book IX, II p. 28. Cf also, Meckler: Gordian III, p.4; William G.: op.cit., p. 392; Genl. G.: op.cit., p. 312.

ويذكر بعض المؤرخين أن معركة رسينة Resiana وقعت سنة ٢٤٣م. أنظر:
Marcel le Glay: History of Rome, p. 418.

وفي سنة ٢٤٣م لحق الإمبراطور جورديان الثالث بقواته في أعالي بلاد ما بين النهرين[٤٧]. ولكن من سوء حظه، أنه في الوقت الذي كان فيه تيميستيوس على وشك الاستيلاء على مدينة طيسفون لقى حتفه، بسبب مرض ألم به، ولم يجد جورديان بدًا من تعيين ماركوس يوليوس فيليبوس Marcos Julius Philipus بدلاً منه وشريكًا له في الحكم تحت اسم فيليب العربي[٤٨].

ولم تتوقف الحملة الرومانية ضد الفرس، حتى وصلت أسفل الفرات نهاية عام ٢٤٣م.

وفي مطلع ٢٤٤م تقابلت الجيوش الرومانية والفارسية قرب مدينة ميسيتثه Misiche (الفالوجة الحديثة في العراق، ٤٠ ميلاً غرب بغداد). ويومها حقق سابور نصرًا كبيرًا على الرومان، لدرجة أن الرجل أعاد تسمية مدينة ميسيتثه باسم بيروز – سابور Peroz – Shapur، والتي تعني سابور المنتصر[٤٩]. ولقد خلد سابور نصره هذا على نقش وجد بصخرة عند روستان Rustan بالقرب من بوسبوليس بوسط فارس بقوله: "إنه في البداية سار الإمبراطور جورديان الثالث في اتجاه بابيلونيا[٥٠] على إيران وعلينا وعلى

---

(47) Michael Meckler: op.cit., p. 4.

ويذكر جينل ج أن الإمبراطور جورديان رافق صهره تيميسيثوس أثناء مقدمة إلى الشرق، ولكنه لم يذكر العام الذي توجه فيه. أنظر: East and West Through Fifteen Centuries, p. 312.

(48) Michael Meckler: op.cit., p. 4.

سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦١.

وللمزيد من التفاصيل عن فيليب العربي أنظر:

Sextus Aurelius Victor: Abbreviated from His Books, Tr. By Thomas M. Banchich, (N,Y.2002), p. 28. Cf also, Michael Meckler: Philip The Arab (244- 249 A.D.) , (Ohio State Uni., 2001), p.1-2; Jacob Birckhardt: op.cit., p. 29; Genl G.: op.cit., p. 313.

(49) Michael Meckler: Grodian III, p. 4.

(50) بابيلوينا: هي مدينة بابل القديمة بالعراق، وكان اسمها بالعبراني بابل، وباليونانية بابليون، وتقع مكانها اليوم بالعراق قرية الحلة. أنظر:

الحدود البابيلونية، وعند ميسيتشه دارت موقعة كبرى قتل فيها القيصر جورديان نفسه ودمرت القوة الرومانية"(٥١).

والجدير بالذكر، أن المصادر الرومانية لم تذكر هــذه المعركــة ولــو بإشارة(٥٢). وهذا طبيعي لأن المؤرخين الرومان عز عليهم الهزيمــة القاســية لإمبراطورهم وقواته.

أما بخصوص وفاة الإمبراطور جورديان الثالــث فتجمــع المصــادر والمراجع الموجودة تحت يد الباحث أنه قتل من جراء التمرد الذي قاده فيليــب العربي، أثناء ارتداد القوات الرومانية في أعالي الفــرات، ســنة ٢٤٤م، علــى مقربة من المكان الذي يسمى ذيثا Zaitha(٥٣). والباحث من ناحيته يميــل إلــى الآراء القائلة بضلوع فيليب العربي في اغتيال الإمبراطور جورديان الثالــث، لا سيما عندما نعلم أنه هو الذي خلفه على العرش الروماني.

ج.ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية، دراسة وترجمة وتعليق حاتم الطحاوي، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٢٢٩ (هامش١).

(51) حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٧؛ Michael Meckler: op.cit., p.4.

(52) Michael Meckler: op.cit., p.4.

(53) Eutropius: op.cit., Book IX, II p. 28; Sextus Aurelius victor: op.cit., p. 27; Michael Meckler: Philip The Arab, p. 2; Jacob Burckhardt: op.cit., p. 29; William G.: op.cit., p. 392; Richard Frey: op.cit., p. 241.

حسين الشيخ: الرومان، ص ٨٦. يذكر البعض من المؤرخين أن جورديان اغتيل في دورا- يوروبوس. أنظر: Marcel le Glay: op.cit., p. 418.

كما يذكر أحد المؤرخين أنه قتل في فبراير سنة ٢٤٤م. أنظر: Glanville: op. cit., p. 253.

ويذكر آخر أن ذلك كان ما بين ٢٧ فبراير أو ١٣ مارس من نفس العام. أنظر: حسن أحمد حسن الأبياري: دراسات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ٢٧٢.

وذيثا Zaitha: مدينة قديمة تقع على نهر الفرات بين نهر أبو رأس (الخابور) ودورا، وتعنى "شجرة الزيتون". أنظر: Stark: Rome on The Euphrates. (London, 1966), p. 348.

اعتلى فيليب العربي (٢٤٤- ٢٤٩م) Philip The Arabian عرش الإمبراطورية الرومانية بعد اغتيال الإمبراطور جورديان الثالث[٥٤]. وكان أول شيء قام بـه هو عقد السلام مع الملك سابور الأول سنة ٢٤٤م، والذي نص على الآتي:

أولاً: تخلي الملك سابور الأول عن أطماعه في ولاية ما بين النهـرين الرومانية وأرمينيا الصغرى.

ثانيًا: تنازل الرومان عن مصالحهم في أرمينيا الكبرى.

ثالثًا: دفع الرومان للملـك سـابور الأول غرامـة حربيـة مقـدارها ٥٠٠,٠٠٠ ألف دينار مقابل إطلاق سراح الأسرى الذي وقعوا في يد الفرس في المعارك التي دارت بين الجانبين[٥٥].

وإجابة على سؤال حول إذا ما كانت المعاهدة سالفة الذكر قـد حققـت بعض النتائج. يقول بعض المؤرخين إن هذه المعاهدة أوقفت التهديـد الفارسـي على الأراضي الرومانية في الشرق والذي كان قد بدأه الملـك أردشـير الأول، حتى ولو كان إلى حين[٥٦]. كما أنها لعبت دورًا كبيـرًا فـي إيقـاف الضـغط العسكري الفارسي على الجيوش الرومانية في الشرق[٥٧].

بل ومكنت الإمبراطور فيليب العربي نفسه مـن التقـدم إلـى مدينـة روما[٥٨]، في سنة ٢٤٨م[٥٩] وهكذا نجد، كمـا يقـول بعـض المـؤرخين، أن

---

(54) Eutropius: op.cit., Book IX, III, p. 28. Cf also, Richard Frye: op.cit., p. 241.

(55) Mickael Meckler: Philip The Arab, p.3; William G., :op.cit., p. 392; Glanville: op.cit., p. 253.

آرثر كريستنس: إيران في عهد الساسانيين، ص ٢٠٩؛ سيد أحمد الناصري: المرجع السابق. ص ٣٦٣؛ حسين الشيخ: المرجع السابق، ص ٨٦.

ويذكر ميخائيل مكلر أن الفدية ربما تكون جزية سنوية. أنظر: Philip The Arab, p. 3.

(56) Roger Collins: Early Medieval Europe 300-1000, (U.S.A., 1999), p. 3.

(57) Eutropius: op. cit., p. 28.

(58) Michael Meckler: op.cit., p. 3.

الحملات العسكرية الفارسية التي قادها الملك سابور الأول ضد الرومان كانت ناجحة فقط نجاحًا اسميًا، وذلك لأنه خلاف ضياع هاترا من الرومان، لم يتمكن الفرس من الاستيلاء على أية منطقة أخرى كنتيجة لحروبهم. ولم يقم سابور الأول بمضايقة الرومان في أعالي بلاد ما بين النهرين، تقريبًا، لحوالي ثماني سنوات قادمة[٦٠]. وهذا يعني أن معاهدة ٢٤٤م قد ضمنت السلام بين الجانب الفارسي والروماني حتى سنة ٢٥٢م، وأنهت الحملة الأولى التي قام بها الملك سابور الأول ضد الرومان.

وعلى أية حال، شرب الإمبراطور فيليب العربي من نفس الكأس الذي سقي منه قبل ذلك الإمبراطور جورديان الثالث. وذلك عندما هزم سنة ٢٤٩م، بالقرب من فيرونا، على يد جايوس دكيوس، أحد قادته، أثناء صراعهما على عرش الإمبراطورية، ويومها ذبح فيليب ونادت الجيوش بدكيوس إمبراطورًا، (٢٤٩- ٢٥١م) Decius[٦١] ولم يطل الأجل بدكيوس، حيث قتل في يونيه عام ٢٥١م أثناء صراعه مع القوط في منطقة الدانوب الأدنى. فنادت الجيوش على وجه السرعة بتريبونيانوس جاللوس (٢٥١- ٢٥٣م) Trebonianus Gallus إمبراطورًا[٦٢].

وبدأت نذر الحرب تلوح في سماء الشرق، بين الفرس والرومان. والحقيقة أن المصادر والمراجع الموجودة تحت يد الباحث لم تذكر شيئًا عن الأسباب التي أدت إلى فتح باب الحرب من جديد. وكانت أرمينيا الصغرى بؤرة النزاع. فقد اجتاحتها القوات الفارسية في سنة ٢٥٠م، وتم قتل حاكمها تيريدات

---

(59) Genl G.: op.cit., p. 313.

(60) Michael Meckler: Gordian III, p. 5.

(61) Sextus Aureleies Victor: op-cit., p. 28; Eutropius: op.cit., Book IX. III, p. 28. Cf also, Genl. G. F. young: East and West through Fifteen Centuries, p. 314.

(62) Scott Moore R.: Trebonianus Gallus (251-253 A.D.) and Gaius Vibus Volusianus (251-253 A.D.), (Indiane Uni., of Pennsylvania, update: I July 2002), p. 1.

Tiridat، التابع للرومان، وأجلس الملك سابور مكانــه حاكمًــا فارســيًا هــو Artavazd، سنة ٢٥٢م، وبذلك أصبح الطريق مفتوحًا لطرد الرومان من آسيا الصغرى وسوريا[٦٣].

وفي نفس العام، ٢٥٢م، تمكنت القوات الفارسية من الاستيلاء على بلاد ما بين النهرين[٦٤]. وفي عام ٢٥٣م حققت القوات الفارسية بقيادة الملك ســابور الأول نصرًا مدويًا على الرومان في موقعه بارباليسوس Barbalissos. وترتب على ذلك تدمير الخطوط الدفاعية الرومانية عند مدينة دورا- يوربوس، فــانفتح الطريق أمام القوات الفارسية، ودخل سابور الأول إلى سوريا وولاية كبادوكيا، في شمال سوريا، ثم استولى على مدينة أنطاكية دون مقاومة تذكر، وقتل الكثير من سكانها، وأسر أعداد غفيرة، وأباد مباني المدينة[٦٥]. كما اســتولى، يومهــا، على حوالي ست وثلاثين مدينة أخرى في سوريا وآسيا الصغرى[٦٦].

وينفرد المؤرخ زوسيموس[٦٧] بالإشارة إلى أن الملك سابور عاد إلــى بلاد فارس، بعد هذه الحملة الناجحة، محملاً بالنهب والسلب.

والحقيقة أن الهجمات الفارسية على المدن الرومانية لم تتوقــف، فقــد استولوا سنة ٢٥٤م على مدينة كاري[٦٨]. كما استولوا في ســنة ٢٥٦- ٢٥٧م

---

(63) Grousset: op.cit., p. 115; William G.,: op.cit., p. 392; pat southern and Karen R. Dixon: The Late Roman Army, (Cam., 1996), p. 22; Matthew Bunson: op.cit., p. 386,30.
سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(64) Zosimus: New History, Tr., by Green W. And Chaplin T., (London, 1814), Book I, p. 6.

(65) Loc-cit. Cf also, Scotte Moore: Trebonianus Gallus, p. 3; Richard Frye: op.cit., p. 241.
سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٥- ٣٦٦.

(66) سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٦؛ حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٧- ٩٨.

(67) New-History, p. 6.

(68) حسين الشيخ: المرجع السابق، ص ٩٧.

على مدينة دورا- يوروبوس، ولم يستردها الرومان مرة ثانية(٦٩). واستولوا في سنة ٢٥٦م على مدينة أنطاكية(٧٠).

وإزاء هذا الموقف السيئ في الشرق عقد الإمبراطور فاليريان (٢٥٣-٢٥٦م) Valerian العزم على القيام بنفسه للدفاع عن الأراضي الرومانية هناك(٧١).

ولكن متى توجه فاليريان إلى الشرق؟. تباينت آراء المؤرخين حول التاريخ الذي توجه فيه فاليريان إلى الشرق. فالبعض ذكر أنه ذهب إلى هناك في سنه ٢٥٦م(٧٢). في حين ذكر آخر أنه كان في سنة ٢٥٧م(٧٣). ورأى ثالث يقول إن ذلك كان في سنة ٢٥٨م(٧٤). أما الباحث فمن جانبه فيميل إلى الرأي القائل بأن فاليريان ذهب إلى الشرق في سنه ٢٥٧م، وذلك لأن هناك من المؤرخين من أشار إلى أن الإمبراطور نجح في سنة ٢٥٧م في تخليص مدينة أنطاكية من يد الفرس، على الأقل مؤقتا(٧٥). ويبدو أنه لم يمكث في هذه المدينة طويلاً حيث

---

(69) Glanville: op.cit., p. 255; pat southern: op.cit., p.22; Matthew Bunson: op.cit., p. 437.

يذكر بعض المؤرخين أن دورا تم الاستيلاء عليها سنة ٢٥٥م أنظر: حسين الشيخ: المرجع السابق، ص٩٨.

(70) Matthew Bunson: op.cit., p. 437;

حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٧.

(71) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 1-2.

(72) سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٧.

(73) Matthew Bunson: op.cit., p. 386.

(74) Genl G.: op.cit., 323.

(75) Richard G, Weiged: Valerian (A.D 253- 260) and Gallienus (A.D. 253- 268), (Western icentucky Uni., 3 August 1998), p.4; Genl G.: op.cit., p. 324.

يذكر بعض المؤرخين أن تعداد قوات الإمبراطور فاليريان بلغ حوالي ٧٠,٠٠٠ جندي. أنظر: حسين الشيخ: المرجع السابق، ص ٩٨.

غادرها إلى مدينة بيزنطة– على الساحل الغربي للبسفور– ثم عاد إلى مدينة أنطاكية ليتولى مهمة الدفاع عن الشرق ضد الفرس[٧٦].

وتقول الأحداث إن الإمبراطور فاليريان عبر في سنة ٢٥٩م الفرات، في مغامرة عسكرية غير محسوبة للدفاع عن مدينة الرها[٧٧] ضد القوات الفارسية التي كانت تتقدم نحوها. وفي المعركة التي نشبت بين الجانبين على مقربة من أسوار مدينة الرها، فشلت القوات الرومانية في اختراق صفوف القوات الفارسية، وسقط عدد كبير منها قتلى، وهزمت هزيمة نكراء[٧٨]. وأشار بعض المؤرخين إلى أن معركة الرها وقعت في نهاية ربيع سنة ٢٦٠م[٧٩]. ويلقي بعض المؤرخين باللائمة على ماكرينانوس Macrianu، الوالي البريتوري للإمبراطور فاليريان، وذلك لأنه هو الذي أوعز للإمبراطور بعبور الفرات، وطمأنه على قدرة القوات الرومانية في تحقيق النصر، فوثق الإمبراطور في ذلك. ومن ثم فإن هذه– في نظر المؤرخين، يعتبر خيانة عظمى[٨٠].

ولم يكتف الملك سابور الأول بالهزيمة الثقيلة التي أنزلها بالقوات الرومانية بل فرض عليها حصارًا شديدًا. وعلى الرغم من أن المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث لم تشر إلى مدة الحصار، فيبدو أنه قد طال، وذلك لأن المجاعة أطبقت على القوات الرومانية فمات منها الكثير، كما تفشى

---

(76) Zosimus: op.cit., Book I, p. 6.

(77) الرها Edessa: هي مدينة أورفا القديمة، تقع جنوب تركيا اليوم، على مسافة ٤٥ ميلاً أعالي شمال شرق الفرات وحوالي ١٦٠ ميلاً شمال شرق أنطاكية. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 143; عبد السلام محمد زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥– ١١٨٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠٠٤، ص ٦٤، (هامش٤).

(78) Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 32. Cf also, Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter: X, Part IV, p. 2; Richard N,: op.cit., p. 241.

(79) Matthew Bunson: op.cit., p. 437. سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٧.

(80) Genl. G.: op.cit., p. 324; Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 2.

أيضًا وباء الطاعون في تلك القوات. وعند ذلك حدث تمرد في المعسكر الروماني، وتعالت صيحات المتمردين متهمة الإمبراطور فاليريان بأنه هو السبب فيما تعرضوا له من نكبات، بل وطالبوه بالتسليم الفوري(٨١).

ويذكر المؤرخ زوسيموس(٨٢) أن الإمبراطور فاليريان لم يكن في وضع يمكنه من رفض مطالب الجنود، ولذلك فكر في إنهاء هذا الوضع المتأزم عن طريق شراء سلامته وسلامة قواته، فبعث بسفارة إلى الملك سابور عارضًا عليه مبلغًا كبيرًا من الذهب مقابل السماح للقوات الرومانية بعبور الفرات. ولكن سابور، الذي كان يدرك تمامًا أن ميزان القوة العسكرية في صالحه، رفض هذا العرض، وطالب أعضاء السفارة بأن يخبروا سيدهم بأنه لابد من اجتماعه مع الملك، وذلك "لمناقشة المسائل التي يرغب في ترتيبها".

وكمحاولة للضغط على الإمبراطور تقدم سابور على رأس قواته في تشكيل معركة تجاه المعسكر الروماني، متمسكًا بالمفاوضة شخصيًا مع الإمبراطور فاليريان(٨٣).

وعند ذلك وحتى ينفذ الأمير ما تبقى من قواته فقد وافق على مقابلة الملك سابور، مضحيًا بحياته وكرامته، ومفترضًا ثقة كبيرة فيه، ولكن المقابلة انتهت بما لم يكن في الحسبان، فقد ألقى سابور القبض على الإمبراطور، ولم يكن أمام القوات الرومانية، التي أصابتها الدهشة سوى تسليم أسلحتها(٨٤).

وعلى أية حال، تعد هذه الحادثة ضربة هائلة وفضيحة إلى هيبة الرومان، وانتصارًا كبيرًا للملك سابور الأول، الذي احتفل بذكرى عمله الباهر بنقشه على إحدى الصخور التي ما تزال تشاهد حتى اليوم في فارس(٨٥). وإذا

---

(81) Zosimus: op.cit., Book I, p. 7; Cf also; Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 2; Genl, G: op.cit., p. 324.

(82) New- Hisory, Book I, p. 7.

(83) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 2.

(84) Zosimus: op.cit., Book I, p. 7; Lactantius: De Mortibus Persecutorum, ed., and Tr., by J.L. Gread, (oxford, 1985), Chapter V net; Eutropius: Abridgment of Roman History, Book IX, VII, p. 29.

(85) Zosimus: op.cit., Book I, p. 7. Cf also, William G.,: op.cit., p. 392.

كانت المصادر التاريخية الموجودة تحت يد الباحث لم تحدد العام الذي أسر فيه الإمبراطور فاليريان فقد ذكرت المراجع أن ذلك وقع في يونيه سنة ٢٦٠م[٨٦].

ولقد كان لكارثة أسر الإمبراطور فاليريان دورًا كبيرًا في ضياع ولاية ما بين النهرين الرومانية، والتي لم تسترد إلا قبيل اعتلاء الإمبراطور دقلديانوس العرش الروماني بقليل[٨٧]. كما شهدت العسكرية الرومانية قمة انهيارها[٨٨]. ولاح في الأفق أن الفرس سوف يستردوا أملاك أجداهم القدماء في الشرق، وأن أماني أردشير الأول قد تتحقق.

ويقول بعض المؤرخين إن الانتصار الذي حققه الملك سابور الأول على الرومان سنة ٢٦٠م، وأسر الإمبراطور الروماني فاليريان من أظلم اللحظات التاريخية بالنسبة للإمبراطورية الرومانية[٨٩].

ووسط نشوة النصر، راح الملك سابور يملأ عرش الإمبراطورية الرومانية الشاغر بعميل له هو كيريادس Cyriades، أمير من مدينة أنطاكية، وهتفت القوات الرومانية، التي لا حول لها ولا قوة، لهذا الاختيار[٩٠].

(86) Genl. G.: op.cit., p. 324; Robert S.: op.cit., p. 22; Jacob Burckhardt: op.cit., p. 32; Roger Collins: op.cit., p. 5; The New Encyclopaedia Bretannica, Vol. X, (London, 1979), p. 337.
تشارلزورف: المرجع السابق، ص ١٨٥؛ موريس كروزيه: المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٣١، ٥٣٨؛ حسين الشيخ: الرومان، ص ٧٨؛ حسن الإبياري: المرجع السابق، ص ٢٧٨؛ آرثر كريستنس: المرجع السابق، ص ٥٣١.

(87) موريس كروزيه: المرجع السابق، ص ٥٣١.

(88) حسن الإبياري: المرجع السابق، ٢٧٨.

(89) Matthew Bunson: op.cit., p. 375.

(90) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 2;
آرثر كريستنس: المرجع السابق، ص ٢١٠.
وكيرياوس سليل إحدى الأسر النبيلة في أنطاكية، وعضوًا في الطبقة السيناتورية في المدينة، وطبقًا لإحدى التقارير، فإنه كان يعيش حياة خليعة ثم سرق كميات كبيرة من الذهب والفضة وهرب إلى فارس. وطبقًا لتقارير أخرى، كان عضوًا في مجلس السناتو لكنه طرد منه بسبب اختلاسه بعض الأموال، ولذلك هرب إلى الملك سابور، عارضًا عليه خيانة أنطاكية. أنظر:
Glanville: op.cit., p. 255.

وكرد للجميل قاد كيريادس القوات الفارسية مع سابور تجاه مدينة، أنطاكية، وكانت تحركات الخيالة الفرس سريعة جدًا لدرجة أن المدينة أخذت على غرة وأعملت القوات الفارسية النهب والسلب في مبانيها الحكومية والخاصة، وأبيدت أعداد غفيرة من السكان، كما تحول الكثير منهم إلى العبودية، حيث تم نقلهم إلى بلاد فارس(٩١). وهؤلاء كانوا ممن لديهم خبرات فنية(٩٢).

والحقيقة أن أسر الإمبراطور فاليريان ثم الاستيلاء على مدينة أنطاكية مرة أخرى بواسطة الفرس ترك سوريا وبقية الأراضي الرومانية في الشرق تحت رحمة فارس؛ لا سيما عندما نعلم أن جاللينوس (٢٥٣- ٢٦٨م) Gallienus، الذي اعتلى العرش الروماني بعد أسر والده، كان مشغولاً في الغرب، ولم يقم بأي عمل عسكري ضد الفرس في الشرق(٩٣).

وباستثناء مدينة حمص Emesa(٩٤)، التي تولى الدفاع عنها حاكمها، الذي ظهر في جلبابه الكهنوتي على رأس حشد من الفلاحين، لم تكن هناك آية مقاومة للملك سابور الأول(٩٥).

وفي الوقت الذي امتدت فيه يد الخراب والدمار في سوريا على يد الملك سابور كانت هناك قوات فارسية أخرى تفرض حصارًا شديدًا على مدينة قيصرية(٩٦)، عاصمة إقليم كبادوكيا Cappadocia(٩٧)، ولقد دافع عنها حاكمها ديموسين دفاعًا قويًا، ولم يكن ذلك بأمر من الإمبراطور جاللينوس، ولكن بقرار

---

(91) Glanville: op.cit., p. 256- 258; Genl.G.: op.cit., p. 324; Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter, X, Part IV, p. 2.

(92) Glanville: op.cit., p. 259, 261.

(93) Ibid., p. 262.

(94) حمص Emesa: إحدى مدن سوريا الواقعة على نهر أورنتس Orontes. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 146.

(95) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p.2.

(96) قيصرية Caesarea: مينا بحري كبير على ساحل البحر المتوسط في فلسطين، في منطقة ساماريا- جلاتيا Samaria- Galatia. كانت تسمى قديمًا مدينة ستراتونيس Stratonis، أو مدينة ستراتو Strato's. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 68.

(97) كبادوكيا Cappadocia: إقليم إستراتيجي هام يقع في شرق آسيا الصغرى، فصل الإمبراطونرية الرومانية عن الإمبراطورية الفارسية. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 71.

منه نفسه. وفي النهاية سقطت المدينة إثر تعرضها للخيانة، وأفلت ديموسين من الفرس، رغم محاولاتهم القبض عليه حاليًا، ودارت أعمال السلب والنهب والقتل في المدينة، كما نقل بعض سكانها وكنوزها إلى بلاد فارس(٩٨).

ونفذت القوات الفارسية عبر آسيا الصغرى حتى شواطئ البحر الأسود، وكان في إمكانها احتلال آسيا الصغرى كلها وتطهيرها من جيوب القوات الرومانية، لولا أن الفرس كان ينقصهم القيادة العسكرية ذات الأهداف الاستراتيجية المحددة، ولذلك كانوا لا يعرفون ماذا يريدون، ومن ثم فقد تحولوا إلى جماعات صغيرة متناثرة هدفها السلب والنهب والدمار، ومنعزلة كل عن أخرى(٩٩).

وعلى أية حال بدأ الرومان في ترتيب المقاومة، ولم يكن للإمبراطور جاللينوس أي دور في ذلك(١٠٠). حيث راح أحد القادة الرومان- والذي يدعى ماكريانوس Macrianus ومعه كاليستوس Callistus- قائد آخر، يجمعان فلول قوات الإمبراطور فاليريان المتفرقة في سوريا، سم حُملت على السفن ونزلت على سواحل كيليكيا، وفاجأت القوات الفارسية هناك، فقتلت منها أعداد غفيرة، وتم أسر عربه الملك سابور ومتاعه وبعض من حريمه. الأمر الذي دفعه إلى إخلاء آسيا الصغرى والتراجع ناحية الفرات(١٠١).

ويذكر المؤرخ زوسيموس(١٠٢)، أن الفرس لم يقدر لهم أن يهنأوا بالغنائم التي حملوها من الأراضي والمدن الرومانية، وذلك لأن الإمبراطور

---

(98) Gibbon: op.cit., vol.I, Chapter X, Part IV, p.2; William G.,: op.cit., p. 392; Richard N.: op.cit., p. 241.

(99) سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٩.

(100) William G., op. cit., p. 392.

(101) Jacob Burckhardt: The Age of Constantine, p. 33; Glanville: op.cit., p. 262.

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٢٦٩. ويذكر أحد المؤرخين أن ماكريانوس كان حاكمًا على أفريقيا، وأن المعركة بينه وبين الفرس وقعت بالقرب من كوزيكوس Cozycus. أنظر حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٨.

(102) New- History, p. 6, 7, 8.

وأنظر أيضًا: Eutropius: op.cit., Book IX, X, p. 29. Cf also, William G., op.cit., p. 393.

جاللينوس أصدر أوامره إلى حاكم بالميرا، أوديناتوس Odenathus، بإنقاذ الشعوب الشرقية من الملك سابور الأول وجنوده، وبناءً على ذلك، جمع أوديناتوس بقايا الجيش الروماني المشتتة في سوريا وضمها إلى قواته، وفي المعركة التي دارت بينه وبين سابور على ضفاف الفرات حقق نصرًا مدويًا على الفرس، واسترد بلاد ما بين النهرين، وحاصر مدينة طيسفون، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها.

وكانت نتائج حرب أوديناتوس مع سابور الأول بالغة الأهمية، وهي:

أولاً: أنقذت ممتلكات الإمبراطورية الرومانية في الشرق(١٠٣).

ثانيًا: قضت على آمال سابور الأول في استعادة أملاك أجداده القدماء، وأجبرته على اعتزال الحياة العسكرية، وأن يقضي ما تبقى من حياته في أعمال البناء والتعمير(١٠٤).

ثالثًا: حصول أوديناتوس، من قبل الإمبراطور جاللينوس، كاعتراف بالجميل، على لقب ملك، وقائد عام للقوات الرومانية في الشرق(١٠٥).

رابعًا: المحافظة على هيبة روما(١٠٦).

خامسًا: توقف التهديد الفارسي للإمبراطورية الرومانية، والذي بدأ منذ سنه ٢٢٦م، مع قيام الأسرة الساسانية في حكم فارس.

أما إذا تحولنا إلى الإمبراطور فاليريان الأسير فسنرى أنه قد تم حمله إلى فارس، وقضى خمس سنوات في ذل العبودية، في مدينة برسيبوليس Persepolis (جنديسابور) (١٠٧). لقد عوامل بمنتهى الوقاحة من قبل سابور

---

(103) Eutropius: op.cit., Book IX, XI, p. 29.

(104) سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٩.

(105) Eutropius: op.cit., p. 262; William G.,: op.cit., p. 394; Pat Tonthern: op.cit., p. 22.

موريس كروزيه: المرجع السابق، جـ٢، ص٥٣٢. يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور جاللينوس أنعم على أوديناثوس بلقب إمبراطور. أنظر: آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٣١٣؛ Glanville: op.cit., p. 263.

(106) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p.3

(107) Genl. G.: op.cit., p. 324; آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢١٠.

الأول الذي عرضه لتشاهده الجماهير وهو مكبل بالأغلال، في حلته الإمبراطورية، كما أن سابور استخدم الإمبراطور الروماني كركاب لحصانه، فعندما كان يرغب في امتطاء صهوة جواده كان يضع قدمه على رقبته، قائلاً مع ابتسامة تعبيير reproach، "إن هذه هي الحقيقة، التي يجب على الرومان أن يرسموها على لوح أو ينقشوها على الملاط"، كما أن سابور كان يجبر الإمبراطور على أن يحمله ليركبه عربته متى أراد(١٠٨). وفي نفس الوقت، وبأمر من سابور، ارتدى فاليريان لباس العبيد(١٠٩).

وبقي الملك سابور الأول سادرًا في غيه، عنيدًا لا يلين، على الرغم من اعتراضات أصدقائه، الذين نصحوه مرارًا أن يعامل الإمبراطور معامله حسنه، وعليه أن يتذكر تقلبات الزمن، وأن الرومان ربما يستعيدوا قوتهم، ولذلك عليه أن يجعل من أسيره الكبير رهينة للصلح والسلام، وليس هدفًا للإهانة والإساءة(١١٠).

وفي النهاية، وبعد خمس سنوات من الأسر والإذلال، مات الإمبراطور فاليريان سنة ٢٦٥م(١١١)، في مدينة جنديسابور(١١٢).

وكما يقول المؤرخ الروماني لاكتانتيوس Lactanysius(١١٣) تم سلخ الإمبراطور فاليريان، وحشي جلده بالتبن، وصبغ بالسليكون Vermilion، حتى أصبح على هيئة إنسان، ووضع في معبد إله الفرس؛ كتذكار للنصر وعلامة قوية على ما فعله سابور بالرومان. ويستطرد لاكتانتيوس موضحًا أن الهدف من

---

(108) Lactantius: op.cit., Chapter V Net; Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 32. Cf also, Genl. G.: op.cit., p. 32.

(109) Marcel Le Glay: op.cit., p. 420.

(110) Gibbon: op.cit., vol. I Chapter X , Part IV, p.3.

(111) Genl. G.: op.cit., p. 324.

يذكر بعض المؤرخين أن فاليريان مات سنة ٢٦٠م. أنظر:

Marcel Le Glay: op.cit., p. 420.

(112) آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢١٠.

(113) De Mertibus Persecutorum, Chapter N Net;

وأنظر أيضًا: Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 3; John B. Firth: Constantine The Great, (London, 1905), p.2.

الاحتفاظ بجلد الإمبراطور فاليريان أيضًا هو أن السفراء الرومان عندما يـــروه في المعبد الفارسي "فلن يضعوا ثقة كبيرة في قوتهم".

وعلى أية حال، ينفرد المؤرخ جينل ج (١١٤)، الذي روى قصـــة ســلخ الإمبراطور فاليريان وحشوه بالتبن أيضًا، بالإشارة إلى أن هـــذا الجلـــد كـــان موضوعًا في المعبد الرئيسي لمدينة برسيبوليس، وأنه حفظ لعدة أجيال.

والجدير بالذكر، أن المؤرخين المسيحيين يروا أن ما حدث للإمبراطور فاليريان على يد الملك سابور الأول إنما هو عقاب من الله على ما ارتكبه مـــن اضطهاد في حق المسيحيين، وأن هذا العقب يعتبر جديد في نوعـــه، وســـيكون درسًا على مر العصور المقبلة موضحًا "أن خصوم الســـماء يتلقـــون المكافـــأة العادلة على ظلمهم"، ولن يتجاسر أحد بعد ذلك على أن يقوم بأي اضطهاد ضد المسيحيين مثلما فعل فاليريان وإلا فسوف يتعرض لانتقام "الإله الواحد، الـــذي حكم وعضد كل الأشياء"(١١٥). والباحث من ناحيته لا يوافق على هـــذا الـــرأي، لأن الحروب يحدث فيها الكثير، كما أن ما تعرض له الإمبراطور فاليريان إنما تابع من الكراهية الشديدة التي يكنها الملك سابور للرومان، والهزائم التي لحقت بالفرس من قبلهم.

وإذا كان لاكتانتيوس يرى أن عدم سعي الإمبراطور جاللينوس للمطالبة بعودة والده فاليريان أو حتى قيادة الجيوش لتخليصه من الأســـر عقـــاب إلهـــي للإمبراطور فاليريان.

فالذي يجب إدراكه أن جاللينوس لم يكن يمتلك القوة التي تمكنـــه مـــن المجازفة بالقيام بعمل عسكري، غير محسوب العواقب، ضـــد الملـــك ســـابور الأول.

---

(114) East And West Through Fifteen Centuries, p. 324.

(115) Lactantius: De Mertibus Persecurtorum, Chapter V Net.

أما عن اضطهاد الإمبراطور فاليريان للمسيحيين، فتقول كتب التاريخ أن الرجل أرغمهم على تقديم الذبائح للآلهة، وتقديم شهادة تثبت القيام بذلك، وحدد أنواع العقوبات للمخالفين، فالموت لأعضاء الأكليروس والأشغال الشاقة للآخرين. أنظر:

Marcel Le Glay: op.cit., p. 419; Genl. G.: op.cit., 325-331.

موريس كروزيه: المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٣٨.

وتروي لنا المصادر الإسلامية رواية مختلفة تمامًا عن مصير الإمبراطور فاليريان فتقول إن الملك سابور حمل الريانوس وجماعة كثيرة وأسكنهم جنديسابور، "وأخذ لريانوس ببناء شاذراون تستر على أن يجعل عرضه ألف ذراع فبناه الرومي بقوم أشخصهم إليه من الروم، وحكم سابور في فكاكه بعد فراغه من الشاذراون، فقيل أنه أخذ منه أموالاً عظيمة وأطلقه بعد أن جدع أنفه، وقيل أنه قتله"(١١٦).

ويرى بعض المؤرخين أن السد الذي بني في تستر هو السد الذي يستخدم في أيامنا لتحويل مياه نهر قارون إلى المزارع التي تروي منه، ويعرف باسم "بند قيصر" أي سد الإمبراطور. ومما لا شك فيه أن هذا السد هو من صنع المهندسين الرومان، الذين وضعهم سابور الأول في جنديسابور(١١٧).

ولقد خلد الملك سابور الأول انتصاره على الإمبراطور فاليريان في آثار عده. ففي نقش كبير، يعرف بنقش رستم، يُرى سابور وهو يهب الحياة في عظمة، للإمبراطور فاليريان. وفي نقش ثاني على جوانب صخور مدينة سابور، يقف سابور في الوسط ممتطيًا جواده، وكريادس واقفًا على رجليه، وتحت حصان الملك صورة آدمى ملقى على الأرض، وأمامه فاليريان راكعًا. أما النقش الثالث فعبارة عن أربع صفوف، وفي وسط الصف الثالث تظهر صورة كل من الملك والإمبراطور. فالملك يمتطي جواده وقد جندل تحت أقدامه صورة آدمية،ه ووقف بجانبه كريادس، وكان الإمبراطور راكعًا وباسطًا ذراعيه(١١٨). إنه حقًا مشهد مخزي وعلامة على سقوط قوة وهيبة الرومان(١١٩). ونقطة تحول خطيرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي، والتي لعبت دورًا كبيرًا في سقوط هذه الإمبراطورية في النهاية، لا سيما عندما نعلم

---

(116) الطبري: المصدر السابق، جـ١، ص ٤٨٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١، ص٢٢٤.

(117) Richard N.: op.cit., p. 242; The Encyclopaedia Britannica, Vol. 23, (London, 1911), p. 804.
آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢١٥، ٢١٠.

(118) Marcel Le Glay: op.cit., p. 420- 421; Richard N.: op.cit., p. 2.
موريس كروزيه: المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٣١؛ آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٣١١- ٣١٢.

(119) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p.3 GlanvilleL: op.cit., p. 310.

أن نتيجة معركة الإمبراطور فاليريان مع سابور الأول ظهرت عام بعد عام في العديد من الأقاليم الرومانية، وكانت عبارة عن مجاعة عامة وطويلة(١٢٠).

وعلى أية حال، لم تكن هناك مواجهة بـين أي إمبراطـور رومـاني والفرس حتى وفاة الملك سابور الأول سنة ٢٧٠م(١٢١). ولكن المواجهة عـادت من جديد في عهد الإمبراطور أوبليان (٢٧٠- ٢٧٥م) Aurelian، الذي استغل الفوضى الداخلية التي نشبت في فارس بعد وفاة سابور، وتقدم على رأس قواته إلى الشرق، حيث تمكن من استرداد أعالي بلاد ما بين النهرين مـن الفـرس، وهاجم مدينة طيسفون ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، فاكتفي بذلك، إلا أنه اغتيل أثناء عودته إلى مدينة روما(١٢٢).

وعلـى كـل، اعتلـى تـاكيتوس (٢٧٥-٢٧٦م) Tacitus عـرش الإمبراطورية الرومانية في أعقاب اغتيال الإمبراطور أوريليان نوفمبر ٢٧٥م، ولكن الأجل لم يطل به فمات في أبريـل سـنة ٢٧٥م، فخلفـه علـى عـرش الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور بروبوس (٢٧٦- ٢٨٢م) Probus، والذي لم يكن أسعد حظًا من سابقيه من الأباطرة الرومان، ففي أغسطس سـنه ٢٨٢م انقض عليه الجيش فجأة وقتله فـي سـيرميوم Sirmium، واختـار كـاروس (٢٨٢- ٢٨٣م) Carus إمبراطورًا خلفًا له(١٢٣).

---

(120) Genl. G.: op.cit., p. 324- 325.

(121) Roger Collins: op.cit., p. 6.
آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢١٥.

(122) William G.: op. cit., 397; Jacob Burckhardt: op.cit., p. 38; Roger Collins: op.cit., p. 6-7.
يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور أوريليان غادر روما في بداية سنة ٢٧٥م إلى الشرق لمهاجمة الفرس. ولكنه اغتيل أثناء تقدمه على مقربة من مدينة بيزنطة بواسطة قادة جيشه. أنظر:
Genl: G.: op.cit., p. 337.

(123) Robin McMahon: Tacitus: (275-276 A.D.), (New- York Uni., updated: 2 Feb., 2000)., p. 1; Robin McMahon: Probus (276- 282 A.D.) (N-Y. Uni., update: 8 Ju., 1999) P.1; Genl. G.: op.cit., p. 339-342; Matthew Bunson: op.cit., p. 75.

وخلال الفترة من ٢٧٥ وحتى ٢٨٢م لم تكن هنـــاك أيــة مواجهـــات عسكرية بين الفرس والرومان.

وكان الإمبراطور كاروس يفكر في القيام بحملة عسكرية ضد الفــرس، إلا أنه كان يتحين الفرص المناسبة. ولذلك ما إن وصلته الأخبار بانشغال الفرس في منازعاتهم الداخلية على العرش الفارسي، ووجود قسمًا كبيرًا مـــن قـــواتهم على الحدود الهندية، حتى غادر روما في بداية شتاء سنة ٢٨٢م، وفي صـــحبته ابنة نوميريان Numerian، وعن طريق تراقيا وآسيا الصـــغرى وصـــل إلـــى الحدود الفارسية. وفي محاولة منه لبث الحماس في قواته، راح يبين لها الثـــروة الطائلة الموجودة لدى الفرس والنعيم الذي يعيشون فيه(١٢٤).

أما على الجانب الفارسي فإن باهرام الثاني (٢٧٦- ٢٩٣م) Baharam II (فاهرام الثاني Vahram II)، الملك الفارسي، لم يكن مستعدًا للـــدخول فـــي حرب مع الرومان؛ نظرًا للأوضاع الداخلية في فارس، ولذلك سعى لإيقاف هذه الحرب عن طريق شراء السلام من الرومان(١٢٥).

وتروي كتب التاريخ أن سفراء الملك باهرام الثاني اللذين وصلوا إلـــى المعسكر الروماني مع غروب الشمس طلبوا مقابلة الإمبراطور، ولكن المقابلـــة التي أسهب المؤرخون في ذكر تفاصيلها لم تنته لشيء، وذلك لإصرار كاروس، الإمبراطور الروماني، على اعتراف باهرام الثاني بسيادة روما، وإلا ســـيحول بلاد فارس إلى أشجار بلا أوراق مثل رأسه الصلعاء، وذلك عندما خلع الكـــاب عنها ليراها سفراء بأهرام، الأمر الذي أدى إصابتهم بالرعب وغادروا المعسكر الروماني على وجه السرعة(١٢٦).

وسيرميوم Sirmum: مدينة تقع على نهر الساف Save تمامًا جنوب نهر الدانوب وقرب بلجراد الحديثة، في منطقة بانونيا. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 390.

(124) Eutropius: op.cit., Book IX, XVIII, p. 30; Zosimus: op.cit., p. 14; CF also Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter, XII, Part2, p. 5-6; Genl, G.: op.cit., p. 343; Matthew Bunson: op.cit., p. 375.

(125) Gibbon: op.cit., vol. I, p. 6; Genl. G.: op.cit., p. 343.

(126) Genl.G.: op.cit., p. 343; Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XII, Part2, P. 6; Robin Mc: Probus, p. I; John firth: op.cit., p. 4

ولم تكن التهديدات التي أطلقها الإمبراطور كاروس عبثًا، فقد عبر الفرات على وجه السرعة، وضرب بلادمابين النهرين، وأباد القوات الفارسية التي تقابل معها، واستولى على مدينة سلوقيه(١٢٧) Seleucia، وعبر نهر دجلة وهاجم مدينة طيسفون، التي لاح في الأفق أنها سوف تسلم(١٢٨). وبسبب هذه الأعمال الناجحة ضد الفرس فقد حصل على لقب إمبراطور الفرس Parthicus Maximus(١٢٩).

ولكن القدر لم يمهله ليجني ثمار نجاحه. فقد مات بصاعقة برق، في معسكره على نهر دجلة، في ديسمبر سنة ٢٨٣م، على مقربة من مدينة طيسفون(١٣٠).

وعلى الفور نادت القوات بنوميريان (٢٨٤- ٢٨٥م) Numerian، بن كاروس، إمبراطورًا(١٣١).

وكان من المتوقع- بصفة عامة- أن يتبع الإمبراطور نوميريان خطى والده في حربه ضد الفرس، ولكن هذا لم يحدث، لأن القوات الرومانية، على الرغم من ضخامة عددها وتنظيمها تنظيمًا جديدًا، رفضت مواصلة القتال، بسبب الرعب الذي أصابها من جراء الطريقة التي مات بها كاروس، فقد اعتبرت أن ذلك سخط من السماء، وأن نهر دجلة حد مهلك للقوات الرومانية، كما تقول الأسطورة القديمة، ولذلك طالبت من الإمبراطور أن يطيع إرادة الرب، وأن

---

(127) سلوقية Seleucia: مدينة كبيرة وقديمة في بابيلونيا، تقع على نهر دجلة، قرب بغداد الحديثة، كانت عاصمة المنطقة كلها لعدة سنوات حتى ظهرت مدينة طيسفون، وعلى الرغم من انحطاطها سياسيًا على أيدي البارثيين، فإنها لم تفقد عظمتها وأهميتها التجارية. أنظر:
Matthew Bunson: op.cit., p. 380.

(128) Eutropius: op.cit., Book IX, XVII, p. 30; Zosimus: op.cit., Book I, p. 14; CF also John Firth: op.cit., p. 4; Grousset: op.cit., p. 115.

(129) Zosimus: op.cit., Book 1, p. 14.

(130) Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 38; Eutropius: op.cit., Book IX, XIX, p.31; CF also Genl. G.: op.cit., p. 343.

(131) Treadgold: op.cit., p. 13; Genl. G.: op.cit., p. 343.

يبتعد بهم عن مشهد الحرب المنحوسة، ولأنه لم يكن قادرًا على إخضاع عنادهم فقد تخلي عن الحرب مع الفرس وارتد ببطء إلى مدينة أنطاكية(١٣٢).

وعلى أية حال، تشير كتب التاريخ إلى أن صلحًا عقد في سنه ٢٨٣م بين الرومان والفرس، والذي عن طريقه تنازل الملك الفارسي بهرام الثاني للرومان عن أرمينيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين. والجدير بالذكر، أن الثورة التي قادها هورمزد، حاكم خرسان، ضدا الملك بهرام الثاني، هي التي دفعته لعقد هذا الصلح(١٣٣). وما يؤخذ على المؤرخين بخصوص هذا الصلح عدم إشارته إلى الشخص الذي عقد معه بهرام هذا الصلح، والذي يبدو أنه الإمبراطور نوميريان.

ويحكي التاريخ أنه أثناء تقدم الإمبراطور نوميريان إلى مدينة روما، وجد مقتولاً في خيمته، على مقربه من البوسفور، في سبتمبر سنه ٢٨٤م. وعلى الفور نادت الجيوش الرومانية بدقلديانوس (٢٨٤- ٣٠٥م) Diocletimn إمبراطورًا. وفي الحرب الأهلية التي نشب على العرش الروماني بين دقلديانوس وكارينوس (٢٨٤- ٢٨٥م) Carinus، الابن الثاني لكاروس، قتل الأخير في مؤيزيا Moesia، فاعتلى الأول العرش الروماني منفردًا، مارس ٢٨٥م(١٣٤). ليبدأ فصل جديد في تاريخ العلاقات السياسية والعسكرية بين الرومان والفرس.

بعد عامين من اعتلاء الإمبراطور دقلديانوس عرش الإمبراطورية الرومانية، وبالتحديد في سنة ٢٨٧م، تمكن عن طريق الاتفاق مع الملك الفارسي بهرام الثاني، من إعادة أرمينيا إلى النفوذ الروماني، عن طريق وضع مرشحه تيريداتس الثالث (٢٨٧- ٣١٨م) Tiridates III على عرشها(١٣٥). وبذلك

---

(132) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XII, Part 3, p.1, Genl. G.: op.cit., p. 344; Treadgold: op.cit., p. 13.

(133) آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢١٧؛ Matthew Bunson: op.cit., p. 438.

(134) Eutropius: Abridgement of Roman History, Book IX, XXX, p. 31; CF also Marcel G.: op. cit., p. 429; Genl. G.: op.cit., p. 344.

(135) Treadgold: op.cit., p. 15; John B.,: op.cit., p.6; Grousset: op.cit., 115; Matthew Bunson: op.cit., p. 421.

عادت الحماية الرومانية على أرمينيا(١٣٦). ووضعت الحرب أوزارها، ولو إلى حين، بين الفرس والرومان.

ولكن عندما اعتلى نارسس (٢٩٣- ٣٠٢م) Narses (Nerseh) العرش الفارسي، خيم جو الحرب على العلاقات بين الفرس والرومان مرة ثانية، وذلك لأنه استطاع أن يعيد قوة الإمبراطورية الفارسية سياسيًا وعسكريًا(١٣٧)، وعند ذلك بدأ في توجيه كل قوته ضد الرومان(١٣٨)، مقتديًا بجده سابور الأول، وأملاً أن يصبح سيدًا على الأقاليم الشرقية من الإمبراطورية الرومانية(١٣٩). فاستغل نارسس انشغال الإمبراطور دقلديانوس بالقضاء على الثورة الاجتماعية التي شبت في مصر، آنذاك، وهاجم أرمينيا سنة ٢٩٧م، حيث تمكن من طرد تيريداتس الثالث عن عرشها، ثم انسابت القوات الفارسية في بلاد ما بين النهرين(١٤٠).

ونظرًا إلى أن الإمبراطور دقلديانوس كان يرى أنه ليس من الكرامة أن تتخلى الإمبراطورية الرومانية عن قضية الملك الأرمني، الذي أحتمى بحماها بعد طرده سنة ٢٩٧م، فبعد القضاء على الثورة المصرية في مارس ٢٩٧م، أسرع إلى سوريا، واتخذ من أنطاكية مقرًا لإدارة دفة الحرب ضد الملك الفارسي نارسس(١٤١).

ولكن الإمبراطور دقلديانوس الذي كان قريبًا من مسرح العمليات العسكرية لم يغامر بتولي قيادة القوات الرومانية بنفسه ضد الفرس، بل استدعى القيصر جالليروس Gakerius، من على ضفاف الدانوب، ليتولى هذه المهمة(١٤٢).

---

(136) Gibbon: op.cit., vol., I, Chapter, XIII, Part 2, p.3.

(137) Matthew Bunson: op.cit., p. 200.

(138) Gibbon: op.cit., vol., I, Chapter, XIII, Part2, p.4.

(139) Lactantius: op.cit., Chapter IX, Net.

(140) Eutropius: op.cit., Book IX, XXIII, p. 31. CF also, William G.,: op.cit., p, 409; Marcel G.: op.cit., p. 433.

(141) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part 2, p.4; Genl. G.: op.cit., p. 348; William G.: op.cit., p. 409.

(142) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part2, p. 4; Marcel G.: op.cit., p. 433; Arther E.R.: op.cit., p. 345.

والسؤال الآن، لماذا لم يتول الإمبراطور دقلديانوس قيادة القوات الرومانية بنفسه ضد نارسس؟

يجيب على هذا السؤال المؤرخ لكتانتيوس(١٤٣) قائلاً إن انخفاض روح دقلديانوس المعنوية، وخوفه من قيام أي ثورات ضده، ومن أن يتعرض لنفس المصير الذي تعرض له الإمبراطور فاليريان من قبل هي التي دفعته إلى عدم مقابلة الملك الفارسي نارسس. والباحث من جانبه وإن كان له تحفظ على موضوع انخفاض الروحه المعنوية للإمبراطور دقلديانوس، فإنه يوافق لكتانتيوس على بقية ما قاله.

وعلى وجه السرعة تقابلت القوات الفارسية والرومانية في سهولة بلاد ما بين النهرين، على مقربة من كالينيكوم وكاري، وفي البداية كان القتال متوازناً بين القوتين، ولكن المعركة انتهت بهزيمة ثقيلة للرومان(١٤٤). وكانت النتيجة ضياع ولاية بلاد ما بين النهرين الرومانية(١٤٥). التي تنازل عنها الملك الفارسي بهرام الثاني للرومان سنة ٢٨٣م.

وعن الأسباب التي أدت إلى هزيمة جالليروس، قال بعض المؤرخين إن ذلك يعود لتهوره واندفاعه بعدد قليل من القوات لمهاجمة القوات الفارسية، التي كانت تتفوق عليه في العدد، هذا من ناحية(١٤٦)، ووقوعه في خطأ كبير، تمثل في اختياره لمسرح العمليات العسكرية. فالأرض التي خاض عليها المعركة كانت عبارة عن منطقة سهلية، مساحتها ستون ميلاً، خالية من التلال، الشجار وآبار المياه، ولذلك فإن الحرارة الشديدة والعطش أثرت على الروح المعنوية

---

(143) De Mortibus Persencutorum, Chapter IX Net.

(144) Theophanes Confessor: The Chronicle, Tr by Cyril Mango and Roger Scott, (London, 1997), p. 12. CF also, Arther E,: op,cit., p. 345; Genl G.: op.cit., p. 348; Gibbon: op.cit., vol. I, p.4; The Encyclopeadia Britannica, Vol. 19, (London, 1910) p. 241.

(145) سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٤٠٧.

(146) Eutropius: op.cit., Book IX, XXIV, p. 31. CF also, Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part2, p.4.

للقوات الرومانية، التي وجدت نفسها محاصرة من قبل القوات الفارسية، من ناحية ثانية(١٤٧).

وتجمع كتب التاريخ على أنه عند عودة القيصر جالليروس لأنطاكية، قابله الإمبراطور دقلديانوس مقابلة سيئة، لدرجة أنه أجبره على السير مسافة ميل أو أكثر أمام عربته سائرًا على أقدامه، ليراه أناس البلاط الملكي، كدليل على العار الذي لحق به(١٤٨).

ويبدو أن الإذلال الذي لحق بالقيصر جالليروس من قبل دقلديانوس جعله يصر على منازلة نارسس مرة ثانية، ولذلك لم يكن أمام دقلديانوس سوى الموافقة نظرًا لإلحاحات جالليروس المتكررة، ولاسترداد شرفه، وشرف الجيوش الرومانية. واستعد جالليروس هذه المرة استعدادًا جيدًا حيث قام باستبدال القوات الآسيوية التي خاضت المعركة الأولى ضد الفرس بقوات أخرى مدربة ولديها خبرة عالية في القتال، كما قام بتجنيد أعداد إضافية من ألليريا ومؤيزيا، وأحضر فرقة من القوط Gothic، حتى أصبح لديه ٢٥٠٠٠ جندي(١٤٩). وعلى رأس هذه القوات عبر الفرات، سنة ٢٩٨م، وبدلاً من التقدم خلال سهول بلاد ما بين النهرين المكشوفة، تقدم خلال جبال أرمينيا، وذلك لسببين(١٥٠)، الأول: الحصول على مساعدة السكان الأرمن، والثاني: أن الأرض سوف تكون مناسبة لأعمال القتال الخاصة بقواته من المشاة وسوف تكون صعبه لتحركات الفرسان الفرس. وفي هجوم ليلي، وسط حالة من الاسترخاء في المعسكر الفارسي، انقضت القوات الرومانية على الفرس، وهرب الملك الفارسي نارسس بعد مقاومة قليلة إلى صحاري ميديا(١٥١)، فتبعته قواته بعد ذبح أعداد كبيرة منها، وسط مطاردة مثيرة من قبل الجيش الروماني(١٥٢).

---

(147) Gibbon: op.cit., vol., I, Chapter, XIII. Part2. p.2; John B.,: op.cit., p. 7.

(148) The ophanes confesser: op.cit., p. 13; Eutropius: op.cit., Book IX, XXIV, p. 31.Cf also, John B., op.cit., p. 7; Genl G.: op.cit., p. 348.

(149) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

(150) Eutropius: op.cit., Book IX, XXV, p. 32. Cf also, Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

(151) ميديا: إحدى أقاليم فارس القديمة، بين نهري دجلة والفرات غربًا وبحر كاسبيان إلى الشرق، وتحدها من الشمال أرمينيا ومن الجنوب أشوريا. أنظر:

وتمثلت نتيجة المعركة في الآتي:

أولاً: ضياع أمل الملك الفارسي نارسس في الاستيلاء على الممتلكات الرومانية في الشرق.

ثانيًا: أسر الملكة أرسان زوجة نارسس وأطفاله وأخوته، وعدد كبير من وجهاء الفرس وكميات كبيرة من خزائن الملك[١٥٣].

ثالثًا: إجبار نارسس على طلب السلام من دقلديانوس كإجراء سريع ممكن عن طريقه، فقط، وقف تقدم الرومان داخل الأراضي الفارسية[١٥٤].

رابعًا: أادت هذه المعركة الهيبة والكرامة إلى جالليروس، بل وأجبرت دقلديانوس على احترامه عندما قابله في مدينة نصيبين، لدرجة أنه أجبر مجلس الشيوخ الروماني- فيما بعد – على الانحناء له، كما زين خلعه وأحذيته بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة[١٥٥] كما كانت سببًا في أن جالليروس رفض لقب قيصر، "فعندما سمع تلك الكنية في خطاب التهنئة المرسل إليه من دقلديانوس، صاح عاليًا بصوت مرعب وتغيّر في هيئته، "إلى متى سأظل قيصرًا"[١٥٦].

وعلى أية حال، إن الانتصار الذي حققته الجيوش الرومانية على الفرس سنة ٢٩٨م يعتبر من أعظم الانتصارات التي كسبتها روما على الفرس منذ حملات الإمبراطور تراجان (٩٨- ١١٧م) Trajan وفسباسيان (٦٩- ٧٨م)

Matthew Bunson: op.cit., p. 271.

(152) Lactantus: op.cit., Chapter IX, Net; Eutropius: op.cit., Book, IX, XXV, p. 32.; Theophanes Confessor: op.cit., p. 13. Cf also, Gibbon: op.cit., Vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

(153) Theophanes Confessor: op.cit., p. 13; Eutropius: op.cit., Book, IX. XXV, p. 32; Gibbon: op.cit., Vol. I, Chapter, XIII, Part3, p.1.

(154) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3. p.1; John B., op.cit., p. 7.

(155) Theophanes Confessor: op.cit., p. 12; Eutropius: op.cit., Book IX, XXV, p. 32. Cf also, Gibbon: op.cit., Vol.I, Chapter 23, Part3, p. 32.

(156) Lactantus: op.cit., Chapter IX Net. Cf also, John B,: op.cit., p. 7.

Vespasian[157]. بل وآخر الانتصارات الكبرى؛ فلقد توقف الأباطرة بعده عن قهر أعداء روما، كما لم تعد روما عاصمة للإمبراطورية الرومانية[158].

وقبل المضي قدمًا في مناقشة مفاوضات السلام بين الملك الفارسي نارسس والإمبراطور دقلديانوس. تجدر الإشارة إلى أن جالليروس عامل زوجات وأطفال نارسس معاملة كريمة؛ فقد تم حفظهم في مكان آخر، ولم يتعرضوا لأي أعمال عنف أو اغتصاب[159].

ولأن نارسس كان متلهفًا على سراء السلام من الرومان، فقد بعث بأفاربان Apharban إلى دقلديانوس، وفوضه في عقد معاهدة سلام معه، أو الاستماع منه إلى الشروط التي سيفرضها. وفي اللقاء الذي تم في مدينة نصيبين بين دقلديانوس وجالليروس وأفاربان افتتح الأخير المحادثات بتقديم أسمى آيات شكر سيدة عن المعاملة الطيبة التي لاقتها عائلته، وبالتماس إطلاق سراح هؤلاء الأسرى الأجلاء. ثم استرسل أفاربان موضحًا شجاعة القيصر جالليروس، ولكنه في نفس الوقت لم يقلل من عظمة الملك نارسس. كما راح يُذكر الورمان بأنه لا يجب عليهم أن ينسوا تقلبات الزمن. وفي النهاية اختتم حديثه بتوضيح أن الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية هما العيون التي يرى بهما العالم، وإذا توارت احداهما من التاريخ وبقيت الأخرى فإن العالم سوف يصبح أعورًا[160].

وعند ذلك أجاب جالليروس بغضب شديد أدى إلى تغير قسمات وجهه قائلاً: حسنًا أصبح الفرس يتحدثون عن تقلبات الحظ، ويحاضروا لنا عن فاعليات الاعتدال، دعهم يتذكرون اعتدالهم، تجاه الإمبراطور فاليريان التعيس. لقد تغلبوا عليه بالخداع، وعاملوه بدون كرامة. احتفظوا به حتى آخر لحظة في حياته في أسر مذل، وبعد وفاته عرضوا جسده لعار دائم"[161]. وهنا نرى أن جالليروس يحاول أن يوضح لأفاربان أنه إذا كان الفرس يتحدثون عن تقلبات الزمن وفاعليات الاعتدال، فلماذا لم يتذكروا ذلك يوم قبضوا على الإمبراطور

---

(157) John B.,: op.cit., p. 7.

(158) إدوارد جيبون: المرجع السابق، جـ١، ص٢١٠.

(159) Gibbon: op.cit., Vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

(160) Ibid, Part3, p.I.

(161) Loc-Cit.

فاليريان. إن جاlليروس يحاول أن يقول لأفاربان لا تتحدثوا عن تقلبات الـزمن ولا عن الاعتدال لأنكم لستم أهل لذلك.

ثم ما لبث جاlليروس أن خفض من حدة الكلام، موضحا لأفاربان أنهـا ليست عملية أن يدوس الرومان على العدو المنبطح، فكرامة الرومان لا تقبـل ذلك. وفي النهاية صرف جاlليروس أفاربان موضحًا له أن الملك نارسس سوف يتم إخباره على وجه السرعة بالشروط التي يرغب في الحصول عليها، الرحمة من الأباطرة، السلام الدائم، واستعادة زوجاته وأطفاله(١٦٢).

وتعليقًا على ما قاله القيصر جاlليروس لأفاربان يقول المـؤرخ إدوارد جيبون(١٦٣) إن هذه المحادثة ربما كشفت عن طبيعة جاlليروس الحادة، واختلافه عن الإمبراطور دقلديانوس الذي كان يمتاز بالحكمة والتعقل. لا سيما عندما نعلم أن جاlليروس عرض على دقلديانوس غزو بلاد فارس وتحويلها إلى ولاية تابعة للرومان، ولكن الأخير انتهز الفرصة، ورغب في تكليل حربه الناجحة بسـلام مشرف ومفيد للإمبراطورية الرومانية.

وعلى أية حال، تنفيذًا للوعد الذي أعطاه جاlليروس لأفاربان تم إرسـال سيكوريوسه بروبوس Scorcicus Probus إلى البلاط الفارسي. وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن تحت ادعاء حصوله على قسط من الراحـة تـم تـأخير اجتماعه مع نارسس لعدة أيام، وفي النهاية تمت المقابلة قرب نهر أسبروورس في ميديا(١٦٤).

والحقيقة أن الباعث الخفي وراء تأخير لقاء الملك الفارسـي نارسـس بالسفير الروماني يكمن في أن نارسس كان يهدف إلى جمع قوة عسكرية تمكنه من التفاوض بقوة، وأنه لديه رغبة صادقة في السلام مع أنه قوي عسكريًا(١٦٥).

والجدير بالذكر، أنه في المفاوضات التي دارت بين الجـانبين طالـب الرومان بأن تكون مدينة نصيبين مكانًا للتبادل التجاري بين الإمبراطـوريتين،

---

(162) Loc- Cit.

(163) Decline and fall of the Roman Empire, Vol. I, Chapter XIII, Part3, p. 1. Net.

(164) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p. 1 Net.

(165) Loc-Cit.

ولكن نارسس رفض هذه المادة من المعاهدة(١٦٦). وفي النهاية وقعت اتفاقية السلام بالبنود الآتية:

أولاً: أن يكون نهر آبوراس Aboras (الخابور) الحد الطبيعي الفاصل بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية(١٦٧).

ثانيًا: اعتراف الملك الفارسي نارسس بحق الرومان في امتلاك بلاد ما بين النهرين.

ثالثًا: موافقة نارسس على اخضاع مملكة أرمينيا للرومان.

رابعًا: تنازل ملوك فارس عن حق تعيين ملوك إيبيريا Iberia(١٦٨). إلى الأباطرة الرومان(١٦٩).

خامسًا: تنازل ملوك فارس أيضًا عن خمسة أقاليم وراء نهر دجلة. أربعة من هذه الأقاليم تقع إلى الشمال من النهر وهي إنتيلين Intiline، زابديسين Zabdicene، أرزانين Arzanene وموسكون Moxonene، وهي أقاليم غير مسموعة ولا يعتد بمساحتها. أما الخامس فهو إقليم كاردوين Carduene الجبلي ذات المساحة الشاسعة(١٧٠). وهذه الأقاليم تمثل إقليم كردستان Kurdistan اليوم، وتقع جنوب بحيرة فان Van(١٧١).

---

(166) Gibbon: op.cit., vol. I, p. 1-2.
آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ١١٥- ١١٦.

(167) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p.2.

(168) إيبريا Iberia: مملكة في القوقاز، تقع بين بحر كاسبيان Caspian والبحر الأسود. معروفة بجمالها وثمارها، لا سيما عندما تتم المقارنة بينها وبين البرابرة المجاورين لها شمالاً والأرمن جنوبًا. كانت إيبريا تختلط دومًا في المؤرخات القديمة مع مملكة بوسبورس Bosporus، التي كانت أيضًا تقع قرب البحر الأسود. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 201

(169) Genl. G.,: op.cit., 348; Arthur E.,: op.cit., p. 345. Matthew-Bunson: op.cit., p. 29; John B.: op.cit., p. 7; Previte Orton: op.cit., Tom. I, p. 36.

(170) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, P.2; Marcel G.: op.cit., p. 433; John B. op.cit., p. 7; Grande Encyclopedie, Tom vingt-Quatrieme (paris, N.D.), p. 814.

(171) Previte Orton: op.cit., Tom. I, p. 36.

والحقيقة أن هذه الأقاليم الخمسة كانت عبارة عن خمسة حواجز جبلية وممرات مهمة لكل من الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، كما أن مملكة أرمينيا الجبلية كانت عبارة عن برج في زاوية حصن لا يقدر بثمن للإمبراطورية الرومانية[١٧٢].

سادسًا: إطلاق سراح أرسان زوجة الملك نارسس وأولاده من الأسر الروماني[١٧٣]. وهذا هو المقابل الوحيد الذي حصل عليه نارسس من معاهدة سلامه مع الرومان.

وعلى أية حال، لم يتفق المؤرخون حول التاريخ الذي عقدت فيه هذه المعاهدة. فهناك من يقول أنها عقدت سنة ٢٩٦م[١٧٤]. وآخر قال إن ذلك كان في سنة ٢٩٧م[١٧٥]. وثالث اختار تاريخ ٢٩٨م[١٧٦]. والتاريخ الأخير هو الذي يتفق معه الباحث، لأنه يواكب سير الأحداث.

والواقع أن المعاهدة سالف الذكر تعتبر نصرًا مدويًا إلى الإمبراطورية الرومانية[١٧٧]، وإذلالاً لا حد له للفرس[١٧٨].

ويبرز الآن تساؤل هام عن النتائج التي توصل إليها هذا البحث. إن من أهم النتائج أن الأهداف السياسية التي بدأ من أجلها أردشير الأول الحرب على روما، ومن بعده أبنه سابور الأول ثم نارسس، والمتعلقة باسترداد أملاك أجدادهم القديمة وهي سوريا ومصر وأسيا الصغرى لم يتحقق منها شيئا.

ومن أهم النتائج أيضًا حصول الرومان على بعض المكاسب الجديدة من الفرس، ورغم صغرها، فإنها تعتبر فتوحات جديدة للإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادي. والمهم جدًا إعتراف الفرس بالتفوق الروماني[١٧٩].

---

(172) Loc-Cit.

(173) سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٤٠٨.

(174) Previte Orton: op.cit., p. 36.

(175) آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(176) Marcel G.: op.cit., p. 433.

(177) Pervite Orton: op.cit., Tom. I, p. 36.

(178) Mathew Bunson: op.cit., p. 375.

(179) Warren Treadgold: op.cit., p. 22; Gibbon: op.cit., vol. 1, Chapter XIII, Part2, p.3.

ولعل من أبرز النتائج على الجيش الفارسي هلاك الكثير منهم في أتون هذا الصراع لدرجة أنه في المعركة الأخيرة بين نارسس والقيصر جـاليروس هلكت معظم القوات أو – كما قال بعض المؤرخين – كلها(١٨٠).

وعلى صعيد أسرى الحروب بين الفرس والرومـان يمكـن القـول إن الرومان كانوا أرفع منزلة في معاملة الأسرى من الفرس، وهذا ما لمسناه خلال هذه الدراسة.

ومن أبرز النتائج أيضا معاهدة السلام التي عقدت سنه ٢٩٨م بين الملك نارسس والإمبراطور دقلديانوس وجاليروس، والتي ترتب عليها الهدوء علـى الجبهة الشرقية الرومانية، على الأقل ضد الفرس، طيلـة أربعـين عامًـا(١٨١). وإنهاء المسألة الشرقية على أسس مرضية جدًا ومشرفة إلى روما(١٨٢).

أما فيما يخص مملكة أرمينيا فقد حسم النزاع حولها لصالح الرومـان. وكان الجديد أيضًا، أنه بخضوع مملكة ايبيريا للرومان سـوف تـزداد قـوتهم وسلطتهم في آسيا(١٨٣).

ومن النتائج أيضًا تقوية الدفاعات الرومانية علـى حـدودها الشـرقية. وخروج الإمبراطورية الرومانية من صراعها مع الفرس في نهاية القرن الثالث الميلادي أقوى بكثير مما كانت عليه أيام الأباطرة تراجـان، هادريـان (١١٧–١٣٨م) Hadrian، ماركوس أوريليوس (١٦١– ١٨٠م) Marcus Aurelius، لا سيما عندما نعلم أنها استطاعت كبح جماح البرابرة على جميع حدودها(١٨٤).

وختامًا للموضوع، لم تكن الأسرة الساسانية في صراعها مع الرومـان أسعد حظًا من الأسرة البارثيه. وأن الصراع بين الشرق والغرب لم ينته ولكنـه يخبو حينًا ويظهر حينًا آخر حسب الظروف السياسية.

---

(180) Theophanes Confessor: op.cit., p. 13.

(181) Genl G.: op.cit., p. 348.

(182) John B.: op.cit., p. 8.

(183) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p.2.

(184) Genl .G.: op.cit., pp. 348- 349.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

1- Aelius Lampridius: The Life of Serverus Alexander, Tr. By David Magie, section of the Historia Augusta, (Harvard Uni., Press, 1924, 1993).

2- Eutropius: Abridgment of Roman History, Literally Tr., by Rev-John Selby, (Watson, London, 1886).

3- Cassius Dio: Roman History, Tr., by Eranesi Cary, (Harvard, Uni., Press, 1914).

4- Lactantius: De Mortibus Persecutorum, ed, and Tr., by J.L. Grrad, (Oxford, 1985) Net.

5- Sextus Aurelius victor: Abbreviated from his books, Tr., by Thoms M. Banchich, (N.Y., Net 2000).

6- Theophanes Confessor: The Chronicle, Tr., by Cyril Mango and Roger Scott, (London, 1977).

7- Zosimus: New History, Tr., From the original Greek by W. Green and T. Chapline, Book 1, (London, 1814).

ثانيًا: المصادر العربية:

١- ابن الأثير: (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، الجزء الأول، (القاهرة، ١٣٤٨هـ).

٢- الطبري: (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ١، (القاهرة، ١٣٥٧- ١٩٣٩م).

٣- القلقشندي: (ت٨٢١م/ ١٤١٨م)، أبي العباس أحمد بن على: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٤، تقديم فوزي محمد أمين، الذخائر، ١٣٣ (القاهرة، ٢٠٠٥م).

٤- سعيد بن بطريق: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت، ١٩٠٥م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- Bryce Lyon and Other: A History of the western world, vol., 1, Second Edition, (U.S.A.1974).
2- Chrisitian Korner: Aurelian (A.D. 270-275), (Uni., of Bern update: 20 Jul., 2001).
3- Cyril Mango: Byzantium, (London, 1980).
4- Edward Gibbon: History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. I, (Net 2005).
5- Encyclopaedia Britannica, vol., 19, London, 1910), vol. 23, (London, 1911).
6- Genl G.F. Young: East and West Through Fifteen Centuries Vol., I, (London, 1916).
7- Glanville Downew: A History of Antioch in Syria (Princeton Uni., Press, 1961).
8- Herbert W. Benario: Alexander Severious, (A.D.222-235), (Emory Uni., 15 June 2001).
9- Jacob Burckhardt: The Age of Constantine The Great, (New York, 1949).
10- John B. Firth: Constantine The Great, (London, 1905).
11- John A.H.M.: The Dicline of the Ancient World, (Loncon, 1966).
12- La Grande Encyclopedie, Tom vingt- Quatrieme (paris, N.D.).
13- Marcel le Glay et Other: A History of Rome, Tr. By Antonia Nevill and other, (United Kingdom, 2005).
14- Michael L. Meckler: Phillip the Arab (242-249 A.D.), (ohio State Uni., 2001. Gordian III, (238-344 A.D.), (Ohio State Uni., 2001).
15- pat southern and Karen R. Dixon: The Late Roman Army, (Cam., 1996).
16- Previte Orton C.W.: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. I, (Cam., 1953).
17- Rebe Grousset: Histoire De l' Armenie, (Paris, 1997).
18- Richard G, Weiged: Claudius II Gothicus (268-270), (Western Kentucky Uni., 19 June 2001). Valerian (A.D 253- 260) and

Gallienus (A.D. 253- 268), (Western icentucky Uni., 13 August 1998).

19- Richard N. Frye: The Heritage of Persia, (New York, 1970)

20- Robert S.Hoyt, Stanley Chodorow: Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1976).

21- Robin Mc Mahon: Tacitus: (276-282 A.D.), (New- York Uni., updated: 8 July., 1999). Tacitus (275-276 A.D.), New York Uni., updated: 2 February 2000).

22- Roger Collins: Early Medieval Europe 300-1000, Second Edition, (U.S.A, 1999).

23- Scott Moore R.: Trebonianus Gallus (251-253 A.D.) and Gaius Vibius Volusianus (251-253 A.D.), (Indiane Uni., of Pennsylvania, update: I July 2002).

24- The New Encyclopaedia Bretannica, Vol. X, (London, 1979).

25- Warren Treadgold: A History of The Byzantine State and Society, (U.S.A., 1997).

26- William G. Sinnigen and Arthur E. R. Book: A History of Rome to A.D. 565, (U.S.A., 1977).

رابعًا: المراجع العربية والمعربة

١- إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي أبو درة. مراجعة أحمد نجيب هاشم، جـ١، (القاهرة، ١٩٩٧م).

٢- آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانين، ترجمة عن الفرنسية يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، (بيروت، د.ت).

٣- أسد رستم (دكتور): الروم، جـ١، (القاهرة، ١٩٥٥م).

٤- بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، م٣، (بيروت، لبنان د.ت).

٥- تشارلزوف م.ب: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة محمد صقر خفاجه، (القاهرة، ١٩٦١م).

٦- حسن أحمد حسن الإبياري (دكتور): دراسات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، (القاهرة، ٢٠٠٤).

٧- حسنين محمد ربيع (دكتور): دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣م).

٨- حسين الشيخ (دكتور): الرومان، (الإسكندرية، ٢٠٠٠م).

٩- سيد أحمد على الناصري (دكتور): تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، (القاهرة، ١٩٧٨م).

١٠- عبد السلام محمد زيدان (دكتور): الدعوة للحروب الصليبية علـــى بـــلاد الشـــام ١٠٩٥- ١١٨٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعـــة أســـيوط، (٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ).
١١- موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، م٢، (بيروت، لبنان، ٢٠٠٣).

حملة الإمبراطور
الروماني جوليان على
بلاد فارس عام ٣٦٣م

عندما اعتلى سابور الثاني (٣٠٩- ٣٧٩م) Shapur II العرش الفارسي خلفاً لوالده أورماذد الثاني (٣٠٢- ٣٠٩م) Hormaz II احتفظ بعلاقات وطيدة لبعض الوقت مع الإمبراطور الروماني قنسطنطين العظيم (٣٠٦- ٣٣٧م) Comstantine The Great، حتى أنه أرسل إليه السفراء سنة ٣٢٤ (١٨٥). وهذا ما عبر عنه أيضا ابن الأثير (١٨٦) بقوله: "وأما الروم فإن سابور كان هادن ملكهم وهو قنسطنطين". والحقيقة أنه لا توجد هناك معلومات أكثر من ذلك عن علاقة الإمبراطور قنسطنطين بالملك سابور الثاني. ويبدو أن ذلك يعود إلى صغر سن الأخير.

ولكن ما إن وصل سابور الثاني إلى سن الرشد، حتى أعلن الحرب على الإمبراطورية الرومانية بغزو أعالي بلاد ما بين النهرين سنة ٢٢٦م، وفرض الحصار على مدينة نصيبين حوالي ٦٣ يوماً، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء عليها، كما اجتاحت قواته أرمينيا حيث قام بعزل ملكها، التابع للرومان، واستبدله بتابع فارسي. ثم سعى للتفاوض مع الإمبراطور قنسطنطين ولكن الأخير رفض، وعقد العزم على القيام بحملة ضد الفرس، ولكن المنية عاجلته، فقبل الانطلاق بحملته على فارس سقط مريضاً ومات سنة ٣٣٧م(١٨٧).

وعلى الفور فتح الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦٠م) Constantus II باب المفاوضات مع سابور الثاني، ولكنها باءت بالفشل لأن الفرس تمسكوا بضرورة أن تتنازل لهم روما عن أعالي بلاد ما بين النهرين وأرمينيا، بل هدد سابور- عن طريق سفرائه- بأنه إذا ما رفض قنسطنطيوس مطالبه فسيقوم بغزو الإمبراطورية الرومانية على وجه السرعة. ولكن الإمبراطور لم يعر هذا التهديد اهتماماً، وأوضح لسابور عن طريق سفرائه أنه

---

(185) Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (New York, 1991), p. 376, 386.

(186)الكامل في التاريخ، جـ١، (بيروت، ١٩٧٨م) ص ٢٣.

(187)Theophanes Confessor: The Chronicle of Theophanes Confessor, tr., by Cyril Mango and Rogers Scotte, (London, 1997), p. 386. Cf. also, Anne Elizabth Redgate: The Armenians, (U.S.A, 1999), p. 133.

يرغب في السلام مع فارس ولكنه لن يتنازل عن أعالي بلاد ما بين النهرين أو أرمينيا(١٨٨).

ولم يتوان سابور الثاني إذ قام بالهجوم على مدينة نصيبين سنة ٣٣٨م، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها(١٨٩). وأمام هذا الموقف المتـأزم فـي الشـرق، وبسبب استنجاد الأرمن بالإمبراطور قنسطنطيوس بعث قواته إلى أرمينيا حيث تمكنت من تنصيب خوسروس ملكاً عليها(١٩٠).

وفي سنة ٣٤٣م قام الإمبراطور قنسطنطيوس بغارة عبر نهـر دجلـة، واستولى على المعسكر الفارسي سنة ٣٤٤م، ولكن لبعض الوقـت(١٩١). فـرد سابور على ذلك بغزو أعالي بلاد ما بين النهرين وحصار مدينة نصيبين حوالي ٧٨ يوماً سنة ٣٤٥م، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، كما حاصرها مـرة ثالثة سنة ٣٤٨م، وقام بنهب ضواحيها وطالب حاميتها بالتسليم ولكنها رفضـت وقاومت مقاومة عنيفة، الأمر الذي دفعه إلى رفع الحصار عنها، ولكن بعد تكبده حوالي عشرة آلاف قتيل(١٩٢).

ويذكر بعض المؤرخين أن الفرس والرومان خاضوا معركـة شرسـة قرب مدينة سنجار Singara، إحدى مدن الحد من فارس، سنة ٣٤٨م ولكنها لم تكن حاسمة(١٩٣).

---

(188) Faustus: "Rome and Armenia in the Fourth Century", in English Historical Review, XXV (1910), pp. 625 643; in Byzantine Studies and other Essays, By Norman H.Baynes, (U.S.A.1974), p. 194.

(189) Jones: The Latter Roman Empire 284 602, Vol.I, (Oxford, 1986) p.112.

(190) موسيس خوريناتسي: التاريخ الآرمني، من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ترجمة عن الأرمينية نزار خليلي، (دمشق-١٩٩٩م)، ص ٢٠٩- ٢١٠.

(191) هامرتن: تاريخ العالم، ترجمة وزارة التربية والتعليم، (القاهرة،د.ت)، ص ١٩٥- ١٩٦. أنظر أيضاً:
Warren Treadgold: A History of the Byzantine State and Society, (U.S.A.,1997), p.55.

(192) Theophanes: op. cit., p. 63,65-66; Zosimus: New History, tr., by Geen and Chaplin, (London, 1814), p. 172.

(193) John: op. cit., Vol.I,p.112; Warren Treadgold : op.cit.,55.

وفي سنة ٣٥٠م عاود سابور الثاني حصاره لمدينة نصيبين، ولكنه رفع هذا الحصار بسبب دفاعاتها القوية، وعقد هدنة مع الإمبراطور قنسطنطيوس عاد على أثرها إلى بلاده للدفاع عن حدودها الشرقية ضد اعتداءات بعض القبائل المتبربرة(١٩٤).

وبعد أن استقرت الأوضاع على الحدود الشرقية لفارس راح سابور الثاني يفكر في توجيه ضربة قاسمة للرومان، ولذلك بعد أن استعد استعداداً جيداً تقدم بقواته التي بلغ تعدادها حوالي مائة ألف فارس داخل أعالي بلاد ما بين النهرين سنة ٣٥٩م، حيث تمكن من الاستيلاء على مدينة أميدا Amida (آمد Amid) في ديار بكر، وأعمل السيف في الحامية الرومانية وصلب القادة وباع الآخرين في سوق الرقيق عبيداً، كما استولى على مدينة سنجار سنة ٣٦٠م، وحاصر حصن بيزابدا Bezabde (جزيرة ابن عمر) واستولى عليه بعد قتال عنيف، ثم سعى للاستيلاء على زوجما Zeugma، على نهر دجلة، ولكنه فشل(١٩٥). وهكذا أصبح الفرس أصحاب اليد العليا في بلاد ما بين النهرين(١٩٦).

وعند ذلك جمع الإمبراطور قنسطنطيوس قواته وراح يتقدم ضد القوات الفارسية ولكنه عندما وجد أن طوفانها سوف يجتاحه بعث إلى القيصر جوليان Julian (263- 261) – الذي كان في غالة آنذاك– يطلب من فرقة من قواته

---

(194) John, Bishop of Nikiu: Chronicle, tr. By R. H. Charles, (London, 1916), p.28. Cf. also, William G. Sinnigen and other: A History of Rome to 565 A.D. (London, 1966), p. 351.

(195) Franzius Enno: History of the Byzantine Empire, (Nes York, 1967), p.35; Freay Stark: Rome on the Eudhrates, the Story of Frontier, (London, 1966), p. 344.

انظر أيضاً: السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م، (لبنان، ١٩٨٢م)، ص ٣٧؛ رأفت عبد الحميد: "مصرع جوليان الفيلسوف الإمبراطور"، في كتاب قطوف ذاتية، تحرير عبد القادر الرباعي، (الأردن، د.ت)، ص ٥١٨.

(196)Ostrogorsk: History of the Byzantine State, tr., By John Hussey, (London, 1968), p.51.

وتشير حوليه ثيوفانيس إلى أن سابور الثاني استولى على حسن بيزابدا سنة ٣٥٩ م. أنظر: The Chronicle of Thephanes Confessor, p. 75.

فبعث إليه جوليان بما أراد، ولكن قنسطنطيوس عاد وطلب فرقة أخرى، وعند ذلك رفضت القوات الغربية الذهاب إلى الشرق لقتال الفرس، بل وأعلنت جوليان إمبراطوراً. وعندما جوليان من قنسطنطيوس الاعتراف بما قام به الجنود رفض الأخير وطالب جوليان بالعودة إلى رتبة قيصر ولكنه رفض، وفشلت المفاوضات بين الجانبين، وبدأ جوليان في التقدم شرقاً على رأس قواته سنة ٣٦١م ناحية مدينة القسطنطينية وعندما علم قنسطنطيوس بذلك قطع حملته في بلاد ما بين النهرين وتقدم ضده، وأوضحت بيزنطة على وشك حرب أهلية، لولا أن المنية عاجلت قنسطنطيوس في الطريق، فدخل جوليان مدينة القسطنطينية وسط ترحيب الجميع، ليبدأ حكمه سنة ٣٦١م(١٩٧). وسط الخطر الفارسي الكامن على حدود الإمبراطورية في الشرق، ولهذا كان عليه أن يفكر أولاً في التصدي لهذا الخطر، وبأقصى سرعة.

راح الإمبراطور جوليان يستعد للقيام بحملة ضد الفرس منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامه مدينة القسطنطينية، ولأنه كان حريصاً على سرعة قيام الحملة فقد آثر أن يكمل هذه الاستعدادات في مدينة أنطاكية، ولذلك قام بتعيين أورميسداس Hormisdas (١٩٨) وفيكتور Victor لقيادة قواته. وفي مايو سنة ٣٦٢م اتخذ جوليان طريقه إلى مدينة أنطاكية التي وصل إليها في مطلع يوليو من نفس العام عن طريق آسيا الصغرى(١٩٩).

---

(197) Zosimus: op. cit., pp. 173- 175; Theophanes : op. 76. Cf. also, Walter E. Robert and other: Julian the Apostate, 360- 363 A.D., (Net., 2004), p.4.

(198) أورميسداس: أمير فارسي من البيت الملكي الساساني، هرب من سجنه إلى البلاط البيزنطي في عهد الإمبراطور قنسطنطين. ويقال أنه أخ الملك الفارسي سابور الثاني. وفي البلاط البيزنطي قوبل بحفاوة كبيرة، وبسبب إخلاصه تم إلحاقه بالجيش.
أنظر:
Gibbon E.: History of Decline and fall of the Roman Empire, vol. Iv, (London,1819), p. 162; Giuseppe: op.cit;p.241.

(199) Zosimus: op. cit; p. 75. Cf. also, Gibbon: op. cit; vol. IV,p.143; Jones: op.cit., vol.I,p.123; Jacqulin A.M.: Histoire Del' Eglise, Tom. I, (Paris, 1928), p. 367.

وجدير بالذكر، أن الأنطاكيين استقبلوا جوليان- عندما كان على مقربة من مدينتهم- استقبالا عظيماً، لدرجة أن الرجل انتابته حالة من الذهول بسبب كثرة مستقبلية(٢٠٠). ولكن ذلك لم يكن حباً فيه، كما قال المؤرخ الروماني زوسيموس،(٢٠١) بل خوفاً منه.

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن الموقف في مدينة أنطاكية تأزم بين جوليان من ناحية، وسكان المدينة ومجلس شيوخها من ناحية أخرى. وذلك لأنه في شتاء سنة ٣٦٢م ضرب زلزال عظيم المنطقة وجاء فيها على الأخضر واليابس، وكان مجلس الشيوخ وأهالي المدينة يطمعون في قيام جوليان بتوزيع الأموال التي جمعها لحملته الفارسية على منكوبي الزلزال، ولكن جوليان لم يعر اهتماما لمطلبه، فرفض مجلس الشيوخ مساعدته في حملته التالية، كما كرهه السكان، وتهكموا على لحيته الطويلة، فتأزم الموقف، ورغم ذلك لم يسع جوليان لمعاقبتهم عن طريق القوة بل عن طريق بعض المؤلفات ضدهم والتي أطلق عليهم فيها كارهي اللحية The Beard- Hater(٢٠٢). ولكنه في الوقت نفسه توعد بإنزال أقصى العقوبات عليهم بعد الانتهاء من حملته الفارسية(٢٠٣).

وعلى كل، إن انشغال الإمبراطور جوليان بالاستعداد لحملته الفارسية لم يتوقف في مدينة أنطاكية، فقد دوام على شراء المؤن، وتدريب القوات التي كانت ترافقه، وقام بتجنيد قوات أخرى(٢٠٤).

وهنا نكون أمام سؤالين أولهما: لماذا قام جوليان بحملته؟. وثانيهما: ماذا قال المؤرخون عن قوات جوليان؟.

---

(200) Ammianus Marcellinus, Tr., by John G. Rolfe, vol.II, (London, 1935), p.251.

(201) New History, p. 76.

(202) Zosimus; op. cit., p. 76. Cf. also, Walter: op. cit,. p.9 Gibbon: op. cit., vol. Iv, p. 149- 150; Treadgold: op. cit., p.60.

(203) Theophanes: op.cit., p. 82.

Ammianus: op.cit., p. 263; Theophanes: op.cit., 82.Cf.

(204) Also, John: op-cit., p. 123; John Julies Norwish: Byzantium the Early Centuries, (N.Y., 1998) p. 94; Gibbon: op.cit., vol. IV, p. 144.

اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا حول الأسباب التي دفعت الإمبراطور جوليان للقيام بحملته ضد الفرس. فمؤرخ الحملة، الذي شارك فيها، أميانوس ماركيللينوس، ذكر أن الحملة ضد فارس كانت تسيطر على عقلية جوليان، حيث كان يتطلع إلى معاقبة الفرس على ما ارتكبوه من خراب وتدمير وقتل ونهب داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، كما أنه كان يتطلع إلى الحصول على المجد والعظمة في الشرق عندما ينهي وجود الدولة الفارسية، وبذلك يمكن أن يضيف إلى ألقابه الباهرة لقب "قاهر الفرس Parthicus"(٢٠٥). ويتفق بعض المؤرخين مع أميانوس في السبب الثاني لقيام حوليان بحملته(٢٠٦). وهناك أيضاً من قال إن جوليان كان يرى في حملته الفارسية الرغبة في النصر تبريرا وتزكية للوثنية، التي ارتد إليها، وإعادة لتحسين سمعته بسبب ذلك(٢٠٧). وفريق آخر قال إن جوليان قام بحملته لأنه كان عازما على اتباع خطى الإسكندر المقدوني(٢٠٨)، وتراجان، وهادريان، هذا من ناحية، كما أنه كان يسعى إلى توسيع دائرة الوثنية في الأقطار الشرقية، التي تتزايد فيها أعداد المسيحيين من ناحية أخرى(٢٠٩). والبعض أشار إلى أنه ربما يكون السبب الحقيقي لحملة

---

(205) Ammianus Marcellinus: op.cit., vol.II,pp. 263- 265.

(206)Gibbon: op.cit., vol. Iv, p. 141; Norwish: op.cit., pp. 96- 97; Stark: op.cit., p. 347.

(207) Treadgold: op. cit., pp. 60- 61.

(208) تمكن الإسكندر المقدوني من إخضاع الإمبراطورية الفارسية لسيادته بعد حرب طويلة دامت قرابة اثنى عشر سنة. للمزيد من التفاصيل انظر:
Bryce Lyon and other: A History of the world, vol. I, (U.S.A 1974), p. 57.
أنظر أيضاً مفيد رائف العابد: سوريا في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣-٦٤ ق.م (سوريا، ١٩٩٣)، ص ١٩- ٣٦.

(209) Gregory Nazianzen: "Julian The Emperor", Oration 5, Tr. By Roger Pears, (Net. 2004); p-3. Cf. also, Stark op-it., 341, 347; Jacquin: op.cit., Tom I, p. 367. Norman H.Baynes: Byzantine Studies and other essays, (London, 1996), p. 346; Giuseppe: op.cit., p. 230; G.W.Bowersock: Julian The apostate, (London, 1978), p. 106; Jones: The Decline of the Ancient World, (London, 1966), p. 61;

جوليان هو الحصول على احترام الجيش. لأنه على الرغم من إعلانه إمبراطورا بواسطة الفرق العسكرية الغالية، فإن علاقاته مع كبار القادة العسكريين لم تكن على ما يرام، ومن ثم فإن الحرب ضد الفرس سوف تعلي من شأنه في عيون هؤلاء القادة(٢١٠). وهناك من المؤرخين من يرى أن هذه الحملة الضخمة كانت تهدف إلى إعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية المنهارة(٢١١). على أن ما يؤكد ذلك ما قاله جوليان نفسه: "إنني سأجعل الفرس يرسفون في أغلال العبودية، وسأعيد قوة وبهاء الجمهورية(٢١٢). وقال البعض إن جوليان كان يهدف من حملته القضاء على غارات الفرس على مملكة أرمينيا وبلاد ما بين النهرين(٢١٣).

وعلى أية حال، مهما قيل من آراء حول أسباب قيام جوليان بحملته، فإن هناك سببا قويا لذلك وهو أن الفرس كانوا قد وصلوا في سنة ٣٦١م إلى ذروة انتصاراتهم على الرومان، وأصبحوا يمثلون خطرا كبيرا على أملاك الإمبراطورية في الشرق، ولذلك كان لابد من التصدي لهذا الخطر، ومن هذا المنطلق كان لابد أن يقوم جوليان بحملة عسكرية ضدهم.

ومثلما اختلفت آراء المؤرخين حول أسباب قيام جوليان بحملته فقد اختلفت أيضا حول قواته. فالبعض قال إن تعداد هذه القوات بلغ حوالي ٦٥٠٠٠ ألف جندي، مثلوا المشاة والفرسان(٢١٤)، ورأى ثان قال إنه كان حوالي ١٠٠٠٠٠ ألف رجل(٢١٥)، وثالث يقول إنه كان حوالي ٩٠٠٠٠ ألف رجل(٢١٦).

أنظر أيضا: سيد أحمد على الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، (القاهرة ١٩٧٨م) ص ٤٥٨؛ رأفت عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٥١٨- ٥١٩.

(210) Walter E.: op. cit., pp. 9-10.

(211) Ibid, p. 11.

(212) Gibbon: op.cit., vol. IV, p. 178.

(213) حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣)، ص ٣٧.

(214) Zosimus: op.cit., p. 177. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 236: Gibbon: op.cit., vol. IV, p. 159; Previte C.W. Orton: The Short Cambridge Medieval History, vol. I, (Camb., 1953), p. 49; Matthew Bunson: op.cit., p. 220, Stark: op. cit., p. 348.

(215) Franzues: op.cit., p.37;

أما بخصوص الأسطول فقد ذكر أميانوس أن تعداده بلغ حوالي ١٠٠٠ من مراكب النقل المتنوعة، محملة بالمؤن الوفيرة، والأسلحة، ومعدات الحصار، إلى جانب ٥٠ سفينة حربية، وعددا مساوياً من السفن، وذلك بهدف إقامة الكباري، إذا اقتضت الضرورة(٢١٧). أما ذوسيموس. الذي اتفق مع أميانوس في كل ما قاله، وأعتقد أنه كان ناقلا عنه فقد قدر عدد السفن بحواليب ١١٠٠ سفينة، "ستمائة مصنوعة من الخشب، وخمسمائة مغطاة بجلود الحيوانات"(٢١٨).

وعلى أية حال، لقد أسند جوليان قيادة الأسطول إلى كل من قنسطنطيوس والكونت لوكيليانوس Lucillianus(٢١٩). ومهما يكن من أمر فإن حملة الإمبراطور جوليان العسكرية تعد أكبر حملة في تعداد قواتها، قام بها إمبراطور روماني ضد الفرس(٢٢٠).

ويشير المؤرخ أميانوس إلى أن جوليان استقبل في أنطاكية السفارات التي جاءت من "أمم عدة"، بترحاب شديد، حيث عرضت عليه المساعدة العسكرية ضد الفرس، ولكنه رفض عروض المساعدة، لأنه ليس من اللائق للإمبراطورية الرومانية أن تقبل المساعدات العسكرية من أي دولة خارجية، لأن روما هي التي يجب أن تساعد وتدافع عن أصدقائها إذا اقتضت الضرورة وطلبوا المساعدة(٢٢١).

ولكن إذا كان أميانوس لم يذكر من أي البلاد كانت السفارات، فإن هناك من المؤرخين من أشار إلى أن بعض هذه السفارات كان من جانب رؤساء القبائل العربية لا سيما تميم وبكر بن وائل وعبد القيس(٢٢٢). كما ذكر ابن الأثير أن

أنظر أيضاً: فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، (القاهرة، ١٩٨٦م)، ص ٦٢.

(216) Norwich: op.cit., p. 96; Bowersock: op.cit., p. 108.

(217) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. II.p.325.

(218)New- Histort: p. 177.

(219)Ammianus: op. cit., vol. II, p. 325. Cf. also, Giuseppe: op.cit. p. 236.

(220)Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 159; Jones: op.cit., p. 61.

(221)Ammianus Marcellinus vol. II, p. 315.

(222)الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ١، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ص ٤٩١. أنظر أيضا:

العرب شاركوا في حملة جوليان: "واجتمعت العرب للانتقام من سابور، فاجتمع عسكر إليانوس منهم خلق كثير"(٢٢٣).

هذا ويشير أميانوس إلى أن أرساكيس Arsaces، ملك أرمينيا هو فقط الذي أمره جوليان بأن يكون على أهبه الاستعداد، وأن ينتظر الأوامر في أي وقت لمعرفة المكان الذي سوف يتجه إليه، وما سوف يقوم به(٢٢٤).

وهنا تجدر الإشارة، إلى أن جوليان عول كثيرا في استعداداته على الكهنة وكتب العرافين لإخباره بنتائج حملته، كما روى المذابح بدماء المئات من الأضاحي والآلاف من الطيور، وكان يقوم بممارسة الذبح بنفسه وما يتبعه من طقوس، لا سيما الطيور البيضاء، لأن لونها فأل يبشر بالخير(٢٢٥). ويذكر بعض المؤرخين أن العرافين أشاروا عليه بأن الآلهة المتعلقة بهم يدقون طبول الحرب، ولهذا عول على ذلك كثيرا(٢٢٦). ولم يأبه بآراء بعض كتب العرافين التي أوحت بأنه لا يجب عليه أن يغادر حدود إمبراطوريته سنة ٣٦٣م(٢٢٧).

وفي غضون ذلك وصلت التقارير إلى الملك سابور الثاني بحجم الاستعدادات الهائلة للإمبراطور جوليان، ومن ثم فإن ذلك حرك عامل الخوف

Giuseppe: op. cit., p. 233; Irfan Shahid: Byzantiun and the Arabs in the fourth Century, (U.S.A, 1984), p. 32.

(223)الكامل، جـ١، (لبنان، ١٩٧٨م)، ص ٢٣٠. هذا ويشير الطبري إلى أن العرب كان لديهم في ذلك الحين المبرر الكافي لمشاركتهم في حملة جوليان ضد سابور الثاني، ملك الفرس الذي "أفشى فيهم القتل وسفك فيهم الدماء سفكا سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يزى أنه لن ينجيه منه غار في جبل ولا جزيرة في بحر". ولكن الطبري يبدو أنه بالغ عندما قال إن قوات جوليان من العرب بلغت حوالي مائة وسبعون ألف مقاتل". تاريخ الأمم والملوك، جـ١، ص ٤٩١- ٤٩٢.

(224) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 325. Cf. also, Bowersock: op- cit., p. 108.

(225) وللمزيد من التفاصيل. أنظر:

Ammianus: op. cit., II, p. 267, 269, 273. Cf. also, Vasiliev: History of the Byzantine Empire, 324- 1453, vol. I, (U.S.A 1952), p. 72.

(226)Theophanes: op. cit., p. 82.

(227) Ammianus: op. cit., vol. II., p. 315.

داخله، وسعى لعدم قيامها؛ فأرسل خطاباً إلى الإمبراطور يعرض عليه مناقشة الخلافات بينهما على مائدة المفاوضات، وعقد معاهدة السلام بين الجانبين بالشروط التي يرتضيها الإمبراطور(٢٢٨). ولكن جاء رد الإمبراطور جوليان على سابور مخيبا لأمله لأنه بعد أن قرأ الخطاب في حضرة السفير الفارسي، مزقه وألقاه على الأرض، وخاطب السفير قائلاً، وهو يبتسم في سخرية: "ليس من الضروري عقد معاهدة بواسطة السفراء، لأنكم سوف تروني بشخصي في البلاط الفارسي بعد قليل"(٢٢٩). وعلى أية حال، لقد كان هذا الرد القوي إنذارا للملك سابور الثاني، ومع أنه لم يكن جديدا في مجال العلاقات الدبلوماسية، فإنه كان إعلانا للحرب(٢٣٠). وهكذا فإن رد جوليان يوحى بأنه كان عازما على احتلال مدينة طيسفون Ctesiphon. وفي غضون ذلك سعى البعض- من حاشية الإمبراطور- لإرجاء الخروج بالحملة ولكن جوليان كان مصمما على الخروج بها(٢٣١).

ولذلك ما إن حل ربيع سنة ٣٦٣م، حتى أعطى الإمبراطور جوليان الأوامر لقواته بعبور نهر الفرات، وبالفعل تم عبور النهر على جسر القوارب الذي أقيم عليه ومن ثم تمركزت القوات في عدة أماكن منتظرة قدوم جوليان، الذي غادر أنطاكية في الخامس من شهر مارس من نفس العام، وعن طريق ليتاربيه Litarbae (طرسوسه)، وبرويا Beroea (حلب) وصل إلى مدينة

(228) Socrates: The Ecclesiastical History, (London, 1914) p. 197. Cf. also, Giusippe: op. cit., p. 220, 229; Gibbon: op. cit., vol. Iv, P. 143; Treadgold: op. cit., p. 61; Bowersock: op. cit., p. 106;
أنظر أيضاً: إسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في "مدينة الله"، (القاهرة، ١٩٧٢)، ص ٧١.

(229) Libanius: "Julian the Emperopr" Funeral Oration for Julian, tr., by Roger Pears (1888, net., 2004), p.8, Socrates: op. Cit. p. 197.

(230) Giuseppe. Op cit., p. 229.

(231) Stark: op. cit., p. 348.
وطيسفون: مدينة كبيرة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، على مقربة من بغداد. وهي عاصمة الإمبراطورية الفارسية. انظر:
Matthew Bunson: op. cit., p. 119.

هيرابوليس. Hierapolis (منبج)، على نهر الفرات(٢٣٢). وهناك طالب جوليان بتجمع كل السفن الرومانية التي اعتادت الإبحار في الفرات، وأعطى قيادتها إلى أحد أقاربه هيربوس Hierius . وأمره بالتقدم في الفرات ناحية الجنـوب(٢٣٣). وفي النهاية عبر جوليان نهر الفرات وتقدم على رأس قواته إلى مدينـة باتنيـه Batnae(٢٣٤)، ومن هناك وصل إلى مدينة كاري Carrae (مدينـة حـوران)(٢٣٥). ويذكر بعض المؤرخين أن جوليان كان مسرعاً في تقدمه لأنه كان قلقـاً من وصول إية أخبار عن تقدمه إلى الفرس(٢٣٦).

وفي مدينة كاري توقف الإمبراطور جوليان لوضع الترتيبات النهائيـة وتنظيم القوات، لا سيما أنه أصبح على وشك بدء الـدخول فـي معـارك مـع الفرس. ونظراً لأن كاري كانت نقطة الانفصـال لطـريقين إلـى الأراضـي الفارسية، أحدهما من كاري ثم مدينة نصيبين فنهر دجلة، وثانيهما من كاري إلى الفرات والتقدم بمحاذاته جنوبا فإن جوليـان وقـع فـي حيـرة أي الطـريقين يختار؟!(٢٣٧). وبينما هو كذلك وصلت إليه الأخبار بواسطة جنـود اسـتطلاعه مفادها أن القوات الفارسية قامت بمهاجمة الأراضي الرومانية، فأدى ذلك إلـى

---

(232)Ammianus: op. cit., vol. II, p. 315, 317; Zosimus: op. cit., p. 76, Libanius: op. cit., p. 15. Cf. also Giuseppe: op. cit., p. 235; Norwish: op. cit., p. 97; Gibbon. Op. cit, vol. IV. Pp. 153- 154. Bowersock: op. cit., p. 108.

(233)Zosimus: op. cit., p. 76.

(234)باتنيه: مدينة صغيرة تقع في منتصف الطريق بين هيرابوليس وكاري وعلى بعد عشرين ميلاً من مدينة هيرابوليس. أنظر:
Ammians: op. cit., vol. II. P. 319. Cf. also. Gibbon: op. cit., vol. VI. PP. 155- 156.

(235) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 319.
ويذكر زوسيموس أن جوليان مكث في مدينة هيرابوليس ثلاثة أيام. كما ينفرد أيضاً بالإشارة إلى أن الإمبراطور ذهب إلى مدينة الرها بدعوة من أهلها ثم غادرها إلى كارى. انظر:
New History, p. 76.

(236)Giuseppe: op. cit., p. 236.

(237) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 391, 321; Zosimus: op. cit., p. 76 Cf. also, Lietgmann H: Histoire de l' Eglise Ancienne, Tome III, (Paris, 1941), p. 295; Giuseppe: op. cit., p. 236.

إثارة الرعب في معسكر جوليان. الذي قرر على الفور أن يترك قسماً من قواته للدفاع عن الأراضي الرومانية قرب نهر دجلة في أعالي بلاد ما بين النهـرين وكذلك حماية القوات التي سترافقه عبر نهر الفرات إذ ما فكـر الفـرس فـي مهاجمتها من الخلف(٢٣٨).

ومن هذا المنطلق فصل جوليان ثلاثين ألف جندي مـن خيـرة قواتـه ووضعهم تحت قيادة بروكوبيوس Procopius وسبستيان Sebastian، اللـذين صدرت إليهما الأوامر بالبقاء مؤقتاً في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين، غرب دجلة، لمنع حدوث أي هجمات فارسية، وعند الشعور بـالأمن فعليهمـا الانضمام إلى جيوش أرشاكيس ملك أرمينيا، ثم التقدم معـاً ناحيـة الجنـوب مدمرين ما يقابلهم من المدن الفارسية، أو حتى قوات سابور الثاني إذا اشـتبكت معهم، ثم عبور نهر دجلة والالتقاء به أمام أسوارطيسـفون عاصـمة الفـرس، لفرض الحصار عليها(٢٣٩). ويعلق بعض المؤرخين على خطة جوليان قائلين إن الهدف منها خداع جواسيس الملك سابور الثاني وتشتيت انتباهه حتى لا يعـرف من أين ستأتيه الضربة، هل بواسطة دجلة أم الفرات، وهذا في حد ذاتـه يعـد عملاً تكتيكياً رائعاً في مجال الخداع الذي يتم في الحروب(٢٤٠). ولكن ما ينبغي علينا معرفته أن نجاح خطة الإمبراطور جوليان السابقة، كان يتوقف – بدرجـة كبيرة– على مساعدة أرساكيس ملك أرمينيا، الذي أعلن أنه سوف يساعد القوات الرومانية بحوالي أربعة ألاف من الخيالة، وعشرين ألفاً من المشاة(٢٤١). ولكنـه ما لبث أن تراجع عن تعهداته، ولم يأبه بخطابات التهديد والوعيد التي بعث إليه

---

(238) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 321, Zosimus: op. cit., p. 177.

(239) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 321. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 157; Giuseppe: op. cit., p. 237; Stark op. cit., p. 348; Bowersock: op.cit., p.11.

قدر بعض المؤرخين القوات التي فصلها جوليان بحوالي ١٩٠٠٠ ألف جندي :Zosimus op. cit., p.177 في حين قال آخرون إنها حوالي ٢٠٠٠٠ ألف

LibaniusL: op.cit., p. 15. Cf. also, Franzius: op. cit., p. 37.

أما ك.ل. لستارجيان، فقد ذكر أنها حوالي ١٨٠٠٠ ألف فقط، أنظر:

تاريخ الأمة الأرمينية، (الموصل، ١٩٥١)، ص ١٣٥.

(240) Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 154; Giuseppe: op. cit., p. 238.

(241) Gibbon: op. cit., vol. IV, 157.

بها الإمبراطور جوليان، والتي توعده فيها بإعلان الحرب عليه بعد انتصاره على الفرس وتحويل أرمينيا إلى إقليم روماني(٢٤٢).

وجدير بالذكر أن عدم مشاركة أرشاكيس بقواته مع القائد بروكوبيوس أفقد قوات هذا القائد أهميتها العسكرية، وأدى إلى فشل المهمة التي كانت مكلفة بها، ولذلك لم تشارك هذه القوات بأي نصيب في حملة الإمبراطور جوليان، حتى بعد وفاته(٢٤٣).

وعلى آية حال، يذكر بعض المؤرخين أن جوليان تلقى آنذاك المساعدات المالية والعسكرية والمادية من بعض قادة المنطقة، الذين قدموا له الولاء. ولكن المؤرخين لم يبينوا جنسية هؤلاء القادة(٢٤٤).

ومهما يكن من أمر، فبعد وضع الترتيبات النهائية، ولخداع جواسيس الملك سابور الثاني، أعلن الإمبراطور جوليان على الملأ بأنه سوف يسير بقواته إلى نصيبين ثم نهر دجلة، ولكنه فجأة تحول إلى السير ناحية الفرات، فوصل بقواته إلى قلعة كالينيكوم Callinicum(٢٤٥). وهناك انتظر الإمبراطور جوليان حتى وصل أسطوله، الذي تابع تقدمه، منذ ذلك الوقت، في نهر الفرات جنباً إلى جنب مع القوات البرية(٢٤٦).

---

(242) للمزيد من التفاصيل عن ذلك. أنظر:
موسيس خوريناتسي: المصدر السابق، ص٢١٩؛ لستارجيان: المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦.
يذكر بعض المؤرخين أن سبب عدم تقديم أرساكيس المساعدات إلى جوليان هو ارتداد الأخير إلى الوثنية. أنظر: لستارجيان: المرجع السابق، ص ١٣٦.

(243) Giuseppe: op. cit., p. 238.

(244) Walter E.: op. cit., p. 10.

(245) Ammianus E: op. cit, vol. II. P, 323; Zosimus: op. cit, p. 177. Cf also, Gibbon: op. cit., IV, p. 159. Bowersock: op. cit., p. 120.
كان وصول جوليان إلى قلعة كالينيكوم في ٢٧ مارس. أنظر:
Giuseppe: op. cit., p. 238; Lietzmann: op. cit., p. 296.
وكالينيكوم: قلعة قوية وحصينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات. أنظر:
Ammianus: op. cit., vol. II, p. 323.

(246) Zosimus: op cit., p. 177. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 238.

وعلى كل غادر جوليان على رأس قواته قلعة كالينيكوم، متقدماً بمحاذاة الساحل الشرقي للفرات، فوصل إلى مركز طليعة الجيش، الذي كان قد وضع في المقدمة لحماية الحملة من أي هجوم مفاجئ، فتوقف عن السير، وعندئذ قدم إليه بعض رؤساء القبائل العربية، حاملين إليه تاجاً من الذهب، وعارضين عليه طاعتهم ومساعدتهم، فاستقبلهم بحفاوة وقبل مساعدتهم، وذلك لأنهم كانوا مهرة في حرب العصابات(٢٤٧). ويبدو من ذلك أنه عقد عليهم الآمال(٢٤٨). وهنا ينفرد ليبانوس بالإشارة إلى أن جوليان شاهد آنذاك قطيعاً من الجمال العربية المحملة بالخمور تسير خلف قواته، وعندما سأل قواده وعرف ما تحمله أمر بإيقافها، علماً بأن الخمور التي تحملها سوف تكون مفيدة لقواته، قائلاً عبارته الشهيرة: "إنه من الأصلح للجنود أن يشربوا الخمر الذي تكسبه سيوفهم"(٢٤٩). وفي بداية أبريل وصل جوليان بقواته إلى قلعة سيركوزيوم Circusium، آخر المستعمرات الرومانية في بلاد ما بين النهرين(٢٥٠).

وجدير بالذكر، كان الأسطول الروماني يسير في نهر الفرات حاملاً المؤن والأمتعة جنباً إلى جنب مع القوات البرية(٢٥١).

ويذكر ستارك أن سفن الأسطول كانت محملة بالكعك biscuit على كافة أنواعه، والخل vinegar، الذي شربته القوات مخلوطاً بالماء. انظر:

Roman on the Euphrates, p. 348.

(247) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 325. Cf. also Bowersock: op. cit., p. 110.

(248) نينا فكتور فنا بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت، ١٩٨٥)، ص ٥٠.

(249) "Julian the Emperor,: p.15.

(250)Ammianus: op. cit., vol.II,. p. 333, 335. Cf. also Gibbon: op. cit., Vol. IV, p. 159, Walter E.: op. cit., p. 10.

سيركوزيوم: قلعة حصينة تقع عند ملتقى نهر أبو راس Aboras (الخابور) بنهر الفرات. كانت تستخدم للدفاع عن سوريا ضد الغزوات الفارسية. أنظر:

Giuseppe: op. cit., p. 238.

(251)Gregory Nazianzen: op. cit., p.3. Cf. also, Stark op. cit., p. 348.

وعلى كل، مكث جوليان لبعض الوقت في قلعة سيركوزيوم، حيث قام بتقوية دفاعاتها بأربعة آلاف جندي من قواته، كما أمر بتشييد كوبري من القوارب لعبور نهر أبو راس (نهر الخابور). وبعد عبور النهر أصدر جوليان أوامره بتدميره حتى لا تفكر قواته في الانسحاب أو العودة من ساحات القتال(٢٥٢).

وكان جوليان أثناء وجوده في سيركوزيوم قد وصله خطاباً من سالوستيوس Sallustius ، وإلى بلاد الغال، يطلب منه عدم الاستعجال في قتال الفرس، دون تقديم الصلاة للحصول على حماية الآلهة، وإن لم يفعل ذلك سوف يعرض نفسه لهزيمة لا مفر منها. ولكن جوليان لم يعر هذا الالتماس اهتماما مؤمناً بأنه لا توجد هناك أية قوة يمكن أن تدفع عنه قدر السماء(٢٥٣).

وهنا يقول المؤرخ أميانوس إن جوليان بعد عبوره نهر أبو راس وجد من الضروري جدا إلقاء خطبة حماسية على مسامع قواته، وذلك بهدف زيادة ثقتهم في أنفسهم وفي قائدهم. وعلى الفور دوت الأبواق، وعندما اجتمعت قواته اعتلى ربوة عالية، ووسط الجميع راح يتحدث جوليان عن شجاعة وقوة وبسالة الجندي الروماني الذي لا يقهر. ثم استطرد موضحا أنه إذا كان بعض الأباطرة الرومان قد هزموا على يد الفرس فإن الآخرين قد حققوا انتصارات عديدة عليهم. وما إن انتهى جوليان من خطابه حتى ارتفعت هتافات قواته مدوية معلنين "أن الله سوف يشهد نجاح الإمبراطور الذي لم يتمكن أي جيش مهما كانت قوته، من هزيمته"(٢٥٤). وفي محاولة من الإمبراطور لرفع الروح المعنوية لقواته أكثر فقد أعطى- بعد الخطاب- كل جندي مائة وثلاثين قطعة من الفضة(٢٥٥).

---

(252)Ammianus: op. cit., vol. II, p. 335. Cf. also, Giuseppe: op. cit,. p. 238.

(253) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 335, 337.

(254) Ibid: vol. II, p. 343, 399

أنظر أيضاً: ذوسيموس، الذي لم يذكر سوى أن جوليان ألقى خطابا في قواته.

New- History, p. 177.

(255) Zosimus: op. cit., p. 177.

وقبل مواصلة جوليان سيره نظم قواته في تشكيلات قتالية، فوضع في مقدمة القوات حوالي ألف وخمسمائة جندي، وهؤلاء كان الهدف منهم استكشاف المنطقة أمام الجيش الرئيسي، وتأمين الطريق لتقدمه حتى لا يتعرض لهجوم مفاجئ. أما بقية القوات فقد قسمت إلى قلب، ميمنة، ميسرة ومؤخرة، وكان هو يتولى قيادة القلب الذي تكون من المشاة(٢٥٦).

ولكي يملأ جوليان قلوب الفرس رهبة إذا ما قابلوه، وضع خطة عسكرية رائعة تمثلت في زيادة المسافات بين فيالق الجيش من الفرسان والمشاة، لدرجة أن المسافة بين المؤخرة وطليعة الجيش كانت حوالي عشرة أميال (١٧كم). والهدف من ذلك هو شعور الناظر إليها بالرهبة عندما لا يتمكن من رؤية نهايتها(٢٥٧).

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الإمبراطور جوليان كان قائداً صهرته الخبرة وحنكته فنون القتال في ساحات المعارك، ولذلك كان لديه بعض من الخوف، لا سيما وأنه يسير في أراض غير ملم بتضاريسها، ومن الممكن أن يسقط في أحد الكمائن التي قد ينصبها له الفرس. والباحث من جانبه يوافق أميانوس فيما قاله بخصوص هذا الموضوع(٢٥٨).

أما بخصوص الأمتعة ودواب الحمل والخدم والأتباع غير المسلحين، فقد وضعها جوليان في الأماكن الخالية بين فيالق الجيش.

لسببين: الأول، هو ضمان عدم ظهور المسافات الموجودة بين القوات للأعداء لأن ذلك لو حدث فستتكشف خطته الحربية. أما السبب الثاني، فهو ضمان حماية الأمتعة والخدم والمؤن من أيٍ هجوم مفاجئ إذا تركوا بدون حماية. في حين أن الأسطول كان يسير جنباً إلى جنب مع القوات(٢٥٩).

---

(256) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر:
Ammianus: op. cit., p. 401; Zosims: op. cit., p. 177. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 161- 162; Stark op. cit., p. 349; Giuseppe: op. cit., 241; Bowersock: op. cit., p. 111.

(257) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 401.

(258) Loc. cit: vol. II, p. 401.

(259) Ibid., p. 403: Zosimus: op. cit., p. 177.

"وبعد هذه الترتيبات"، يقول أميانوس، "وصلنا إلى المكان الذي يـدعى ذيثا Zaitha"(٢٦٠)، ومن هناك وصلت الحملة الرومانية إلـى دورة Dura(٢٦١)، بعد يومين من السير المتواصل. وفي هذه المنطقة قام الجنود الرومان باصطياد العديد من الغزلان، التي وفرت لهم طعاماً شهياً(٢٦٢).

أما بالنسبة للفرس ودورهم في التصدي للإمبراطور جوليان وقواته منذ عبرت نهر أبوراس، فالمصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة لـم تشـر إلى أي دور للفرس حتى وقتئذ. وهذا ما يدفع الباحث إلى القول إن الفرس ربما تركوا الطريق مفتوحاً أمام تقدم جوليان لسببين:

الأول: هو أنهم ليست لديهم المقدرة على التصدي لقوات جوليان، أمـا السبب الثاني: فهو أنهم تركوا جوليان يتقدم بهدف إنهاك قواته، وتوفير قـواتهم لمحاولة الدفاع عن عاصمتهم، وهذا ما حدث بالضبط، كما سنرى فيما بعد.

غادر جوليان بقواته قلعة دورة، وبعد أربعة أيام وصل أمام قلعة أناثـا Anatha(٢٦٣) الفارسية، وعندئذ سعى للاستيلاء عليها خلسة أثناء الليـل ولكـن خطته فشلت، لانكشاف القوات التي بعث بها في الصباح، وكانت هناك محاولـة منه شخصياً ولكنه وجدها تمثل خطورة عليه وعلى قواته من الحامية الفارسـية المدافعة عن هذه القلعة. ولذلك لجأ إلى حيلة أخرى تمثلت في دعوة حامية القلعة إلى التسليم دون قتال، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى الحفاظ على حياتهم، أمـا إذا قاوموا فإنه سوف يحاصرهم ويستولى على قلعتهم بالقوة، وعند ذلـك لـن يرحمهم، الأمر الذي دفعهم إلى التفاوض مع أورميسداس، وأخيراً قاموا بالتسليم

---

(260) ذيثا: مدينة قديمة تقع على نهر الفرات بين نهر أبوراس (الخابور) ودورة، وهي تعنى "شجرة الزيتون. Stark: op. cit., p. 348, Olive tree.
ويطلق عليها زوسيموس اسم "لوثا "New- History, p. 178, "Loutha
(261) دورة: قلعة على نهر الفرات جنوب ذوثا. أنظر:
Ammianus. op. cit., vol. II, p. 403.
(262) Ammuanus: op. cit., vol. II, p. 337, 403; Zosimus: op. cit., p. 178.
Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242.
(263) أناثا: قلعة تقع إلى الجنوب من دورة في قلب نهر الفرات. أنظر:
Ammianus: op. cit., vol. II. P. 403. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242.

مقابل الحفاظ على حياتهم، فنقلهم جوليان إلى خالكيس Chalcis، ورقى قائد القلعة بوسيوس Pusaeus إلى رتبة عالية في الجيش، وفي النهاية أشعل النار في القلعة(٢٦٤).

ويذكر أميانوس أن آمال القوات الرومانية قد ارتفعت وزادت ثقتهم في أنفسهم، لا سيما بعد الاستيلاء على قلعة أناثا، فهتفوا بحياة الإمبراطور جوليان واثقين أنهم من الآن فصاعداً سوف يكونون في حماية الله(٢٦٥).

وجدير بالذكر أن العرب قد حضروا إلى معسكر جوليان آنذاك، فاستقبلهم الرجل استقبالا طيباً وكافأهم ثم انصرفوا(٢٦٦). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العرب اختاروا آنذاك الوقوف مع الرومان ضد الفرس. ولقد آثرت قوى الطبيعة آنذاك أن تقف إلى جانب الفرس، فسوى الإعصار خيام المعسكر الروماني بالأرض، كما فاض نهر الفرات فجأة، وانهارت السدود الموجودة على فروعه فأغرقت المعسكر الروماني. ولكن أميانوس- المصاحب للحملة- قال: "ولم يستطع أحد معرفة ما إذا كانت هذه الانهيارات قد حدثت بتدبير الفرس أو أن ذلك نتج عن ضغط المياه الهائل"(٢٦٧).

وتحكي إحدى المصادر التاريخية أن جوليان واصل تقدمه في انضباط شديد خوفاً من مفاجأة الفرس. وأثناء هذا التقدم أشعل النار في جميع حقول الفاكهة والقمح الفارسية لا سيما بعد أن حملت منها قواته ما يكفيها(٢٦٨). وكان هدف الإمبراطور جوليان من ذلك منع الفرس من الحصول على المؤن الأمر الذي سيؤدي إلى انخفاض روحهم المعنوية.

---

(264) للمزيد من التفاصيل عن ذلك. أنظر:
Ammianus: op. cit., Vol. II. pp. 403, 405; Zosimus: op. cit., p. 178; Libanius: op. cit., p. 15.
وخالكيس: مملكة صغيرة في سوريا. Matthew Bunson: op. cit., p. 82.

(265) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. II, p. 407.

(266) Ibid: Vol. II, p. 405, 407. Cf. also, Walter E: op. cit., p. 10

(267) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 407.

(268) Ibid., vol. II, p. 409.

وعندما وصل الإمبراطور جوليان إلى حصن ثيلوثا Thilutha، على الضفة الشرقية لنهر الفرات عرض على حاميته وسكانه التسليم مقابل حفظ أرواحهم، ولكنهم رفضوا، وتحدوه في كبرياء قائلين له: "إنهم لن يستسلموا إلا إذا تمكنت القوات الرومانية من الاستيلاء على بقية الأقاليم الفارسية الداخلية"، ولم يهتزوا من وجود الأسطول الروماني تحت أسوار حصنهم. وما حدث لحصن ثيلوثا فقد انطبق على حصن أتشاياكالا Achaiachala(٢٦٩). ولهذا وصل جوليان تقدمه مكتفياً بوعود سكان حصني ثيلوثا واتشاياكالا بالتسليم بعد الاستيلاء على بقية الأقاليم الفارسية، ومقتنعاً بأنه من الأفيد له الإسراع في حملته وتوفير جهده ووقته للمعركة الحاسمة مع الفرس وعدم إهدار الوقت في مسائل صغيرة(٢٧٠).

وبدون شك كان لإحراق قلعة أناثا وتهجير سكانها بالغ الأثر في تحدي بقية القلاع الفارسية الأخرى للإمبراطور جوليان. أما القلاع التي وجد أهلها عدم قدرتهم على الدفاع عنها فقد هربوا منها قبل وصول جوليان إليهم. وهذا ما عبر عنه أميانوس بقوله: "وفي اليوم التالي، قلعة أخرى، التي هجرها سكانها بسبب ضعف أسوارها، تم إشعال النار فيها عند مرورنا"(٢٧١). وهذا ما حدث بالضبط مع قلعة دياكيرا Diacira(٢٧٢)، التي عبرت إليها القوات الرومانية الفرات من أمام قلعة باراكسمالكا Baraxmalcha، فبعد نهب وسلب ما بها من محاصيل قتلوا النساء اللاتي كن في القلعة، وهدموا مبانيها، "لدرجة أن الإنسان عند رؤيته لهذا المكان لا يمكن أن يتخيل أنه كانت توجد فيه مدينة"(٢٧٣).

---

(269) Ammianus: vol. II, pp. 409- 411; Zosimus: op. cit., p. 178. Cf. also, Gibbon: op- cit., vol. IV, p. 165; Walter E.: op. cit., p . 10.

(270) Zosimus: op. cit., p. 178.

(271) Ammianus: op. cit., Vol. II, pp. 411.

(272) دياكيرا: تقع على بعد سبعة أميال من نهر الفرات. غنية بالقمح والملح الأبيض الناعم. أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 411.

(273) Zosimus: New History, p. 178; Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 411. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242.

وجدير بالذكر، أن ما حدث في أوزوجاردانا Ozogardana[٢٧٤] كان شبيهاً لما حدث في دياكيرا؛ لا سيما بعد هروب السكان منها[٢٧٥].

وعلى آية حال، ينفرد زوسيموس بالإشارة إلى أن الإمبراطور جوليان دهش، لأن قواته تقدمت لمسافات طويلة داخل الأراضي الفارسية دون أن تقابل أي نوع من أنواع المقاومة، سواء كانت كمائن أو مواجهات علانية، ولهذا بدأ يرتاب في الأمر وخوفاً من أن تكون هناك كمائن في الطريق، اختار جوليان قائده أورميسداس، وبعث به على رأس فرقة من الجيش لاستطلاع المنطقة التي ستعبرها القوات الرومانية، لاسيما وأنه كان على دراية تامة بالأراضي الفارسية[٢٧٦].

وهنا حدث ما كان يتخوف منه جوليان. إذ أن السورينا Surena، ومعه بعض القوات العربية، قاد كميناً في الطريق لأورميداسه ولكن القوات الرومانية استطاعت أن تحرز انتصارا كبيراً على السورينا ومن معه. وهذا هو أول لقاء بين الرومان والفرس، وأول مرة يرى فيها الرومان الجيش الفارسي[٢٧٧]. ولقد أدى هذا الانتصار إلى رفع الروح المعنوية للقوات الرومانية[٢٧٨]. وبالطبع قلل ذلك من هيبة القوات الفارسية في عيونها.

وعند قرية ماسبراكتا Macepracta[٢٧٩]، التي وصل إليها الجيش الروماني، وأثناء محاولته عبور القنوات المائية التي كانت تتفرع من الفرات،

---

(274) أوزوجاردانا: قلعة تقع إلى الجنوب من دياكيرا على الضفة الغربية للفرات.

(275) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 411. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242

يطلق ذوسيموس على أوزوجاردانا اسم زاراجارديا Zaragardia، انظر:

New History., pp. 178- 179.

(276) New Historu., p, 179.

(277) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 411.

أنظر أيضا: نينا فكتور: المرجع السابق: ص : ٥١.

والسورينا: القائد الذي كانت له المرتبة الثانية بعد الملك الفارسي بين الفرس.

أنظر: Giuseppe: op. cit., p. 242.

(278) Ammianus: op. cit., vol., II. p. 413.

(279) ماسبراكتا: قرية تقع على الصفحة الشرقية للفرات.

تعرض لهجوم مباغت من قبل الفرس، أدى لموت الكثير من القوات الرومانية، ولكن الفرس تعرضوا لهزيمة ساحقة في النهاية(٢٨٠).

والواقع، أن هزيمة الفرس عند ماسبراكتا فتحت الطريق أمام الرومان إلى مدينة بريسابورا Pirisabora(٢٨١). تلك المدينة التي أفاضت المصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة والمراجع الحديثة في وصف الحصار الذي فرضه الإمبراطور جوليان عليها، ودور أهلها في الدفاع عنها. فعندما وصل جوليان أمامها قام على الفور بمعاينة أسوارها، ثم بدأ بفرض الحصار الشديد عليها، وكان هدفه من ذلك إنزال الرعب في قلوب سكانها، الأمر الذي يقودهم إلى التسليم بسرعة. ولم يقتصر الأمر على الحصار فقط، بل إن جوليان راح يعد السكان حول إمكانية العفو عنهم إذا قاموا بالتسليم ولم يقاوموا، أما إذا قاوموا وتم الاستيلاء على المدينة بالقوة فإنه سوف يبيدهم. ولكن حامية المدينة والسكان لم يعيروا هذه التهديدات انتباها، واستخدموا جميع أسلحتهم ضد القوات الرومانية. وفي نفس الوقت طلبوا المقابلة مع أورميسداس لمناقشته في الأمر، ولكن عند وصوله أمام أسوار المدينة إنهالوا عليه بالشتائم، واتهموه بالخيانة والعمل مع الرومان ضد مصالح بلاده، ورفضوا التسليم. فأدى ذلك لاستثارة جوليان فدفع بكل ما لديه من آلات الحصار حتى تمكن في النهاية من كسر الأسوار، الأمر الذي ترتب عليه هروب المدافعين عن المدينة وسكانها إلى داخل قلعتها، ومرة ثانية راحوا يقاومون القوات الرومانية بشراسة، ولكن القوات الرومانية انسابت داخل المدينة وفرضت الحصار على القلعة(٢٨٢).

---

(280) Ammianus: Vol. II, pp. 413- 415; Zosimus: op. cit., p. 179. Cf. also, Gibbon: op. cit., Vol. IV, p. 166; Giuseppe: op. cit., p. 242.

يشير جيبون أن الحملة الرومانية قطعت مسافة ثلاثمائة ميل من قلعة سيركيزيوم وحتى أسوار ماسبراكتا. Loc. Cit.

(281) Libanius: op. cit., p. 16.

مدينة بريسابورا تقع على بعد حوالي خمسين ميلاً من طيسفون، العاصمة الفارسية، وجنوب غرب بغداد، وهي مدينة سيبار Sippar أو الأنبار Anbar، كانت مسورة بأسوار ضخمة من الطوب الملصوق بالقار. وهي مدينة واسعة ومأهولة بالسكان. أنظر:

Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 415. Cf. also. Stark: op. cit., p. 349.

(282) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 115, 117; Zosimus: op. cit. p. 179; Libanius: op. cit., p. 16. Cf. also, Gibbon: op. cit., Vol.. IV, pp. 169- 170; Giuseppe: op. cit., p. 243.

وأمام هذا الحصار الخانق والقتال الضاري، الذي كان يشارك فيه الإمبراطور جوليانع بنفسه، أعلنت حامية المدينة الاستسلام، وطالبت بحضور أورميسداس للتفاوض معه، وكان لهم ما أرادوا، فتم إنزال مامرسيدس Mamersides، قائد حامية المدينة، بحبل من القلعة، ونقل إلى جوليان، وبعد توسلاته حصل من الإمبراطور على وعد بعدم التعرض إليه وإلى حامية المدينة أيضاً، ثم عاد إلى القلعة، حيث تمت الموافقة على ما تم التوصل إليه مع جوليان، الأمر الذي ترتب عليه فتح أبواب القلعة في نهاية الأمر(٢٨٣).

وينفرد المؤرخ زوسيموس. بالإشارة إلى أن سكان بريسابورا حصلوا على وعد من جوليانع بأن كل من في القلعة "سيمرون بدون إزعاج وسط الجيش الروماني وسوف يتسلم كل منهم مبلغاً من المال وثوباً". ثم توقف عن الحديث عن أية تفصيلات أخرى في هذا الشأن(٢٨٤).

وهنا يوضح لنا ليبانوس أيضاً أن من شروط التسليم أن المدافعين عن المدينة اشترطوا عدم عودتهم إلى فارس، حتى لا يتم سلخهم أحياء بسبب تسليمهم، فلقد كانت هناك أوامر بالدفاع عن المدينة حتى لو ماتوا جميعا(٢٨٥).

والجدير بالذكر أن أميانوس، الذي حضر حصار مدينة بريسابورا لم يشر إلى شيء من هذا القبيل، بل كل ما قاله إنه كان هناك حوالي ألفان وخمسمائة أسير فقط سمح لهم بالخروج من المدينة(٢٨٦). أما زوسيموس فقد ذكر أن عددهم كان خمسة آلاف. ولعل ذلك يرجع إلى أن الكثير من السكان كانوا قد هربوا من المدينة عند سماعهم باقتراب الجيش الروماني(٢٨٧).

---

(283) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 421.
(284) New- History: op. cit., p. 179.
(285) "Julian The Emperor" p. 16.
(286) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. 11, p. 421.
(287) New- History., pp. 179- 180.

ولم تغفل المصادر الحديث عن الكميات الضخمة من المؤن والأسلحة التي حملها الجيش الروماني من قلعة مدينة بريسابورا. وما ترك تم إشعال النار فيه وألقى بعضه في نهر الفرات، كما تم إشعال النار في القلعة ذاتها(٢٨٨).

ويرى المؤرخ زوسيموس أن النصر الكبير الذي كسبه الرومان على الفرس في مدينة بريسابورا أدى إلى زيادة هيبة الجيش الروماني بطريقة لا يمكن تصورها، لأن المدينة العظيمة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد طيسفون والتي كانت محصنة تحصينا جيداً، تم الاستيلاء عليها في خلال يومين فقط(٢٨٩).

وعلى أية حال، بعد انقشاع غبار معركة بريسابورا وتوقف صليل السيوف وصهيل الخيل، جمع جوليان قواته، ومن على المنبر قدم لها الشكر على هذا العمل العسكري الكبير، وحثها على العمل بنفس القوة في المستقبل، ووزع على كل رجل مائة قطعة من الفضة(٢٩٠). ولأن الجنود كانوا ينتظرون أكثر من ذلك فقد اظهروا امتعاضهم، الأمر الذي أدى إلى إثارة جوليان فخاطبهم موضحا إليهم أن خزائن الإمبراطورية الرومانية خاوية، والسبب في ذلك أن الكثير من أباطرة روما، واظبوا على شراء السلام من البرابرة، حتى يعيشوا في أمان، "إنني أعرف أنكم ترغبون أن تكونوا أغنياء، انظروا إلى الفرس، يرفلون في الثروة من كل نوع. إن الأغنياء من هذا الشعب يمكن أن يوفروا لكم مالا كثيراً... إذا اتبعتم، بدون خوف، قيادة الرب وجنرالكم (يقصد نفسه)، ولكن إذا عارضتموني، وكررتم مشاهدكم المخجلة، المتمثلة في عدم رضاكم السابق، اذهبوا الآن، لأنني بمفردي سوف أواصل الأعمال العظيمة إلى النهاية، إنني أرغب أن أموت واقفا على قدماي، ولن أضع أي أهمية لحياتي التي يمكن لأي

---

(288) op. cit. Loc. cit: Ammianus: op. cit., vol., II.p. 423 Giuseppe: op. cit., p. 243: Water E. op. cit. p. 10: Stark: op. cit., p. 349; Bowersock: op. cit., p. 112.

(289) New- History., p. 180.

(290) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 423, 424; Zosimus: op. cit., p. 180. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 244.

إنسان عديم القيمة أن يسلبها مني"(٢٩١). وهكذا يضرب الإمبراطور جوليان على أوتار ثروة الفرس التي هي ثروة العراق الآن. إننا نجد مشهد الطنطنة على ثروات المسلمين في بلاد الشام دائم التكرار، ولكن في صور مختلفة.

إن خطاب الإمبراطور جوليان قوبل بالتصفيق الحاد من قبل قواته التي وعدت بطاعته وعدم الشكوى مرة ثانية، وبأنها واثقة في النصر إذا ما تم العمل تحت راية الإمبراطور البطل. ثم عادت القوات إلى خيامها لتناول الطعام وأخذ قسط من النوم. منتظرة المكاسب في الأيام المقبلة(٢٩٢).

وتروي المصادر التاريخية أنه في اليوم التالي للانتصار الذي حققه جوليان على الفرس في مدينة بريسابورا تعرضت ثلاث فرق عسكرية من القوات الرومانية لهجوم السورينا، مما أدى إلى مقتل بعض الجنود الرومان بما فيهم قائد إحدى الفرق وحامل راية الجيش التي استولى عليها الفرس.

ولم ينقذ الموقف سوى مهاجمة جوليان بنفسه مع بعض قواته القوات الفارسية، حيث أجبرها على الهروب، واسترد الراية. وبعد ذلك طرد قائدي الفرقتين الرومانيتين اللذين لم يقاوما الفرس، وعزل قتل عشرة من الجنود الذين هربوا من ساحة القتال(٢٩٣).

ووسط هذا النجاح الإمبراطوري واصلت القوات الرومانية انطلاقها، حيث قطعت أربعة عشر ميلا، وصلت بعدها على أحد الأماكن المثمرة، ولكن بعد اجتياز برك المياه التي غمر بها الأهالي طريق مرور هذه القوات. ومهما يكن من أمر فإن ما حصل عليه الجنود من مؤن من البلح الموجود بكثرة في المكان هون عليهم الصعوبات التي قابلوها أثناء سيرهم(٢٩٤). وعندما كانت

---

(291) للمزيد من التفاصيل عن هذا الخطاب كاملا، أنظر:
Ammianus: op. cit., vol. II, 425, 427. Cf. also, Gibbon: op. cit., pp. 176-177: Giuseppe: op. cit., vol. IV, p. 244.

(292) Ammianus: op. cit., vol. II p. 427.

(293) Zosimus: op. cit., p. 180; Ammianus: op.cit., vol. II, 427, 429.

(294) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 427, 429; Libanius: op. cit., p. 17. Cf. also, Walter E.: op. cit., p. 10.

القوات الرومانية تواصل سيرها هاجمها رماة السهام من الفرس الذي تربصوا بهم في الطريق، ولكن هذا الهجوم لم يسفر عن أية قتلى(٢٩٥).

وفي النهاية وصلت القوات الرومانية إلى مدينة البصرة Bithra، فأشلعت النار فيها على الفور بسبب الغضب الذي سيطر عليها. ومن هناك تقدمت حتى وصلت إلى مدينة مايوزامالكا Maiozamalcha(٢٩٦)، وعندما كان جوليان يتفحص تحصيناتها الخارجية انقض عليه اثنان من الفرس، ولكنه تلقى ضرباتهم بمهارة على ترسه المرفوع؛ وتمكن من قتل أحدهما، في حين أن حرسه قتلوا الآخر. وعندما عاد إلى معسكره قوبل بفرحة غامرة(٢٩٧).

وقرر جوليان فرض الحصار على مدينة مايوزامالكا. ويذكر زوسيموس الأسباب التي دفعته إلى ذلك، فيقول إن هذه المدينة كانت ملجأ لكثير من سكان المدن والقلاع الأخرى القريبة منها والتي خافت من مهاجمة جوليان لها، ولذلك كانت مكتظة بالسكان، ولكنها في نفس الوقت لم تكن قوية بدرجة تمكنها من الدفاع عن نفسها(٢٩٨).

ومع أن الباحث يتفق مع زوسيموس فيما قاله، فإنه يجب علينا إدراك أن محاولة اغتيال جوليان من قبل حامية هذه المدينة كانت من أحد الأسباب المباشرة لإصراره على فرض الحصار عليها وإخضاعها، هذا من ناحية، كما أنه كان من الطبيعي أن يستولى عليها شأنها في ذلك شأن بقية المدن الفارسية التي استولى عليها من قبل، من ناحية أخرى.

وأثناء الاستعدادات لفرض الحصار على مدينة مايوزامالكا بعث جوليان بفيكتور Victor، أحد قواده، على رأس فرقة من الفرسان لاستكشاف الطريق حتى طيسفون، عاصمة الفرس. وعندما عاد هذا القائد وأخبر جوليان بعدم وجود

---

(295) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 431.

(296) مايوزامالكا: مدينة تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات جنوب البصرة. على مقربة من مدينة طيسفون. أنظر: Walter E., op. cit., p. 10

(297) Zosimus: op. cit., p. 180; Ammianus: op. cit., p. 431, 433. Cf. also Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 175- 176; Giuseppe: op. cit, pp. 244- 245.

(298) New- History., p. 180.

أية عقبات في الطريق، فرحت القوات الرومانية فرحاً شـديداً، وازدادت ثقتهـا بنفسها. ولهذا عندما تلقت إشارة الهجوم على (مايوزامالكا)، هاجمت بشراسـة وسط وابل من السهام الفارسية التي انهالت عليها. وبعد قتال شرس اسـتخدمت فيه جميع أنواع الآلات الحربية المستخدمة حينذاك، تمكنت القوات الرومانية من دخول المدينة وقتل حاميتها واندفعتا في شوارعها تقتل وتفتك من يقابلهـا مـن السكان دون اعتبار لسن أو جنس حتى قتل الجميع، ثم بدأت هذه القـوات فـي النهب؛ حاملة كل ما يقابلها، وفي النهاية أشعلت النار في مباني المدينة(٢٩٩).

وتعليقا على دمار مدينة مايوزامالكا قال أميانوس: شاهد العيان: "إن هذه المدينة العظيمة المأهولة بالسكان تحولت إلى كومة من التراب"(٣٠٠). وعضد هذا الرأي ما قاله زوسيموس: "إن جميع مباني المدينـة لا يمكـن لأي إنسـان أن يتصور أنها كانت مبنية من الطوب"(٣٠١) أما ليبانوس فقد قال: "إن الكثيـر مـن سكان مدينة مايوزامالكا قد قتلوا أنفسهم خوفاً من التقل بإلقاء أنفسهم مـن فـوق الأسوار العالية". كما استطرد موضحا أن المدينة تم تسـويتها بـالأرض. وأن الدمار الذي لحق بها يفوق أي دمار لحق بالمدن التي استولى عليها الرومان قبل ذلك(٣٠٢).

والحقيقة المرة أنه لم ينج من سكان مدينة مايوزامالكا من الرجال سوى نابداتس Nabdates، قائد المدينة، وثمانون من أتباعه، أمر جوليان بالاحتفـاظ بهم أسرى(٣٠٣). وبخصوص الغنائم التي تـم الاسـتيلاء عليهـا مـن مدينـة مايوزامالكا فقد تم توزيعها على أساس الجدارة في القتال والأعمـال الحربيـة

---

(299) لمزيد من التفاصيل عن حصار مدينة مايوزامالكا والاستيلاء عليها بواسطة القوات الرومانية أنظر:

Ammianus: op. cit., p. 433, 435, 437, 439, 441, 443, 445; Zosimus: op. cit., pp. 181- 181. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 245; Gibbon: op. cit. vol. IV, pp. 171- 172.

(300) Ammianus., vol. II.p. 447, 449.

(301) New- History., p. 181.

(302) "Julian The Emperor"., pp. 17- 18.

(303) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 445. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 245.

الشاقة. أما جوليان "الذي كان يقنع بالقليل" فقد اكتفى فقط من الغنائم بثلاث عملات من الذهب، وولد أخرس. وفي نفس الوقت رفض أن يلمس إمرأة واحدة "من جميلات فارس العذارى"(٣٠٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، كم قتل من الجيش الروماني أثناء القتال الدائر حول مدينة مايوزامالكا؟. إن أميانوس في اجابته على هذا التساؤل يوضح أن واحداً فقط مات من الجيش الروماني(٣٠٥). والباحث في الحقيقة لا يصدق ذلك، لأن أميانوس أراد أن يوضح للعالم أن صديقه جوليان وقواته قوم لا يغلبون، كما أنه من الطبيعي أن يقول ذلك روماني.

وعلى كل، في الوقت الذي كان جوليان يستعد فيه للرحيل بحملته وصلته أخبار توضح أن هناك فرقة من القوات الفارسية تختبئ في أنفاق قرب مدينة مايوزامالكا المبادة، وهذه الفرقة ستقوم بمهاجمة مؤخرة الجيش الروماني أثناء تقدمه. فبعث جوليان بفرقة من قوات المشاة لطردهم، ولكن بسبب عدم خروجهم وعدم قدرة القوات الرومانية على دخول هذه الأنفاق قام الرومان بإشعال النار أمام فتحات هذه الانفاق، الأمر الذي أدى إلى موت بعض القوات الفارسية، أما الذين خرجوا فقد انهالت عليهم السيوف الرومانية فأبادتهم جميعاً(٣٠٦).

ويتحدث المؤرخ أميانوس موضحا أنه أثناء تقدمهم حاولت فرقة فارسية يتولى قيادتها ابن الملك سابور الثاني منع مقدمة الجيش من عبور أحد الأنهار، ولكنها ارتدت بسبب الخوف من ضخامة القوات الرومانية التالية للمقدمة(٣٠٧).

وأخيرا وصلت القوات إلى منطقة مليئة بالحقول والحدائق، يتوسطها أحد القصور المبنية على الطراز الروماني، وبسبب الإعجاب به لم تقم القوات الرومانية بتدميره. أما بخصوص حديقة الحيوان التي وجدت على مقربة من هذا

---

(304) Ammianus: op.cit., vol. II, p. 445. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV. P. 176.

(305) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. II, p. 447.

(306) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 447.

(307) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 449/

القصر فقد دمرت أسوارها وقتل ما بها من حيوانات(٣٠٨). ثم غادر جوليان منطقة الحدائق حيث وصل إلى كوش Coche (٣٠٩)، وبعد يومين قضاهما هناك واصل رحلته، وأمام مدينة ساباثا Sabatha وقعت معركة عنيفة بين الفرس، الذين خرجوا من المدينة، والرومان، وانتهت المعركة لصالح الرومان(٣١٠). الذين واصلوا سيرهم.

وأمام قلعة أرنثيوس Arintheus، التي وصلت إليها القوات الرومانية، تعرض الإمبراطور جوليان لمحاولة اغتيال من قبل حامية القلعة، ولكنه أفلت منها بصعوبة فقرر على الفور الاستيلاء عليها، وبعد حصار شاق، استخدمت فيه جميع الأسلحة من قبل الطرفين، سقطت القلعة في يد القوات الرومانية، وأمر جوليان بإشعال النار فيها فوراً، وذلك لأنه كاد يفقد حياته أمامها، كما أن قواته عانت معاناة شديدة أثناء حصارها. واستعدادا للأعمال القتالية الشاقة المقبلة أعطى جوليان قواته برهة لالتقاط الأنفاس، وزع خلالها المؤن بوفرة عليها(٣١١).

"... وأثناء حصار قلعة أرنثيوس"، يقول زوسيموس، "هاجمت قوة فارسية من على الجانب الآخر للنهر- لم يتحدث زوسيموس عن اسم النهر- الخدم الذين كانوا يقومون على خدمة حيوانات الحمل، وأولئك الذين يحرسونهم،

([308]) Zosimus: op. cit., p. 181. Cf. also, Giuseppe: op. cit., pp. 145- 146.

([309]) كوش: هي مدينة سلوقية، وتسمى أيضا المدائن. تقع على الجانب الغربي لنهر دجلة. أنظر:

Gibbon: op. cit., vol .IV, pp. 178- 179; Matthew Bunson: op. cit., p. 380.

([310]) Ammianus: op.cit., vol. II, p. 449, 451; Zosimus: op. cit., p. 181. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 246.

وساباثا: هي مدينة أرمينيا Armenia التي تبعد عن مدينة سلوقية بحوالي ثلاثين إستاديا. أنظر:

Zosimus: op. cit., p. 181.

([311]) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 451, 453, 455; Zosimus: op. cit., p. 181.

فقتلوا قسماً منهم وأخذوا الباقين أسرى. وهذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الجيش الروماني لمثل هذه الأعمال المؤسفة"(٣١٢).

وعلى أية حال، وصلت القوات الرومانية إلى نهر مالقا(٣١٣) Malcha، "تعني نهر الملوك"، الذي يربط بين دجلة والفرات. وعلى الفور أزالت القوات الأحجار الضخمة وأكوام الأتربة التي كانت تسده، ثم فتحت السدود فامتلأ بالماء، وعندئذ تمكن الأسطول الروماني من دخوله والإبحار حتى نهر دجلة. وعلى الفور أقيمت عليه الكباري التي استخدمها الجيش الروماني في العبور(٣١٤).

وهكذا، بعد رحلة طويلة وشاقة، وصل الإمبراطور جوليان وقواته أمام الهدف الذي خرجوا من أجله – مدينة طيسفون- على الضفة الشرقية لنهر دجلة التي تبعد اثنين وأربعين كيلو متراً جنوب شرق بغداد. إن كل شيء سار كما كان يرغب جوليان، الذي وقف آنذاك على نهر دجلة مزهوا، فلقد تبسم له الحظ، الذي كان يعتمد عليه بدرجة كبيرة، "وهو الآن"، كما قال أميانوس"، يضع ثقته بدرجة كبيرة في الحظ"(٣١٥). ولكن الباحث لا يتفق مع هذا الرأي، لأن المعارك العسكرية لا تكسبها الجيوش بالحظ والدعوات بل بالاستعدادات والخطط الحربية. وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة، أمام أسوار مدينة طيسفون احتشدت قوات المشاة الفارسية، تساندها فرق الفرسان القوية والفيلة تحت قيادة

---

(312) New- History, p. 181.

(313) نهر مالقا: حفر بواسطة الإمبراطور تراجان، ثم طمست معالمه، ولكن أعيد تشغيله في عهد الإمبراطو سبتميوس سيفيروس، غير أنه سد مرة ثانية بواسطة الفرس، لمنع مهاجمة طيسفون- أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 457; Giuseppe: op. cit., p. 246.

(314) Libanius: "Julin the Emperor", p. 18; Zosimus: op. cit., pp. 181-182; Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 179- 180; Bowersock: op. cit., p. 113.

ويذكر ليبانوس أن الذي قام بتطهير القناة الرابطة بين دجلة والفرات هم الفرس الذين جاء بهم جوليان آنذاك من المناطق القريبة. انظر:

""Julin the Emperor", p. 18.

(315) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 459.

السورينا[٣١٦]. إن القلق بدأ يظهر على القادة الرومان عندما شاهدوا هذه القوات الضخمة، لا سيما الفيلة برائحتها الكريهة[٣١٧].

وكان جوليان قد خطط لعبور نهر دجلة، ولكنه احتفظ بالخطة لنفسه فقط. وتحت ادعاء صوري بفحص حالة أجهزة التجديف للتأكد من مدى صلاحيتها قام بتفريغ ثمانين سفينة من حمولتها؛ واختار فرقة عسكرية قوامها ثمانمائة جندي، أعلن ظاهريا قيامها بعمل عسكري سري، ولذلك صدرت إليها الأوامر أن تكون على أهبة الاستعداد. وليخفي خطته عن الفرس عقد سباقا للخيل ووزع فيه الجوائز على المنتصرين[٣١٨]. وفي المساء استدعى قواده إلى خيمته، وأخبرهم بعزمه على عبور نهر دجلة في تلك الليلة، وعندئذ عقدت الدهشة ألسنتهم عن الكلام، فخاطبهم جوليان موضحاً أن الفتح والوصول إلى الهدف يقومان على المحاولة، ولا ينبغي الانتظار طويلا؛ لأن أعداد العدو تتزايد؛ "والانتظار فترة أطول لن يؤدي إلى تضييق عرض المجرى المائي (نهر دجلة) ولا انخفاض مستوى المياه فيه"[٣١٩].

ولذلك أعطى أوامره بالعبور، فتقدمت خمس سفن تحت قيادة فيكتور، وعندما وصلت إلى الضفة الشرقية لنهر الفرات انهال عليها الفرس بكل أنواعٍ الأسلحة التي أضاءت ظلام الليل الحالك، وعند رؤية ذلك هتف جوليان قائلاً: "إنهم يكونون الآن سادة الضفة، إنني أعرف ذلك عن طريق النار التي اشتعلت في سفنهم، التي أمرتهم أن يقوموا بإحراقها كعلامة على نصرهم". ثم أعطى أوامره فوراً لقواته بالتقدم لإنقاذ رفاقهم، وبعد صراع وحشي مع الفرس تمكن الجيش الروماني من اتخاذ مواقعه على الضفة الشرقية لنهر دجلة قابلة أسوار

(316) Libanius: op. cit., p. 18. Cf. also. Giuseppe: op. cit., p. 246.
(317) Norwish: op. cit., p. 97.
(318) Libanius: op. cit., p. 19: Ammianus: op. cit., vol. II, p. 459. Cf. also. Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 181.
(319) Libanius: op. cit., p. 19. Cf. also. Gibbon op. cit., vol. IV, p. 181-182.

مدينة طيسفون[٣٢٠]. وعلى الفور تولى جوليان قيادة الهجوم، وبعد معركة طاحنة مع الفرس، استمرت من منتصف الليل وحتى ظهر اليوم التالي، انتصر الجيش الروماني، وولى الفرص الأدبار إلى مدينة طيسفون، وسط مطاردة الرومان لهم حتى أبواب المدينة[٣٢١].

وكانت الفرصة متاحة، كما قال بعض المـؤرخين المحـدثين، لـدخول القوات الرومانية مدينة طيسفون في أعقاب القوات الفارسية الهاربة[٣٢٢]. ولكـن القائد الروماني فيكتور الذي أصيب بسهم في كتفه، كان له رأي آخر. لأنه خاف من أن هذه القوات إن دخلت المدينة، ولم تجد طريقا للخروج، سـيتم القضـاء عليها من قبل الفرس[٣٢٣].

وطبقا لما قاله المؤرخ أميانوس قتل من الجانب الفارسي حوالي ألفـين وخمسمائة، ولم يقتل من الرومان سوى سبعين فقط[٣٢٤]. أما زوسيموس الـذي يتفق معه في عدد قتلى الفرس، أشار إلى أن عدد قتلى الرومان كـان حـوالي خمسة وسبعين[٣٢٥].

ولم ينس جوليان بعد هذا الانتصار الكبير أن يوزع الغنائم على جنوده، كما أنه لم ينس أن يقدم الشكر إلى الإلهة، عن طريق الذبائح[٣٢٦].

---

(320) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 459; Libanius: op. cit., p. 19; Zosimus: op. cit., p. 182; Gregory Nazianzen: op. cit., p. 3.

(321) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 461, 463; Zosimus: op. cit., p. 182. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 246.

ينفرد زوسيموس بالإشارة إلى أن جوليان لم يعبر نهر دجلة إلا في اليوم الثالث لعبور قواته. أنظر:

Zosimus: op. cit., p. 182.

(322) Gibbon: p- cit., vol. IV, p. 183; Giuseppe: op. cit., p. 246.

(323) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 463, 465.

(324) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 465.

(325) New- History, p. 182.

(326) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 465, 467. Cf. also. Giuseppe: op. cit., p. 247; Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 184.

ثم عقد جوليان آنذاك مجلسا للحرب لمناقشة حصار مدينة طيسفون والاستيلاء عليها. وبعد مناقشات مطولة بين جوليان وقواده توصل الجميع إلى قرار بعدم حصار المدينة، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إن مدينة طيسفون بموقعها الفريد كانت محصنة تحصينا جيداً.

ثانياً: كانت مؤن الجيش في طريقها للنفاذ.

ثالثاً: كانت درجات الحرارة في هذا الوقت من العام مرتفعة جداً[٣٢٧]، الأمر الذي سوف يؤثر على همة القوات.

رابعاً: امتلاء المنطقة بحشود من الناموس والذباب، الذي يؤدي إلى مضايقة الجيش.

خامساً: عدم وصول القوات التي كان يقودها بروكوبيوس كما كان متفق عليه.

سادساً: كانت القوات الرومانية مهددة مع مرور الوقت بقدوم الملك سابور الثاني على رأس قوات ضخمة[٣٢٨]. وهذا ما عبر عنه الطبري بقوله: "فكتب سابور إلى من في الآفاق من رجاله بعلمهم الذي لقى من لليانوس ومن معه من العرب ويأمر من كان فيها من القواد أن يقدموا عليه فمن قبلهم من جنوده فلم يلبس أن اجتمعت إليه الجيوش من كل آفق..." [٣٢٩].

والجدير بالذكر، أنه في الوقت الذي لم يشر فيه المؤرخ أميانوس، شاهد العيان لأي مفاوضات سلام جرت آنذاك، نرى المؤرخ سقراط يذكر أن الملك سابور الثاني قام بمساعي متكررة للتوصل إلى سلام مع جوليان، عارضا عليه

---

(327) يذكر بعض المؤرخين أن جوليان كان أمام أسوار مدينة طيسفون في ٢٩ مايو ٣٦٣ م. أنظر: Norwish: op. cit., p. 97 في حين يقول البعض أنه كان في يونيه. Mathew Bunson: op. cit., p. 220.

(328) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 467. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 184- 185; Giuseppe: op. cit., p. 247: Orton: op. cit., Tom. I, p. 49; Lietzmann: op. cit., p. 296; Norwish: op. cit., pp. 97- 98; Brook: op. cit., pp. 353.

(329) تاريخ الأمم والملوك، جـ١، ص ٤٩٣.

أن يتنازل له عن جزء من أراضيه، ولكن جوليان رفض، في الوقت الذي أيـد قواده مثل هذا الحل: متناسيا الحكمة التي تقول: "إن تنتصر تكن شريفا، ولكـن إن تكن أكثر من المنتصر تكن ممقوتا"(٣٣٠). كما أشار ليبـانوس أيضـا إلـى مساعي السلام هذه، موضحا أن سابور الثاني أرسل سـفيراً مـن قبلـه إلـى أورميسداس، طالبا من الأخير بذل قصارى جهده لدى جوليان لإقناعـه بإقامـة السلام مع الفرس، ولكن جوليان رفض هذه المساعي، وأمـر بعـودة السـفير الفارسي(٣٣١).

والباحث من جانبه يرى أن أسباب رفض جوليان للصلح مـع سـابور الثاني تتمثل في أنه كان ما يزال لديه الأمل في إخضاع الإمبراطورية الفارسية لسيادته، مثلما فعل الإسكندر المقدوني قبل ذلك.

وفي النهاية استقر رأي الإمبراطور جوليان على الارتداد بقواته عبـر الساحل الشرقي لنهر دجلة(٣٣٢). وذلك لاعتبارين، **الأول:** عامل الكرامـة، لأن مثل هذا الطريق لن يوحي بأن جوليان مرتد بقواته، ولكن يمكن النظر إليه على أنه استمرار للحملة داخل الأراضي الفارسية. أما **الثاني:** فهو إمكانية الحصـول على المؤن بدون صعوبات كبيرة، والاتصال بالقوات الموجـودة تحـت قيـادة بروكوبيوس(٣٣٣).

وعند هذه النقطة استقبل جوليان في معسكره أحد النبلاء الفـرس مـع أتباعه حيث حكى للإمبراطور أنه هرب بسبب اضطهاد الملك سابور، وأنه على استعداد أن يكون رهينة في المعسكر الروماني، ويعمل دليلاً للجيش أثناء تقدمه في الأراضي الفارسية. ورغم تحذيرات أورميسداس لجوليان بعدم الوثوق فـي هذا النبيل إلا أنه لم يعر هذه التهديدات اهتماما(٣٣٤).

---

(330) The Ecclesiestical History, p. 199.

(331) "Julian the Emperor", p. 19.

(332) Zosimus: op. cit., p. 182.

(333) Libanius: op. cit., p. 20. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 248.

(334) Socrates: op. cit., p. 201. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 188.

وعلى الفور أقدم على إشعال النار في جميع سفن الأسطول، باستثناء اثنتي عشرة سفينة من أصغر السفن. إن جوليان كان يرى أنه بإحراقه لبحريته سيضمن عدم استخدامها من قبل الفرس هذا من ناحية، كما أنه سيوفر له ٢٠,٠٠٠ جندي كانوا يتولون قيادة السفن، من ناحية أخرى(٣٣٥).

وفي رأي بعض المؤرخين المحدثين أن جوليان أحرق أسطوله، لأن نهر دجلة لم يكن صالحاً للملاحة، لا سيما وأن السفن ستسير ضد التيار(٣٣٦).

وبعد إحراق الأسطول الروماني ومخازن السلاح والمؤن، التي لم يحمل منها جوليان سوى ما يكفي قواته عشرين يوما، تقدم جوليان داخل الأراضي الفارسية يحدوه الأمل وجنوده في الحصول على المؤن، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، لأن الفرس أشعلوا النار في العشب والقمح الذي كان على وشك الحصاد، الأمر الذي أدى إلى هلاك دواب الحمل الرومانية بسبب الجوع. وعند ذلك لجأ جوليان إلى استخدام المخزون الزهيد من المؤن، الذي كان على وشك النفاذ. هذا في الوقت الذي قام فيه الفرس بالعديد من الهجمات على القوات الرومانية(٣٣٧).

ومما زاد الطين بلة هروب النبيل الفارسي الذي كان يعمل مرشداً للقوات الرومانية في الأراضي الفارسية. الأمر الذي أدى إلى إصابة هذه القوات بالرعب لا سيما عندما علمت أنه كان يخدعها. فقامت على الفور بتعذيب أتباع هذا النبيل(٣٣٨).

---

(335) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 469; Socrates: op. cit., p. 201; Gibbon: op, cit., pp. 188- 189.

ذكر جريجوري النازيانزي أن النبيل الفارسي الذي ادعى الهروب إلى معسكر جوليان هو الذي أوحى إليه بإحراق بحريته. أنظر:

"Julin the Emperor" Oration 5, p. 3.

(336) Fran/ius: op. cit., p. 38: Treadgold: op. cit., p. 61.

(337) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 469, 471; Zosimus: op. cit., p. 182. Cf.

Also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 192.

(338) Gibbon: op. cit., vol, IV. P. 193; Giuseppe: op. cit., p. 249.

ويتحدث أميانوس باستفاضة بعد ذلك عن أسرى الفرس الذين وضعهم جوليان في مقدمة قواته، وتندره عليهم، ثم اقتيادهم إلى الأسر، ثم عقده مجلساً لمناقشة طريق العودة، وبعد مجادلات تم الاتفاق على التوجه إلى كوردونا Corduena (كردستان) والاستيلاء عليها، بهدف الحصول على المؤن(٣٣٩).

وفي ١٦ يونيه، أثناء ارتداد القوات الرومانية نشبت معركة طاحنة بينها وبين الفرس، ولكن الانتصار كان حليف الرومان. ورغم ذلك لم تتوقف هجمات الفرس، الذين انضم إليهم العرب ضد القوات الرومانية أثناء تقدمها، حتى وصلت في النهاية إلى مكان يدعى أوكومبرا Hucumbra، وهناك توقفت يومين، حيث المؤن الوفيرة(٣٤٠).

وفي يوم ١٨ يونيه سنة ٣٦٣م غادرت القوات الرومانية أوكومبرا بعد أن أشعلت النار فيها. وفي ١٩ يونيه، وأثناء تقدم هذه القوات، انقض الفرس فجأة على مؤخرتها ولكن قوات الفرسان الرومانية أنقذت الموقف، وردت الفرس. وبعد انقشاع غبار المعركة قام الإمبراطور جوليان بمعاقبة إحدى الفرق الرومانية، التي لم تقاوم الفرس، حيث حولها من فرقة من الفرسان إلى فرقة من المشاة، كما تم عزل أربعة من القادة لنفس السبب(٣٤١).

وعندما وصلت القوات الرومانية إلى مدينة مارانجا Maranga كانت قد وصلت إلى ذروة بؤسها؛ لأن المؤن أصبحت على وشك النفاذ. ووسط حالة البؤس هذه هاجم الفرس مؤخرتها، وبعد معركة طاحنة بين الجانبين، أبلى فيها الرومان بلاءً حسناً، تم إجبار القوات الفارسية على الهروب. وأعلنت هدنة

---

(339) Ammianus: op. cit., vol, II, p. 471, 473.

(340) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 473, 475, 477; Zosimus: op. cit., p. 182. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 250; Norwish: op. cit., p. 98.
ومدينة أوكومبرا: هي مدينة سيمبرا Symbra بعقوبة الحالية، الواقعة على نهر دجلة بين مدينتي نيسبارا Nisbara ونيتشانابا Nichanaba، حوالي سبعون ميلا شمال مدينة طيسفون. أنظر:
Zosimus: op. cit., p. 182. Cf. also, Giuseppe: op. cit., 250.

(341) Zosimus: op. cit., p. 182; Ammianus: op. cit., vol. II, p. 477; 479. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 250.

حربية بين الطرفين مدتها ثلاثة أيام(٣٤٢). ومع أن هذا كان بالتأكيد نصراً للرومان، فإنه لم يغير من وضعهم العسكري السيئ. كما أن الفرس تعلموا وقتئذ بأنه لا يجب الهجوم مرة ثانية بقوات ضخمة، ولكن يجب القيام بغارات خاطفة على الجيش الروماني(٣٤٣).

وعلى أية حال، يحدثنا أميانوس، ومن تبعه من المؤرخين المحدثين، عن الموقف داخل المعسكر الروماني آنذاك، فيوضح أن حالة الجوع وصلت ذروتها وأنه كان أيضا من بين الجوعى، وهذا ما نستشفه في قوله: "ولأننا كنا بدون مؤن فقد تألمنا بسبب الجوع الذي لا يطاق". وما يدل على ندرة الطعام، قيام جوليان بتوزيع مؤن القادة على الجيش، وهو أيضاً كانت وجباته عادية. وبسبب كل هذا فقد سيطر القلق على جوليان وطار النوم من عيونه، فلجأ إلى ممارسة الكتابة ليلاً ويواصل أميانوس حديثه موضحاً أن الإمبراطور استيقظ في إحدى الليالي على حلم أزعجه كثيرا. وعلى وجه السرعة، استدعى العرافين والمنجمين، قبيل الفجر، لتفسير ما رآه في نومه، فأشاروا عليه بعدم الدخول في معركة مع العدو، أو حتى مجرد المناوشات، ولكنه لم يصدق ما قالوه فتوسلوا إليه أن يؤجل، على الأقل، رحيله لبضع ساعات، ولكن جوليان لم يعر ذلك اهتماماً، ومع انبلاج نور الصباح تحرك الجيش(٣٤٤).

وفي منطقة جبلية تقدمت القوات الرومانية بصعوبة بالغة، وعند ذلك ظهر الفرس، مرة أخرى، على سفوح المرتفعات، وعلى أهبة الاستعداد للانقضاض على الرومان. وكان جوليان يتولى بنفسه قيادة المقدمة. وبعد عدة ساعات من السير المرعب، وعند المكان الذي يسمى توماراا Tummara هاجم الفرس مؤخرة الجيش الروماني، ولكن أمكن صدهم، غير أنهم عادوا بعد وقت قليل وهاجموا المقدمة، ثم هاجموا فرق الوسط، وأبادوا الجناح الأيسر للجيش الروماني بواسطة قوة من الفرسان والفيلة. ورغم ذلك أمكن صد الهجوم الفارسي، ولعل ذلك يعود إلى المجهود الخارق الذي بذله جوليان بين المقدمة

---

(342) Ammianus: op. cit., vol., II, p. 479, 481, 483, 485.

(343) Giuseppe: op. cit., p. 251.

(344) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 485, 487.

والمؤخرة والوسط، وتشجيعه لقواته. ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السـفن. فعندما شعر جوليان بنشوة النصر، اندفع يطـارد القـوات الفارسـية الهاربـة، وضاعت صيحات حرسه الخاص عليه أدراج الرياح، وفجأة استقرت حربه في جنبه الأيمن ووصلت كبده، وعندما سعى لإخراجها تقطعت أصابعه، وعند ذلك سقط من فوق جواده، وحمل فوراً لخيمته، لتلقي العلاج[٣٤٥].

أما المصادر العربية فتقدم لنا رواية مختلفة تماما عن إصابة جوليـان، فالطبري يقول: "وإن لليانوس (جوليان) كان جالسا ذات يوم في حجرته (يقصـد خيمته) فأصابه "سهم غرب في فؤاده فقتله"[٣٤٦]. في حين يقـول ابـن الأثيـر: "فبينما إليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميه فقتله"[٣٤٧]. ويعتقد الباحث أن الروايتين بعيدتين تماما عن الحقيقة، توافقهما مع سير الأحداث.

وعلى كل، بعد تلقي جوليان العلاج وشعوره بالتحسن، طالب بسـلاحه وجواده ليعود إلى المعركة، ولكن معاودة نزيفه الجرح منعته من ذلك. هذا فـي الوقت الذي كان فيه القتال على أشده بين الرمان والفرس، ولم يتوقف إلا بسبب ظلام الليل. وفقد يومها الجانبان الكثير من القتلى[٣٤٨].

---

(345) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث: أنظر:
Ammianus: op. cit., vol. II, p. 491, 493: Zosimus: op. cit., p. 183; Libanius: op. cit., p. 21; John of Nikiu: op. cit., p. 31; Socrates: op. cit,. p. 199. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 252; Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 197-198; Norwish: op. cit., p. 98; Lietzman: op. cit., 297- 298; E.Mangenot: op. cit., Tom. Huitieme, p. 1944; William G.: op. cit., p. 424; Stark op. cit., p. 350; Franzius: op. cit., p. 38. Bowersock: op. cit., p. 116.
وتومارا: هي مدينة سامراء الحالية. أنظر: فؤاد حسن حافظ: المرجع السابق، ص ٦٢.

(346) تاريخ الأمم والملوك، جـ١، ص ٤٩٣.

(347) الكامل، جـ١، ص ٢٣٠.

(348) Ammianus: op. cit., II, p. 493, 495, 497.
يقال إن جوليان عندما استعلم عن المكان الذي سقط فيه أخبروه بأنه يسمى Phrygia، عند ذلك قال لمن حوله إنه رأى في منامه في أنطاكية أنه سوف يموت في فريجيا.
أنظر:
Ammianus: op. cit., vol. II, p. 495.

وفي خيمته، عندما رأى جوليان الدموع تنهمر من عيون قواده، خاطبهم خطاباً طويلا، أعلن لهم فيه أنه مستعد للموت؛ لأنهـا إرادة الله؛ وفـي النهايـة أخبرهم أنه لا يريد أن يختار من سيخلفه، بل سيترك الأمر لهم، ولكن عليهم أن يختاروا حاكماً جديراً بأن يخلفه. وبعد الانتهاء من كلامه، وزع ما تبقـى مـن ثرواته على أصدقائه المقربين إليه. وفجأة سال الدم بغزارة من جرحه، فطلـب شربة ماء، وفي النهاية فاضت روحه، عن عمر يناهز الثانيـة والثلاثـين[٣٤٩]. ويجمع المؤرخون على أن وفاة جوليان وقعت في ٢٦ يونيه سنة ٣٦٣م[٣٥٠].

إنها نهاية مؤسفة، كما قال أحد المؤرخين، لرجل تقدم على رأس جيوش الإمبراطورية الرومانية، يحدوه الأمل في إرجاع عظمة هذه الإمبراطورية أثناء حكمه كإمبراطور[٣٥١].

.... لم يكن هناك وقت، كما قال أميانوس: "للبكاء أو سكب الـدموع". ففي فجر ٢٧ يونيو سنة ٣٦٣م. ووسط حصار الفرس، اجتمع جنرالات الجيش وقادة الكتائب وفرق الفرسان، لاختيار خليفة للإمبراطور جوليان. ولـم تطـل الاعتراضات والمناقشات لأن الوضع كان ينذر بالسوء، ووافق الجميـع علـى اختيار سالوستيوس Sallustius وإلى مدينة القسطنطينية الـوثني إمبراطـوراً، ولكن الرجل رفض هذا الشرف العظيم، تحت ادعاء اعتلالع صحته وتقدم العمر به. فما كان مـن الجـيش إلا أن اختـار جوفيـان Jovian، قائـد الحـرس الإمبراطوري، لمنصب الإمبراطور[٣٥٢].

---

(349) op. cit., II, p. 497, 499, 501.

(350) Giuseppe: op. cit., p. 254; Walter E.: op. cit., p. 11; Arther E: op. cit., p. 354; Matthew Bunson: op. cit., p. 220; Duchense: Histoior Ancienne De L' Eglise, Tom II, (Paris, 1910), p. 335; Vasilliev: op. cit., vol. I, p. 76.

أنظر أيضاً: إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٥٣.

(351) Walter E: op. cit., p. 11.

(352) Ammianus Marcellinus, vol. II, p. 517, 519, 521.

وأنظر أيضاً:

وكانت الأوامر الأولى التي صدرت من قبل الإمبراطور جوفيان، وبعد ساعات قليلة من وفاة جوليان، هي متابعة السير؛ الذي عن طريقه يمكن إنقـاذ الجيش من وضعه العسكري السيئ[٣٥٣].

وتعرضت القوات الرومانية أثناء سيرها لهجمات شديدة من قبل الفرس، لا سيما عندما علم سابور الثاني بموت الإمبراطـور جوليـان، وسـاء وضـع الرومان. وسيطر اليأس عليهم؛ لا سيما وأن المؤن نفدت من المعسكر. ولم ينقذ الموقف سوى إتفاقية السلام التي عقدت آنذاك بين سابور الثاني والإمبراطـور جوفيان[٣٥٤].

وعلى أية حال، عبر جوفيان نهر دجلة، وفي طريقه إلى أنطاكية تقابـل مع بروكوبيوس فزوده بالمؤن، وأخلى مدينتي نصيبين وسنجار من السكان، كما كان متفق عليه، وتسلمها مندوب الملك سابور الثاني وبعد إقامة قصـيرة فـي أنطاكية انطلق جوفيان إلى مدينة القسطنطينية في بداية سنة ٣٦٤م، ولكنه مات قبل أن يصل إليها[٣٥٥].

ويبرز الآن تساؤل هام عن نتائج حملة الإمبراطور جوليان على بـلاد فارس. إن من أهم النتائج التي ترتبت على هذه الحملة أنها لم تحقق شـيئاً مـن الأسباب[٣٥٦] التي خرجت من أجلها، بل انتهت بالمعاهدة المذلة التـي عقـدها الإمبراطور جوفيان مع الملك الفارسي سابور الثاني، تلك المعاهدة التي ترتـب

Zosimus: op. cit., p. 183; Socrates: op. cit., p. 200; Theophanes: op. cit., p. 84.

(353) Zosimus: op. cit., p. 183. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 206.

(354) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, pp. 521- 555; Zosimus: op. cit., p. 183- 185; Socrates: op. cit., pp. 200-201.

(355) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 535, 537, 539,541, 543, 545, 547, 549, 551, 555; Zosimus: op. cit., pp. 184- 185; Socrates: op. cit., p. 201. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 211- 225; Giuseppe: op. cit., pp. 257.

(356) عن هذه الأسباب، أنظر، ص ٧-٨ من هذا البحث.

عليها ضياع المكاسب الإقليمية الكبيرة(٣٥٧) التي حققها الأباطرة الرومان على حساب الفرس، خلال الصراع الطويل والمرير معهم. والجدير بالذكر أنه لم يتمكن أي إمبراطور روماني فيما بعد من استرداد أي إقليم أو مدينة تم التنازل عنها للفرس بمقتضى هذه المعاهدة(٣٥٨).

وكان من نتائج حملة الإمبراطور جوليان ضعف الدفاعات الرومانية على حدود الإمبراطورية في الشرق، لا سيما بعد التنازل للفرس عن مدينتي نصيبين وسنجار، وهاتان المدينتان كانتا عبارة عن حصون تدافع عن حدود الإمبراطورية ضد الفرس في بلاد ما بين النهرين(٣٥٩). ومن ثم فإن الطريق أصبح ممهداً بعد ذلك أمام الفرس لمهاجمة أراضي الإمبراطورية في الشرق.

ومن نتائج الحملة أيضاً أنهت فعلياً الحروب الرومانية وراء نهر الفرات(٣٦٠).

أما بخصوص مملكة أرمينيا التي كانت بؤرة الصراع بين الرومان والفرس، فإن حملة الإمبراطور جوليان أنهت الحماية الرومانية عليها(٣٦١). وأطلقت فيها يد الفرس. وهذا ما أكده الملك سابور الثاني بقوله: "لم يعد هناك شيء يمكن أن يقف في سبيله بعد وفاة الإمبراطور جوليان ويعوقه عن استرداد تلك الأرض التي هي في الأساس تخص أجداده"(٣٦٢) وكانت النتيجة- فيما بعد- أسر الملك الأرمني أرشاكيس نفسه على يد الفرس.

---

(357) بلغت المكاسب الرومانية ذروتها في عهد الإمبراطور دقلديانوس، حيث تمكنت الإمبراطورية الرومانية من ضم خمسة أقاليم فارسية وراء نهر دجلة، بمقتضى معاهدة القيصر جاليروس مع الملك الفارسي نارسس سنة ٢٩٧م. وللمزيد من التفاصيل. أنظر: Eutropius: Abridgment of Roman History, Tr. By John Selby Watson. (London, 1886), p. 525; Theophanes: op. cit., p. 13.

(358) Zosimus: op. cit., p. 183.

(359) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 55.

(360) Stark: op. cit., p. 335.

(361) Treadgold: op. cit., p. 62; William G.: op. cit., 354.

(362) Stark: op. cit., p. 335.

ومن أبرز نتائج حملة الإمبراطور جوليان على الجيش الروماني مـوت الكثير من سواء كان في حروبه مع الفرس أو أثناء عبوره نهر دجلة في طريق عودته(٣٦٣).

ويرى بعض المؤرخين أن حملة الإمبراطور جوليان ترتب عليها ارتفاع نجم الملك سابور الثاني في بلاد فارس(٣٦٤).

على أن أهم نتائج حملة الإمبراطور جوليان على الصـعيد الرومـاني الداخلي كان النزاع الذي نشب على عرش الإمبراطورية. فبعد وفاة الإمبراطور جوفيان تولى عـرش الإمبراطوريـة أخـواه فالنتيـان الأول (٣٦٤- ٣٧٥م) Valentinian وفالنز (٣٦٤- ٣٧٨م) Valens، فاقتسما حكم الإمبراطوريـة، فأصبح النصف الغربي للإمبراطورية من نصيب فالنتيان، أما الشرقي فكان من نصيب فالنز(٣٦٥). ولكن هذا لم يأت على هوى القوات الغالية التي كانت ما تزال على ولائها للإمبراطور جوليان، ولم يأت أيضاً على هـوى الـوثنيين الـذين أنصفهم جوليان ولهذا التف هؤلاء وأولئك حول بروكوبيوس، الذي كان يتـولى قيادة القوات الرومانية في أعالي بلاد النهرين وهرب إلى القسطنطينية بعد وفاة جوليان، ومن ثم أعلن بروكوبيوس نفسه إمبراطوراً في القسطنطينية، في نهايـة سنة ٣٦٥م، وتقدم على رأس قواته حيث استولى على تراقيا وبيثينيـا. ولكـن فالنز قبض عليه وأعدمه بعد أن استقطب قواته. وكان أن التف بعض أنصـار بروكوبيوس حول أحد أصدقائه وهو ماركيللينوس، إلا أن فالنز قضـى علـيهم تماماً(٣٦٦).

ولكن هل كان لحملة الإمبراطور جوليان نتائج على حدود الإمبراطورية في الغرب؟ يمكن القول إن الجبهة الغربية للإمبراطورية الرومانية، لا سيما بلاد الغال، قد تعرضت لهجمات الألمـاني والفرنجـة والسكسـونيين، بعـد وفـاة

(363) Pat Southern and Koren R. Dixon: the Later Roman Army, (London, 1996), p. 39.

(364) Gibbon: op. cit., vol. IV., p. 220.

(365) Vasiliev: op. cit., vol. I, p. 78.

(366) سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٤٦٠.

الإمبراطور جوليان وفشل الحملة، الأمر الذي دفع الإمبراطور فالنتنيان إلى الذهاب لبلاد الغال سنة ٣٦٥م للدفاع عنها ضد هؤلاء البرابرة(٣٦٧).

ومن نتائج حملة الإمبراطور جوليان القضاء على المحاولة التي قام بها لبعث الوثنية من جديد، الأمر الذي إلى انتصار المسيحية مرة أخرى. وليس أدل على ذلك من أن الإمبراطور جوفيان قد أعاد الكنائس التي كان جوليان قد استولى عليها إلى أصحابها، كما رفع عن المسيحيين الاضطهادات التي وقعت عليهم بواسطة الإمبراطور جوليان(٣٦٨).

---

(367) نفسه، ص ٤٦١.

(368) Vasiliev: op. cit., vol. I, p. 78.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية الأصلية:

1. Ammianus Marcellinus, Tr., by John G. Rolfe, 3vols. (London, 1935).
2. Eutropius: Abridgment of Roman History, Tr. By John Selby Watson. (London, 1886).
3. Gregory Nazianzen: "Julian The Emperor", Oration 5, Tr. By Roger Pears, (Net. 2004).
4. John, Bishop of Nikiu: Chronicle, tr. By R. H. Charles, (London, 1916).
5. Libanius: "Julian the Emperopr" Funeral Oration for Julian, tr., by Roger Pears (London 1888), (Net., 2004)

٦. موسيس خوريناتسي: تاريخ الأرمن، من البداية حتى القرن الخامس الميلادي ترجمة عن الأرمينية نزار خليل (سوريه ١٩٩٩).

7. Socrates: The Ecclesiastical History, (London, 1914).
8. Theophanes Confessor: The Chronicle of Theophanes Confessor, Tr., by Cyril Mango and Rogers Scott, (London, 1997).
9. Zosimus: New History, Tr., by Geen and Chaplin, (London, 1814).

ثانياً: المصادر العربية:

١- ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ الجزء الأول، (بيروت، لبنان، ١٩٧٨م).

٢- الطبري: (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أبي جعفر محمد بن حرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، الجزء الأول، (القاهرة، ١٩٣٩م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Anne Elizabth Redgate: The Armenians, (U.S.A, 1999).

2. Bowersock: Julian The apostate, (London, 1978).
3. Bryce Lyon and other: A History of the world, vol. I, (U.S.A 1974).
4. Duchesne, Histoire Ancienne De L' Eglise, Tome II, (Paris, 1910).
5. Edward Gibbon, History of the Decline and fall of the Roman Empire, vol. IV, (London, 1819).
6. Enno Franzius: History of the Byzantine Empire, (Nes York, 1967)
7. Faustus: "Rome and Armenia in the Fourth Century", in English Historical Review, XXV (1910), pp. 625 643; in Byzantine Studies and other Essays, By Norman H.Baynes, (U.S.A.1974), p. 194.
8. Freay Stark: Rome on the Eudhrates, the Story of Frontier, (London, 1966).
9. George Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Tr., by John Hussey, (U.S.A, 1968).
10. Giuseppe Ricciotti, Julian the Apostate, (U.S.A, 1960).
11. Jacquin A.M., Histoire De L' Eglise, Tom. I, (Paris, 1928).
12. John Julies Norwish, Byzantium the Early Centuries, (N.Y., 1998).
13. Jones A. H. M., The Decline of the Ancient World, (London, 1966) The Latter Roman Empire, 284- 602, Vol., I, (Oxford, 1986).
14. Irfan Shahid: Byzantiun and the Arabs in the fourth Century, (U.S.A, 1984).
15. Lietzmann H., History de L' Eglise Ancienne, Tom III, (Paris, 1941).

16. Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (New York, 1991).

17. Norman H. Baynes, Byzantine Studies and other Essays, (U.S.A.1974).

18. Pat Southern and Koren R. Dixon: the Later Roman Army, (London, 1996).

19. Pervite C. W- Orton, The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. I, (Camb., 1953).

20. Vacant A., Mangenot E, Amann E., Dictionnaire de the Ologie Catholique, Tome Huitieme (Paris, 1925).

21. Vasiliev A., History of the Byzantine Empire, 324- 1453, vol. I, (U.S.A 1952).

22. Walter E. Robert and other: Julian the Apostate, 360- 363 A.D., (Net., 2004).

23. Warren Treadgold: A History of the Byzantine State and Society, (U.S.A.,1997).

24. William G. Sinnigen, Arthur E. R. Boak, A History of Rome To 565 A. D., (London, 1930).

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

١. إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧).

٢. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م، (لبنان، ١٩٨٢م).

٣. جون .أ. هامرتن: تاريخ العالم، ترجمة وزارة التربية والتعليم، (القاهرة،د.ت).

٤. حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣).

٥. رأفت عبد الحميد (دكتور) : "مصرع جوليان الفيلسوف الإمبراطور"، في كتاب قطوف ذاتية، تحرير عبد القادر الرباعي، (الأردن، د.ت).

٦. مفيد رائف العابد: سوريا في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣- ٦٤ ق.م (سوريا، ١٩٩٣).

٧. سيد أحمد على الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياســي والحضــاري، (القاهرة ١٩٧٨م).
٨. فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، (القاهرة، ١٩٨٦م).
٩. لستارجيان، ك.ل، تاريخ الأمة الأرمينية، (الموصل، ١٩٥١).
١٠. نينا فيكتور فنا بيغو ليفيسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القــرن الرابــع إلى القرن السادس الميلادي ترجمة عن الروسية صلاح الــدين عثمــان هاشــم، (الكويت، ١٩٨٥).

الهون وبيزنطة

(دراسة في تاريخ العلاقات السياسية)

(٣٧٧- ٤٥٠ م)

يوجد هناك تنوع كبير في الرأي بخصوص التركيبة السلالية لقبيلة الهون. فقد اعتبرهم بعض المؤرخين أنهم ذات أصل مغولي(٣٦٩)، في حين اعتبرهم البعض الآخر أنهم ذات أصول تورانية(٣٧٠)، وهناك رأي آخر يقول إن قبيلة الهون الرئيسية ذات أصل تركي، ولكنها قد انضم إليها المغول والأوجاريون وخلال المراحل الأخيرة من سيرها اشتملت أيضًا على قبائل إيرانية وسلافية(٣٧١).

أما بخصوص الموطن القديم الذي عاشت فيه قبيلة الهون، فيذكر جيبون(٣٧٢)، أنها عاشت في مكان جاف وقاحل على الجانب الشمالي لسور

---

(369) Vasiliev A. A.: History of the Byzantine Empire, 324 1453, vol. I, (U.S.A, 1958), p. 86; Sidney painter: A History of the Middle Ages, 284 1500, (N. Y., 1953), P. 22; William G. Sinnigen and Boak A. R.: A History of Rome to A. D. 565, (London, 1887), 45;

هـ. سانت ل. ب موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، السيد الباز العريني، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ٩٤؛ هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، (القاهرة ١٩٥٠)، ص٢١، أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٢٨؛ نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ١٨٧؛ عمر كمال توفيق: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية، ١٩٦٧)، ص ٣٧؛ السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا العصور الوسطى: (بيوت، ١٩٨٦م)، ٩٧.

(370) Young G. F.: East and West Through Fifteen Centuries, (London, 1916), P. 84.

(371) George Vernadsky: Ancient Russia, (London, 1951), P. 127; Alexander P. Kazhdan and other: The Oxford Dictionary of Byzantium, vol. 2, (N. Y. 1991), p. 957;

اسحق عبيد: العصور الوسطى الأوروبية، (القاهرة، د. ت.)، ص ١١٨.

(372) History of The Decline and Fall of The Roman Empire, Vol. IV, (London, N.D.), p. 356.

الصين العظيم جنوبًا. في أعالي النهر الأصفر (هوانج- هو) شمال ولاية كان- سو Kan Sou الصينية(٣٧٣). وإلى الجنوب من سهول سيبريا شمالاً، وإلى الشرق من جبال إنشان Inshan، وهي المنطقة التي تم تحديدها على الخرائط الحديثة باسم منغوليا Mongolia(٣٧٤). ومما هو جدير بالذكر أن التواريخ الصينية قد أشارت إلى الهون في موطنهم الأصلي باسم الهيونج- نو Hiung nu(٣٧٥). في حين يذكر البعض الآخر من المؤرخين أنهم حملوا اسم الهيونج- هو Hiung H(٣٧٦).

وبخصوص توسعات الهون وهجرتهم ناحية الغرب، فقد استغلوا الاضطرابات السياسية في الصين في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وشددوا من غاراتهم عليها. وفي سنة ١٧٧ قبل الميلاد هاجموا الصين مرة ثانية ولكنهم قوبلوا بمقاومة ضارية على يد أسرة الهان Han الصينية (٢٠٢ ق. م- ٢٢٠م)، ومن ثم فقد أمكن طردهم من هناك. وفي سنة ١٦٥ قبل الميلاد هاجموا دولة اليو- تاشي Yue-Chi، المجاورة للصين، وحطموها تمامًا. ولكن الهون، تحت ضغط القوات الصينية، تقهقروا شمالاً وغربًا واستقر بهم المطاف في منطقة بحيرة بلكاش. وبعد زوال أسرة الهان وتولي أسرة تس في الصين، جدد الهون هجماتهم عليها خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وفي بداية القرن الرابع الميلادي اضطرت الحكومة الصينية أن تتنازل لهم عن قسم من

(373) محمود الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، (القاهرة، ١٩٩م)، ص١١١.

(374) Thomas Hodgkin: Italy and Her Invaders, vol. II, (London, N.D.), p. 7.

(375) Georage vernadsky: op-cit., p. 80; Hodgkin: op-cit., p. 35; Orton c.w.: The Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, (Cabm., 1953), p. 43; Alexander p. Kazhdan and other: op-cit., vol., 2, p. 954.

(376) Thompson E. A.: The Uuns, (U.S.A. 1996), p. 88;

نورمان ف كانتور: المرجع السابق، ص ١٨٧؛ الحويري: المرجع السابق؟، ص ١١١، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاسم الذي ذكر لدى كل من كانتور والحويري هو الهسيونج Hsiong وليس ال Hiung.

الأراضي على الحدود الصينية. ومهما يكن من أمر، ففي منتصف القرن الرابع الميلادي، كان الهون بدورهم مهاجمين من الشمال الشرقي بواسطة إحدى الشعوب التي أطلقت عليها التواريخ الصينية اسم سين- بي Sien pi. ومن ثم فإنه بسبب ضغط هذه القبائل هاجر الهون ناحية الغرب، فاستقر قسم منهم في تركستان وأصبحوا معروفين بالهون البيض، أما القسم الرئيسي منهم فقد واصل تقدمه غربًا حتى وصل إلى السواحل الشرقية لبحر كاسبيان ونهر الفولجا، في داخل جنوب روسيا(٣٧٧).

وعلى أية حال، في المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا شمالاً، والقوقاز جنوبًا وبحر أزوف والدون غربًا، وكاسبيان والفولجا شرقًا انقض الهون على الآلان، بعد سنة ٣٦٠م بفترة قليلة، وأخضعوهم لسيادتهم(٣٧٨). وفي سنة ٣٧٠م بدأ الهون في عبور نهر الدون برفقة أتباعهم الآلان، وهاجموا القوط الشرقيون Ostrogoth، في المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وعبثًا حاول القوط الدفاع عن أنفسهم، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وسقط ملكهم أرمنريك Ermenrich

---

(377) وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، أنظر:

Vernadsky: op-cit., pp. 80-81, 126-127; Margaret Deanesly: A History of Early Medieval Europe, from 476 911, (London, 1974), p. 25; Hodgkin: op-cit., pp. 8-29; Thompson: op-cit., vol. I, p. 88; Gibbon: op-cit., vol. IV, pp. 356-366;

إدوار بروي وآخرون: تاريخ الحضارات العام، جـ، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٩١-٩٢، ١٠٤، والجدير بالذاكر أن الهون البيض كانت توسعاتهم قد امتدت إلى الشمال من فارس، ولم يقوموا بأي هجوم دخل الأراضي الرومانية، ولقد أطلق عليهم هذا الاسم بسبب بياض أجسادهم. وللمزيد من التفاصيل عن الهون البيض، أنظر:

Procopius: History of the wars, with an English Tr., by H.B. Dewing, Books I and II, (London, N.D.), pp. 13, 159, 17, 19, 21, 23, 25, 31.

(378) Ammianus Marcellinus Tr. By John C. Rolfe, vol. III, London, McMXXX1X), p. 276. cf. also, Hodgkin: op-cit., p. 29; Vernadesky: op-cit., p. 127.

قتيلاً يومها، الأمر الذي ترتب عليه خضوع القوط إلى الهون، عدا جماعة قليلة منهم عبرت الدنيستر، وانضمت إلى القوط الغربيين(٣٧٩).

والجدير بالذكر، أنه في سنة ٣٧٦م وصلت تقارير إلى الضباط الرومان الذين يتولون قيادة حاميات الدانوب الرومانية، أن هناك شعب همجي انقض على الشعوب البربرية شمال البحر الأسود، وأجبرها على الهرب ولكن القادة الرومان استقبلوا هذه الأخبار بعدم اهتمام، اعتقادًا منهم أنها إشاعات، ولكن هذه الإشاعات ما لبثت أن أصبحت حقيقة، لاسيما عندما ظهر اللاجئون على الضفة الشمالية لنهر الدانوب، متوسلين السماح لهم بعبور هذا النهر، داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، وكان الضابط مخطئين، لأن الذين كانوا يطلبون السماح لهم بعبور نهر الدانوب هم القوط الغربيون، الذين هربوا أمام ضغط الهون(٣٨٠).

ولم يتوان الإمبراطور فالنز (٣٦٤- ٣٧٨م) Valens في قبول القوط الغربيين داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، علمًا بأنه كان مترددًا في البداية. والحقيقة أنه كان راغبًا في استخدامهم في الدفاع عن الحد الدانوبي ضد غارات الهون المتوحشة. ولكنه ما لبث أن دفع ثمن هذه الرغبة غاليًا، عندما حطم القوط الغربيون الجيش الروماني في ١٩ أغسطس من عام ٣٧٨م في السهول المجاورة لمدينة أدريانوبل، وسقط الإمبراطور نفسه صريعًا في هذه المعركة(٣٨١). وهكذا، نجد أن ضغط الهون وتوسعاتهم ناحية الغرب هو السبب

---

(379) Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, p. 399; Jordanes: The Origin and Deeds of the Goths, Tr. By Charles C. Mieroue, Net, p. 32. cf. also, Vernadesky: op-cit., p. 129.

(380) Thompson E-A: op-cit., pp. 26 30.

(381) وللمزيد من التفاصيل، أنظر:

Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, pp. 401-483; Sozomen: The Ecclesiastical History, Tr., from The Greek by D. Hartranft, in www.ccel.org/fat her, pp. 1-2; zosimus: New History, Tr., by Green w. and Chaplin, (London, 1814), pp. 5-7; Gordan: op-cit., pp. 32-33; Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and near Eastern

الرئيس الذي دفع الإمبراطور فالنز لقبول القوط الغربيين داخل أراضي الإمبراطورية(٣٨٢). وفي نظر الباحث، يكون ذلك أول تأثير غير مباشر للهون على الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فلو لم يكن الهون ما قبل الإمبراطور فالنز القوط الغربيين داخل أراضيه.

وإجابة على سؤال حول ما إذا كان للهون دور في معركة أدريانوبل فتقول بعض كتب التاريخ المعاصرة، إنه في خريف سنة ٣٧٧م، كان القوط الغربيون محاصرين فيما بين مضايق جبل هوموس Haemus، في تراقيا، بواسطة الجيش الروماني، وباءت كل جهودهم بالفشل لكسر هذا الحصار، ونفدت المؤن في معسكرهم، وشارفوا على الهلاك، ولكن البعض منهم استطاع النفاذ من الخطوط الرومانية، وعقدوا تحالفًا مع جماعة من الهون والآلان، الذين كانوا يتجولون في الأراضي شمال الدانوب. ولقد كان أثر هذا التحالف مدهشًا؛ وذلك لأنه بمجرد ما إن سمع قادة القوات الرومانية عن قدوم الهون حتى قاموا بفك الحصار. وعند ذلك أفلت القوط من الكماشة التي كانت مفروضة عليهم(٣٨٣).

History A. D. 284-813, Tr. By Cyril Mango and Roger Scott, (Oxford, 1997), p. 99; Eunapius: in Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire, Tr. By R.C. Blockcey, vol. II, (N.Y., 1983), pp. 59-63. cf. also, Ostrogorsky, G.: History of the Byzantine State, Tr., by Joan Hussey, (London on, 1968), p. 52; Thompson J.: The Middle Ages 300-1500, vol. I, (London, 1931), p. 89; Tredgold W. A History of the Byzantine State and Society, (U.S.A, 1997), pp. 66-67.

(382) Gordan C.D.: The Age of Attila, Tr., by Book E. R. (London, 1996), p. 58.

(383) Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, pp. 435, 437, 439, cf. also, Vasiliev: op-cit., p. 87; Thompson: The Huns, p. 29; Ostrogoesky G.,: History of the Byzantine State, Tr., by Joan Hussey, (London, 1968), p. 52; Burnns T.S.: "The Battle of Adrenople", in Historia XXII, (1973), p. 340; Gibbon: op-cit., vol. IV, pp. 394- 396.

والجدير بالذكر، أن القوات الهونية التي أنقذت، دراميًا، القوط الغربين، لا يوجد هناك ما يشير إلى أنها تركتهم قبل معركة أدريانوبل وذلك لأنه، وعلى وجه السرعة- بعد المعركة- عندما قام القوط عبثًا بمحاولة الهجوم على مدينة أدريانوبل، وسالونيك، ثم مدينة القسطنطينية، كانت القوات الهونية موجودة بصحبة القوط الغربيين(٣٨٤).

وبناءً على ذلك، فإننا لا يمكن أن نشك أن الهون لم يكونوا مع القوط الغربيين طوال الوقت. والحقيقة أنه ليس من الممكن أن يكون سلاح الفروسية، الذي حقق أعظم كارثة في التاريخ العسكري الروماني، كان يخص القوط فقط، ولكن أيضًا الهون، وإذا كانت المصادر التاريخية لم تقل شيئًا عن ذلك، فإن هذا لم يكن عجيبًا؛ وذلك لأن وقع الكارثة الرومانية كان شديدًا، لدرجة أنه لم يتمكن أحد أن يعطي تقريرًا واضحًا عما قد حدث بعدها(٣٨٥). وفي هذا السياق يذكر بعض المؤرخين موضحًا أن الانتصار الذي حققه القوط الغربيون في سنة ٣٧٨م على الإمبراطور فالنز، كان بمساعدة الهون(٣٨٦).

والحقيقة أن الباحث من جانبه يرى أن الفروسية الهونية هي التي كسبت معركة أدريانوبل، وذلك لأنه لا يعقل أن القوط الغربيين الذين فروا مثل الجرذان المزعورة، أمام الهون سنة ٣٧٦م، وعبروا الدانوب، أو الذين استنجدوا بهم، عندما كانوا على وشك الهلاك، أثناء حصار الرومان لهم في سنة ٣٧٧م، يمكن أن يكسبوا هذا النصر. ولذلك فإن دور الهون في معركة أدريانوبل كان دورًا محوريًا.

---

(384) Mmianus Marcellenus: op-cit., vol. III, pp. 499-503. cf. also, Gordan C.D., op-cit., p. 58; Thompson: op-cit., p. 29; Jones A.H.M: The Decline of the Ancient World, (London, 1966), p. 154,

زبيدة عطا: الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أنستاسيوس، (القاهرة ب. ت)، ص ١٦٤.

(385) Thompson: op-cit., p. 30.

(386) Margart Deansely: op-cit., p. 23.

ومما هو جدير بالذكر، أن الفترة التي تلت معركة أدريانوبل وحتى سنة ٣٩٥م تعتبر من الفترات الغامضة في تاريخ العلاقات بين الهون وبيزنطة. وهذا ما عبر عنه بعض المؤرخين بقوله إننا لم نسمع إلا النذر القليل عن الهون في السنوات التالية(٣٨٧). ولكن الحقيقة التي ليس عليها خلاف هي أنهم شاركوا مشاركة فعالة في نهب وتخريب أقاليم شمال البلقان، بعد معركة أدريانوبل، مع القوط والآلان(٣٨٨). وندرة المعلومات التاريخية عن الهون- في غضون ذلك- لم تأت من فراغ بل تعود إلى أن المصادر التاريخية راحت تتحدث عن القوط فقط.

وعلى أية حال، عندما اعتلى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) Theodosius I عرش الإمبراطورية الرومانية تمكن في أول عام من حكمه، من هزيمة جماعة الهون والآلان والقوط، الذين كانون ما يزالون يدمرون في الأراضي البلقانية الشمالية(٣٨٩). ولقد أجبرت هذه الهزيمة الهون على الارتداد شمال نهر الدانوب، سنة ٣٨٠م(٣٩٠). ويذكر المؤرخ جوردان(٣٩١)، وإن لم يكن متأكدًا من ذلك أن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول قد أقام بعض الترتيبات مع الهون، وهناك احتمال، كما قال، أنه سمح لهم بالإقامة في بانونيا(٣٩٢).

(387) Thompson: The Huns, p. 30.

(388) Loc. Cit; Hadrill J.M.: The Barbarian Heat, 400-1000, (N. Y., 1962), p. 22.

(389) Thompson: op-cit., p. 30, 36.

(390) Alexander P. Kazhdan and Other: op-cit., p. 957.

(391) The Age of Attila, p. 58.

(392) بانونيا Pannonia: هي إحدى الأقاليم الرومانية الهامة جدًا، الواقعة بطول نهر الدانوب، وقسمت إلى أقاليم منفصلة: أدنى وأعلى. أنظر:

Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (N. Y., 1991), p. 310.

إن الهون، أنفسهم، بعد اكتساحهم للقوط الشرقيين سنة ٣٧٥م وهـروب القوط الغربيين أمامهم، اجتاحوا منطقة الدانوب الأدنى، وظهروا في الأراضـي الممتدة من غرب نهر الدون وحتى ضفاف نهر الدانوب الشمالية، أي المنطقـة التي تتألف منها الآن رومانيا والمجر(٣٩٣).

ويذكر التاريخ أن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول تحالف مع الهون فـي أثناء صراعه مع ماجنوس ماكسيموس Magnus Maximus، الذي اغتصـب عرش الإمبراطورية الغربية بعد اغتيال الإمبراطور جراتيـان (٣٧٨-٣٨٣م) Gratian سنة ٣٨٣م. إن سلاح الفرسان الهوني حسم المعركة يومها لصـالح الإمبراطور ثيودوسيوس، حيث تم أسر ماجنوس ماكسيموس في أكويليـا، ثـم جرى إعدامه في الثامن والعشرين من أغسطس سنة ٣٨٨م(٣٩٤).

ولكن منذ سنة ٣٨٥م أعلـن الهـون الحـرب علـى الإمبراطوريـة البيزنطية(٣٩٥). ولقد تركت لنا بعض المصادر التاريخية القديمة وكتب التـاريخ الحديثة الأسباب التي دفعت الهون إلى القيام بذلك. فيذكر سوزومين(٣٩٦)، فـي كتابه التاريخ الكنسي، أن روفينوس Rufinus، والي مدينة القسـطنطينية هـو الذي استدعاهم سرًا لمهاجمة الأراضي البيزنطية، أملاً منه في الانفراد بالعرش البيزنطي، ولكنه ما لبث أن دفع حياته ثمنًا غاليًا، بسبب هذه المغـامرة الغيـر محسوبة، على يد قوات الإمبراطور أركاديوس (٣٩٥-٤٠٨م) Arcadius. في حين يذكر البعض الآخر من المؤرخين أنه عند وفاة الإمبراطور ثيودوسـيوس

---

(393) Sozmen: op-cit., p. 1. cf. also, Thompson J.: op-cit., vol. I, p. 96; Roger C.: Early Medieval Europe 300-1000, (U.S.A, 1999), p. 74, 49.

(394) Eunapius: op-cit., vol. II, pp. 79-80. cf. also, David Woods: Theodosius I, (379-355), (Un., College of Cork), www. Roman Emperors. Org, p. 2. 3; Thompson: The Huns, p. 36.

(395) George Holmes: The Exford Illustrated History of Medieval Europe, (Oxford, 1988), p. 2; Orton: op-cit., pp. 79-80.

(396) The Ecclesiastical History, p. 1. cf. also, Treadgold w.: op-cit., p. 79.

الأول سنة ٣٩٥م كان هناك نقص كبير في القوات البيزنطية المتنقلة، وأن ذلك كان سببًا لقيام الهون بمهاجمة الأراضي البيزنطية(٣٩٧). والباحث من جانبه يميل إلى الرأي الثاني. والسبب هو أنه بعد وفاة الإمبراطور فالينتنيان الثاني (٣٨٣-٣٩٢م) Valentinian II، إمبراطور القسم الغربي من الإمبراطورية، سنة ٣٩٢م، سعى يوجينيوس لتولي عرش الإمبراطورية، ولكن ثيودوسيوس رفض وعين ابنه هونوريوس (٣٩٣-٤٢٣م) Honorius أغسطسًا في يناير سنة ٣٩٣م. وفي صيف ٣٩٤م سحب الإمبراطور ثيودوسيوس قواته من الشرق وعلى ضفاف نهر Frigidus، أنزل هزيمة قاسية بيوجينيوس، في ٦ سبتمبر من فنس العام، تم إعدام يوجينيوس(٣٩٨). وهكذا، كان هناك نقص في القوات البيزنطية بالفعل. وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين بقوله، إن الإمبراطور ثيودوسيوس عند وفاته كان قد ترك جيوش الإمبراطورية في الغرب(٣٩٩).

وعلى كل حال، لقد تدفقت القوات الهونية من ممرات جبال القوقاز فاجتاحت أرمينيا، ثم توجهت إلى أقاليم الإمبراطورية البيزنطية الغنية في لشرق حيث قامت بنهب وسلب قرى كبادوكيا وسوريا، ووصلت حتى مدن الرها وأنطاكية وصور. ولقد أشيع آنذاك أن الهون كانوا في طريقهم إلى بيت المقدس. كما اجتاحوا قسمًا من ميزوبوتاميا الفارسية، ووصلوا حتى طيسفون، عاصمة فارس، ولكنهم لم يستولوا عليها. لقد نشروا الخراب والدمار في كل مكان مروا به(٤٠٠).

أما القديس جيروم، الذي عاصر هذه الغزوة، فعندما تحدث عن الهون فقد وصفهم بالذئاب، واستطرد قائلاً: "وفي مدة بسيطة اجتاحوا- أي الهون-

(397) Tredgold W.,: op-cit., p. 78.

(398) Eunapius: op-cit., vol. II, p. 79-80. cf. also., David Woods: op-cit., p. 3; Benjamin Isaac: The Limits of Empire, (Oxford, 1990j), p. 230.

(399) Thompson: op-cit., p. 32.

(400) Benjamin Isaac: op-cit., pp. 74-75; Thompson. op-cit., p. 31; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 38.

أقاليم عظيمة، واستولوا على العديد من الأديرة، إن العديد من الأنهـار كانـت حمراء من الدماء الآدمية،.... لقد تم سحب جماعات كثيرة من الأسرى بعيـدًا. إنني- جيروم- لو كان لدي مائة لسان ومائة فم ما أمكنني أن أروي أحداث كل كارثة... لقد ارتعد الشرق كله. وملئت الأرض بالقتلى... لم تكن لديهم شفقة لا على دين، ولا رتبة، ولا سن، ولا نواح الأطفال. "ثم يستطرد جيروم موضـحًا أنه وأصدقاءه كانوا قد فكروا في الهروب عن طريق السفن، بسبب تقدم الهـون تجاه بيت المقدس(٤٠١).

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن القوات الهونية في الشرق لم تجد أي مقاومة، حتى جمع يوتروبيوس، أحد ضباط الإمبراطورية في الشـرق، بعض الفرق القوطية، وبعض الجنود البيزنطيين، وتصـدى لهـؤلاء الغـزاة، واستطاع أن يعيد السلام إلى الشق في نهاية سنة ٣٩٨م.

والحقيقة، أن هذا كل ما توفر لدى الباحث من معلومات عـن مقاومـة الهون، الذين استمروا في نهب وسلب أراضي الإمبراطورية في الشـرق لمـدة ثلاث سنوات، من ٣٩٥ وحتى ٣٩٨م(٤٠٢).

وخلال الفترة من سنة ٣٩٨م وحتى ٤٠٨م، لم تكن هناك مواجهة بـين الهون والإمبراطورية البيزنطية. بل كان هناك تحالف تام بين أولـدس Uldes (أولدين Uldin)، زعيم الهون، والإمبراطورية البيزنطية سنة ٤٠٠-٤٠١م ضد جيناس(٤٠٣).

وفي ذلك تقول الأحداث، إن الإمبراطور أركاديوس، عندما عقد النيـة على التخلص من وزيره روفينوس، فقد بعث إلى أخيه هونوريوس إمبراطـور الإمبراطورية الغربية، يطلب منه قوات تخلصه من وزيره، فبعث إليه بقـوات تحت قيادة جيناس، ساعدته في تحقيق رغبته(٤٠٤). وتولى الخصي يوتروبيوس،

(401) Thompson: The Huns, pp. 31-32.

(402) Thompson: op-cit., p. 32.

(403) Gordan .C. D.: op-cit., p. 59.

(404) Zosimus: op-cit., p. 3.

الذي لم يكن على علاقات جيدة مع جينـــاس، وراح الأخيـــر يتحـــين الفرصـــة لإزاحته والتي جاءته تسعى، فعندما ثار القوط في فريجيـــا بقيـــادة تريبيجيلـــد Tribigild، بُعث جيناس للقضاء عليهم، ولكنه تحالف معهم سرًا الأمر الـــذي أدى إلى هزيمة القوات البيزنطية. وعند ذلك أصبح جيناس وتريبيجيلـــد ســـيدا الموقف، وأمام إصرارهما على عزل يوتروبيوس وتسليمه لهما، قام الإمبراطور بنفيه سنة ٣٩٩م، ولكنهما طالبا بإحضاره إلى القسطنطينية وإعدامه، وقد تم لهما ذلك(٤٠٥).

ولكن هذا لم يأت على هوى الشعب في مدينة القســـطنطينية، فاســـتغل ابتعاد جيناس عنها، وثار ضد القوط، وقتل الآلاف منهم، ولم يفلح جيناس فـــي العودة إلى العاصمة، ونجحت آنذاك قوات الإمبراطورية في هزيمته عندما كان يسعى إلى عبور البسفور لآسيا الصغرى(٤٠٦). ويذكر بعض المؤرخين أن هـــذه الأحداث وقعت في يوليو سنة ٤٠٠م(٤٠٧).

وعندما عجز جيناس عن عبور البسفور ارتد ناحية الشمال وعبر نهـــر الدانوب مع أتباعه. وعند ذلك قوبل بواسطة أولدس وأتباعه، وكان أولدس قـــد قرر أن يهاجمه لسببين:

السبب الأول: هو أن أولدس رأي أنه ليس من الأمان أن يسمح لجيناس، المتبوع بقواته أن يوطد إقامته خلف نهر الدانوب.

السبب الثاني: اعتقاد أولدس أنه، بمطاردته لجيناس، أو القضاء عليه في شـــمال نهر الدانوب، سوف يحوز رضا الإمبراطور أركاديوس(٤٠٨).

---

(405) وللمزيد من التفاصيل. أنظر:

Zosimus: op-cit., vol. I, pp. 90-94; Treadgold W.: op-cit., pp. 82-84; William G. Sinnigen and other: op-cit., pp. 460-461.

(406) Eunapius: op-cit., vol. II, p. 111; Theophanes confessor: op-cit., p. 117; cf. also Jones A.H.M: op-cit., pp. 75-76.

(407) Louis Brechier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.Y., 1977), p. 10.

(408) Zosimus: New History, p. 8.

وبناءً على ذلك، جمع أولدس قواته وقرر خوض القتال ضد جيناس أما جيناس نفسه، فعندما أدرك أنه لن يتمكن من العودة إلى البلقان، وليس في استطاعته الهروب من مقابلة أولدس في القتال، فقد قرر في النهاية- لاسيما بعد أن سلح أتباعه- خوض هذا القتال. وبعد عدة معارك تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة، قُتل العديد من أتباع جيناس، وذبح جيناس نفسه، الذي قاتل بشجاعة منقطة النظير. وعند ذلك قام أولدس بإرسال رأس جيناس إلى الإمبراطور أركاديوس(٤٠٩). كعلامة على حسن نيته في صداقته(٤١٠).

وقد حاول الإمبراطور أركاديوس إعلان قتل جيناس لشعب القسطنطينية فعرض رأسه للمشاهدة في يناير سنة ٤٠١م(٤١١). ويذكر المؤرخ زوسيموس(٤١٢)، أن أولدس راح يطالب الإمبراطور أركاديوس بالهدايا، وبالفعل لم يتردد الإمبراطور في مكافأة أولدس على هذا الإنجاز الكبير، وبناءً على ذلك تم عقد معاهدة تحالف وصداقة بين الهون وبيزنطة. وهناك افتراض من قبل بعض المؤرخين أن هذه المعاهدة كانت مصحوبة بموافقة من قبل بيزنطة على دفع جزية سنوية إلى هذه الجماعة من البدو الرحل(٤١٣). والباحث من جانبه يرى أن هذه المعاهدة تعد اعترافًا ضمنيًا من قبل بيزنطة بالهون. ومن ثم فإن ذلك يدل على أن الهون أصبحوا، في سنة ٤٠١م، قوة سياسية مهابة الجانب، هذا من ناحية. كما أن هذه المعاهدة حققت السلام بين بيزنطة والهون حتى سنة ٤٠٨م، من ناحية أخرى.

---

(409) Loc. Cit. cf. also, Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(410) Henery Bradley: op-cit., p. 99.

يذكر المؤرخون أن أولدس كان معروفًا لأول مرة إلى الحكومة الرومانية في ديسمبر ٤٠٠م. وأنه من المحتمل لم تكن له سلطة كاملة على الشعب الهوني كله. أنظر:

Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(411) Thompson: The Huns, p. 37.

(412) New History, p. 8.

(413) Thompson: The Unis; p. 37.

والجدير بالذكر، أن مما يدل على أن الهون قد أصبحوا قـــوة سياســية مؤثرة، اعتماد ستيليكو- قائد الإمبراطورية الرومانية الغربية- عليهم في القضاء على القوط الشرقيين بزعامة راداجيسوس Radagaisus، في معركة فايســولا Faesulae، بداية سنة ٤٠٦م، في إيطاليا. وعلى كل حال إن القوات التي عملت في خدمة الإمبراطورية الغربية كانت من قبل أولدس ملك الهون(٤١٤).

وهكذا نرى أن الهون في الوقت الذي كانوا يقدمون فيه المساعدة إلــى الإمبراطورية الغربية ضد أعدائها، كانوا أعــداءً ألــداء إلــى الإمبراطوريــة البيزنطية.

والدليل على ذلك أن أولدس، زعيم الهون، استغل وفـــاة الإمبراطـــور أركاديوس ســـنة ٤٠٨م، وتوليـــة ابنـــه ثيودوســـيوس الثـــاني (٤٠٨-٤٥٠م) Theodosius II، الذي كان في الثامنة مـــن عمـــره، عـــرش الإمبراطوريـــة البيزنطية، وعبر نهر الدانوب بالقوة، على مقربة من الحد الفاصل بين بيزنطـــة والإمبراطورية الغربية، وتقدم عن طريق داكيا(٤١٥) Dacia إلـــى تراقيـــا(٤١٦). حيث تمكن من الاستيلاء على قلعة كاسترا مارتيس Castra Martis، الواقعـــة وراء نهر الدانوب، في إقليم مؤيزيا Moesia(٤١٧).

---

(414) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك. أنظر:

Zosimus: op-cit., p. 10. cf. also, Thompson: op-cit., pp. 37-38; Gordan C. D.: op-cit., p. 30; Sidney Painter: op-cit., p. 25; Orton op-cit., p. 81; George Holmes: op-cit., p. 66; Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(415) داكيا Dacia: بلاد جبلية وعرة، توجد إلى الشمال من نهر الدانوب الأدنى، توجد فيها اليوم ترانسلفانيا، وتقع إلى الشرق من المجر، أنظر:

Matthew Bunson: op-cit., p. 124.

(416) Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, William G., and other: op-cit., p. 461; Treadgold W., op-cit., p. 88.

(417) مؤيزيا Moesia: أراض شاسعة تقع على الحدود الجنوبية لنهر الدانوب، تشتمل على الطريق من ألليريا وحتى البحر الأسود، أنظر:

والجدير بالذكر، أن ذلك قد حدث عن طريق التعاون مع أولدس، وإن لم يكن معروفًا من الذي تعاون معه وسلمه هذه القلعة(٤١٨).

على أية حال، إن الاستيلاء على قلعة كاسترا مارتيس، فتح شهية أولدس لفتوحات أخرى. فتقدم بقواته داخل تراقيا عاملاً فيها النهب والسلب(٤١٩). وإن مما يدل على مدى غطرسة أولدس، وشعوره أن أراضي الإمبراطورية البيزنطية قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من السيطرة عليها هو أنه عندما راح قائد الجيوش البيزنطية في تراقيا يتفاوض معه حول إقامة معاهدة سلام ومغادرة الأراضي البيزنطية مقابل الحصول على مبلغ كبير من الأموال، استدار ناحية الشمس، ووجه كلامه إلى القائد موضحًا، أنه لو كانت لديه الرغبة، فسوف يكون من السهل عليه أن يخضع الأرض كلها التي تشرق عليها الشمس. وعلى الرغم من ذلك، راح يطالب بمبلغ كبير عجزت بيزنطة عن الوفاء به(٤٢٠).

وعلى كل، لم يضع القائد البيزنطي أي اعتبار للهجة أولدس المتغطرسة وراح يطيل معه التفاوض، هذا في الوقت الذي راح فيه الجواسيس البيزنطيون يعملون على استمالة قادة قوات أولدس، موضحين لهم أنهم في حال تركهم لأولدس والانضمام للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني فسوف يجدون لديه كل الرعاية، والأموال الكثيرة، التي اعتاد الإمبراطور على تقديمها للرجال الشجعان. فقبلوا هذه الاقتراحات، وهرب الكثير من قادة أولدس وأتباعه إلى المعسكر البيزنطي. وعندما وجد أولدس أن الأمور وصلت إلى هذا الحد، لم يكن أمامه سوى الهروب، وعبور نهر الدانوب إلى داكيا(٤٢١) متخليًا عن الآلاف

Matthew Bunson: o-cit., p. 281.

(418) Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, Thompson: The Huns,pp. 22, 67.

(419) Sozomen: op-cit., p. 1.

(420) Ibid., p. 33.cf. also, Thompson: op-cit., p. 33, 67.

(421) Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, Thompson: op-cit., p. 33, 67; Bury J. B.: op-cit., p. 27; Thomas Hodgkin: op-cit., pp. 38-39; Matthew Bunson: op-cit., p. 432; Treadgold W.,; op-cit., p. 88; Jones, A.H.M.,: op-cit., vol.. I, p. 192.

من أتباعه، الذين وقعوا أسرى في أيدي البيزنطيين وتم نقلهم مكبلين إلى مدينة القسطنطينية، حيث بيع بعضهم، ونقل البعض الآخر إلى آسيا الصغرى حيث قاموا هناك بزراعة الأرض(٤٢٢). ويعلق المؤرخ سوزومين(٤٢٣) على ذلك قائلاً: "إن الهون الذين كانوا يعسكرون في تراقيا، ارتدوا بخزي وتخلصوا من الكثير من أعدادهم، على الرغم من أنهم لم يُهاجموا أو يُطاردوا". في حين قال زوسيموس(٤٢٤): "إن الإمبراطور ثيودوسيوس كان محظوظًا، لأنه استطاع هزيمة الهون وأتباعهم، وإجبارهم على عبور الاستر (نهر الدانوب)، والعودة إلى أراضيهم".

وأخيرًا مات أولدس في سنة ٤١٢م(٤٢٥). دون أن يحقق ما قاله، حول إمكانه الاستيلاء على كل الأرض التي تشرق عليها الشمس، لو أراد. وعند وفاته كان الشعب الهوني منقسمًا إلى ثلاثة قبائل، أعظمهما قوة كانتا تحت قيادة روجيلا ومانديوك(٤٢٦).

إن وفاة أولدس لم تؤد إلى قطع العلاقات بين بيزنطة والهون، ولكن لماذا؟ وذلك لأنه حوالي سنة ٤١٢م بعثت حكومة القسطنطينية بسفارة إلى الهون ولقد شارك أوليمبيودوروس Olympiodorus، المؤرخ المصري في هذه السفارة، حيث أشار إلى أنه، وأعضاء السفارة، بعد عبورهم البحر الأسود بما فيه من مخاطر، وصلوا في النهاية إلى ملك الهون الذي يسمى دوناتوس Donatus. وبعد أن تبادلوا معه أيمان الصداقة تم اغتياله. وعند ذلك استشاط كاراتون Charaton، الذي تولي حكم الهون، بعد دوناتوس، غضبًا. ولكن ثورة كاراتون ما لبثت أن هدأت، بعد أن تلقى هدايا الإمبراطورية البيزنطية التي

---

(422) Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, Treadgold W.,: op-cit., p. 88.

(423) The Ecclesiastical History, p. 1.

(424) The New History, p. 9.

(425) Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(426) Loc. Cit.

قدمت باسم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني(٤٢٧). وهكذا استمالت هدايا بيزنطة الهون كي يبقوا في سلام معها(٤٢٨).

والجدير بالذكر، أن الإمبراطورية البيزنطية لم تعتمد على السلام مع الهون في الدفاع عن نفسها. حيث أثبتت الأيام أن اتفاقيات السلام مع هؤلاء البرابرة، لم تردعهم عن مهاجمة الإمبراطورية إذا ما تهيأت لهم الظروف.

ولذلك كان على بيزنطة أن تقوم بإجراء بعض الوسائل الدفاعية لكبح جماح هؤلاء البرابرة الذين أقلقوا الإمبراطورية البيزنطية، بعبورهم نهر الدانوب. وعلى الرغم من طردهم، فإن الأمل مازال يراودهم في القيام بفتوحاتهم أينما تشرق الشمس(٤٢٩).

ومن حسن حظ الإمبراطورية البيزنطية أن وجد لديها في غضون ذلك الوالي البريتوري أنثيميوس Anthemius(٤٣٠)، الذي بذل كل ما في وسعه

---

(427) Olympiodorus: In Fragmentary Classicising Historian of the Roman Empire, vol. II, p. 183. cf. also, Gordan: op-cit., p. 59.

(428) Thompson: The Huns, p. 40.

وينفرد المؤرخ ثومبسون بالقول إن دوناتوس ملك الهون كان نشاطه بعيدًا عن المنطقة التي كان يوجد بها أولدس، ولكنه لم يوضح لنا أين كانت تقع هذه المنطقة. كما يشير إلى أن أوليمبيودوروس لم يكتب تاريخه إلا بعد عدة سنوات من سفارته إلى الهون. ومما هو جدير بالذكر، أن ضياع عمل أوليمبيودوروس أدى إلى حدوث فجوة كبيرة في المعلومات عن الهون، والذين كانوا قد شاهدهم بنفسه، أنظر:

The Huns, pp. 11. 39.

(429) Alexander Van Milingen: Byzantine Constantinople, (London, 1899), p. 43.

(430) أنثيموس Anthemius: تم تعيينه واليًا بريتوريًا في سنة ٤٠٥م من قبل الإمبراطور أركاديوس. وعند وفاة الأخير سنة ٤٠٨م، أصبح ثيودوسيوس، ابن السابعة عشر إمبراطورًا، وخوفًا من حدوث اضطرابات، مكث انثيميوس في الخدمة كنائب لمدة سبع سنوات. ولقد أثبت أنه كان سيدًا حكيمًا للقسطنطينية. عزل في سنة ٤١٤م، على يد إليابولتشيريا، أخت ثيودوسيوس، التي كانت قد عينت نائبه، وعينت والي آخر هو أوريليانوس، أنظر:

Matthew Bunson: o-cit., p. 15: Millingen: op-cit., p.43.

ليرقى بأمن الإمبراطورية(٤٣١). ولقد ظهر ذلك واضـحًا فـي أوامـره إلـى هيركوليوس Herculius، الوالي البريتوري في ألليريا، بإجبار كل شخص دون تمييز في الرتبة، بأن يشارك في إعادة بناء أسوار المدن التي تهدمت في هـذا الإقليم، وجمع ونقل الطعام إلى المناطق التي أصابها الضرر من جراء الغـزو الهوني(٤٣٢). وعندما علم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، عن طريق أنثيميوس، أن الكثيرين ربما يتهربون من أداء واجبهم، أصدر أمره الذي جاء فيه: "إن هذا العمل سوف يطبق على الجميع من الأعلى إلى الأدنى. فربما تتكـرر الغـارة الهونية مـرة ثانيـة إن اللحظـة تكـون حرجـة"(٤٣٣). وبخصـوص حـدود الإمبراطورية، أصدر أنثيميوس أوامره بأن يعاد النظر فـي حراسـتها بقـوة، ودراسة جميع الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الهون لاختراق هذه الحـدود؛ ويجب تركيز وسائل الدفاع بطريقة جيدة عن جميع المقاطعات القريبة والبعيدة، وجميع القواعد البحرية، الموانى، السواحل، والجزائر(٤٣٤).

وعلى الصعيد البحري، اتخذ أنثيميوس إجراءات صارمة، وذلـك بهدف تقوية الأسطول الموجود في نهر الدانوب. وذلك عندما أعلن في ٢٨ يناير سنة ٤١٢م برنامج مدته سبع سنوات، يتم في كل عام منها صناعة عـدد مـن السفن الحربية وسفن النقل، وإصلاح عدد من السفن القديمة. وفي محاولة مـن أنثيميوس لإخراج هذا البرنامج إلى حيز الوجود، فقد فرض غرامة مالية ثقيلـة على الموظفين المحليين في حالة عدم تنفيذ برنامج العمل المحدد لكل عام(٤٣٥). وفي نهاية السبع سنين كان لدى بيزنطة أسطولاً مكونًا من ٢٥٠ سفينة، متواجدة

---

(431) Millingen V.: op-cit., p. 43.

(432) Thompson: The Huns, p. 34; Bury J.B: op-cit., p. 271; Matthew Bunson: op-cit., p. 15.

(433) Thompson: The Huns, p. 34.

(434) Loc. Cit.,

(435) Thompson: op-cit., p. 34; Treadgold W.: op-cit., p. 89.

بصفة دائمة، في نهر الدانوب؛ وكان الهدف منها منع الهون من عبور هذا النهر(٤٣٦).

ولكن أعظم الانجازات الدفاعية، التي قام بها أنثيميوس آنذاك، والتي تحسب له، هي بناء أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على الجانب البري لمدينة القسطنطينية، والتي امتدت خلف أسوار الإمبراطور قنسطنطين من بحر مرمرة جنوبًا حتى القرن الذهبي شمالاً(٤٣٧).

وبدأت أعمال البناء في أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس في سنة ٤١٣م. ولقد اشترك فيها جميع سكان الإمبراطورية، كل حسب تخصصه وهذا ما شددت عليه القوانين، التي أشارت، أنه، ومن أجل نجاح العمل، لا ينبغي أن تكون هناك استثناءات أو امتيازات لأية رتبة أو شخص مهما كان. ولحاجة هذا العمل إلى أموال كثيرة، فقد خصص له ثلث ضريبة الأرض سنويًا، كما أُلزم السكان بدفع أية مصروفات أخرى تزيد عن ثلث الضريبة(٤٣٨).

وينفرد المؤرخ ألكسندر فان ميلينجن(٤٣٩) بالإشارة إلى أن الأسوار الجديدة لمدينة القسطنطينية أقيمت على مسافة ميل إلى ميل ونصف غرب أسوار الإمبراطور قنسطنطين. كما أشار إلى أن أعمال البناء لم تنته في عهد أنثيميوس. وهذا ما أكده أيضًا سومبسون(٤٤٠) بقوله إن هذه الحكومة، يقصد حكومة أنثيميوس، لم تكن قد استطاعت حتى ٤ أبريل سنة ٤١٣م، إتمام الأسوار الجديدة.

---

(436) Millingen V.: op-cit., p. 43; Matthew Bunson: op-cit., p. 15.

(437) Millingen V.: op-cit., p. 43; Thompson: op-cit., p. 34; Vasilliev: op-cit., vol. I, p. 103; Matthew Bunson: op-cit., p. 15; William G.,: op-cit., p. 462.

(438) Millingen V.: op-cit., p. 44; Treadgold W.,: op-cit., p. 89.

(439) Byzantine Constantinople, p. 45.

(440) The Huns, p. 34.

ويذكر بعض المؤرخين أن أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس اشتملت على دورانات داخلية وخارجية، وأن هذا التصميم المعماري كان الهدف منه تحمل ومقاومة أي حصار طويل(٤٤١). وهكذا، كان أنثيميوس، في تخطيطه للأسوار الجديدة للعاصمة، يستعد بطريقة تنم عن بعد نظر عسكري كبير يتمثل في أن الحرب مع الهون كانت واقعة لا محالة(٤٤٢). إن هذه التحصينات لم يكن من السهل الاستيلاء عليها سوى بمساعدة أسطول، أو خيانة من داخل المدينة. ولم تمنع هذه التحصينات فقط مدينة القسطنطينية من السقوط في يد الهون، ولكن بقيت من أعظم الأعمال التي ابتدعتها يد الإنسان لبيزنطة ولعدة قرون بعد تشييدها(٤٤٣). ويذكر بعض المؤرخين أن حطام أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس مازالت موجودة حتى اليوم، كعلامة من علامات حدود مدينة القسطنطينية(٤٤٤).

وبعد، فإنه بعد هزيمة أولدس سنة ٤٠٨م، ثم وفاته سنة ٤١٢م، لم تذكر لنا كتب التاريخ شيئًا عن أي نوع من أنواع العلاقات بين الهون وبيزنطة. ويبدو أن الهون خلال هذه الفترة كانوا قد قاموا بحملة عسكرية على الفرس، ولكن حملتهم باءت بالفشل(٤٤٥). و يشير بعض المؤرخين إلى أن هذه الحملة ربما تكون قد وقعت خلال السنوات من ٤١٥م وحتى ٤٢٠م، أو بعد ذلك بقليل(٤٤٦).

وعلى كل، في سنة ٤٢٠م كان رو Rau (Roila)، أو (Rugila) يتولى قيادة الهون؛ في المنطقة شمال نهر الدانوب، على الرغم من أنه كان

(441) Treadgold W.,: op-cit., p. 89.

(442) Thompson: The Huns, p. 35; Millingen V.: op-cit., p. 43.

(443) Millingen V.: op-cit., p. 45; Vasiliev: op-cit., vol. I, P. 103; Treadgold: op-cit., p.89.

(444) Vasiliev: op-cit., vol. I, p. 103; William G. Sinnigen: op-cit., p. 468.

(445) Priscus in Fragmentary Classicizing Historian of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley, vol. II, p. 249.

(446) Thompson: op-cit., p. 35.

يحكم معه آنذاك إخوته أوكتار Octar، وموندليوك Mundiuch[٤٤٧]. وإذ ما تساءلنا عن أجداد رو وإخوته، أو كيف وصلوا إلى الحكم، فإن سومبسون[٤٤٨] يقول: "إننا لم نسمع عنهم شيئًا، وليس لدينا معرفة عن كيفية وصولهم إلى الحكم." والجدير بالذكر، أن المصادر التاريخية التي كتبت عن هذه الفترة لم تتحدث عن ذلك.

وعلى أية حال، في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني تحطم السلام مع فارس، وذلك بسبب استيلاء الفرس على سلع التجار البيزنطيين في أراضيهم، كما رفضت فارس أن تعيد إلى بيزنطة مناجم الذهب التي كانت قد استأجرتها في أرمينيا[٤٤٩]. وإضافة إلى ذلك، كان الفرس قد بدأوا في ممارسة الاضطهاد العام للمسيحيين في فارس. وعند ذلك، أعلن الإمبراطور ثيودوسيوس، وفي سنة ٤٢١م، الحرب على فارس، والتي انتهت في سنة ٤٢٢م بانتصار مدويه للبيزنطيين، عقدت على أثره معاهدة سلام بين الطرفين مدتها مائة عام[٤٥٠].

وعندما كانت جيوش الإمبراطورية البيزنطية تقاتل الفرس في الشرق، ظهر واضحاً أن حدودها الشمالية قد أصبحت بدون قوات للدفاع عنها، ومن ثم فقد استغل الهون، بقيادة رو هذه الفرصة، ودفعوا بقواتهم داخل الأراضي

---

(447) Jordanes: The Origin and Deeds of Goths. P. 43; Vernadsky G.: op-cit., p. 137.

(448) The Huns, p. 70.

(449) Thompson: op. cit., p. 35.

(450) Theophanes Confessor: op- cit., p, 134. cf. also. Jones, A.H.M: op. cit., vol. I, p.193: young: op-cit., pp. 67- 68; lot. F.: the End of the Ancient World and The Beginning of the Middle Ages, (N.Y.1961) p. 217; Treadgold W.: op-cit., p. 90.

زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ١٨٥- ١٨٦.

البيزنطية، وأعملوا النهب والسلب داخل إقليمي داكيا وتراقيا. ولقد وقع هذا الهجوم في سنة ٤٢٢م[٤٥١].

ولكن كيف تمت مقاومة الهون من قبل بيزنطة؟. إن هذا ينتابه الغموض تماماً، لا سيما وأن كتب التاريخ الموجودة تحت يد الباحث لم تقل النذر القليل عن ذلك. حيث أشارت إلى أنه على الرغم من الجهود العسكرية التي بذلها أردابوريوس وأسبار، كان معظم الدانوب منهوباً. ولم يكن الإمبراطور البيزنطي يعرف ما الذي سوف يقوم به ضد هؤلاء الهون[٤٥٢]. الذين أصبحوا آنذاك يشكلون خطراً جسيماً على القسطنطينية نفسها[٤٥٣].

وبعد عامين من النهب والسلب، وبالتحديد في سنة ٤٢٤م، اضطر الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني إلى عقد هدنة مع الهون، وافق بمقتضاها أن يدفع لهم إعانة مالية سنوية تقدر بحوالي ٣٥٠ جنيهاً من الذهب[٤٥٤]. وهي تعادل ١٤,٠٠٠ ألف جنيه إسترليني[٤٥٥].

وعلى الرغم من أن هذا المبلغ، الذي عن طريقه تم شراء رو ملك الهون، لم يكن كبيرًا، على حد قول بعض المؤرخين، فإنه كان يمثل فضيحة لا نظير لها للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني[٤٥٦]. وفي محاولة للتغطية على هذه الفضيحة منحت الإمبراطورية البيزنطية رو ملك الهون لقب جنرال في الجيش البيزنطي، وقد تنازل ملك الهون وقبله[٤٥٧].

---

(451) Treadgold W.: op- cit., p. 90; Thompson: op- cit., p. 35; Alexander P. Kazhadan and other: op- cit., vol. I, p. 957.

(452) Matthew Bunson: op- cit., p. 413.

(453) Gibbon: op- cit., Chapter XXXV. Net, p. I: Thompson J. W. : op- cit., vol. I, p. 96.

(454) George Vernadsky : op. cit., p. 138; Jones A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 139; Gordan C, D: op- cit., p. 59.

(455) Thomas Hodgkin: op. cit., p. 40.

(456) Treadgold W.: op-cit., p. 90.

(457) Gibbon: op. cit., Chapter XXXIV, Net, p. I.

وتعليقاً على المبلغ المالي الذي وافقت بيزنطة على دفعه إلى رو ملك الهون، يقول بعض المؤرخين أنه كان حاجزًا ذات تأثير أكبر من الأسوار ضد هؤلاء البرابرة(٤٥٨). كما أنه كان محاولة لكبح طموحات رو في الإمبراطورية الرومانية الشرقية(٤٥٩). وكذلك لتشجيع الهون على المحافظة على السلام(٤٦٠). والجدير بالذكر، أن هذه هي المرة الأولى وافقت فيها بيزنطة على دفع إعانة مالية أو جزية إلى الهون. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى الرعب الذي كان يشكله رو ملك الهون إلى البيزنطيين.

ومن الواضح أن الهون بقيادة ملكهم رو غادروا تراقيا بعد موافقة الحكومة البيزنطية على أن تدفع لهم الإعانة المالية. ورغم ذلك يقول بعض المؤرخين: "ليس لدينا تفاصيل، كما أننا لا نعرف شيئاً عن الطريقة التي تم استخدامها لطردهم من تراقيا"(٤٦١).

ومهما يكن من أمر، فقد استطاعت الهدنة التي عقدت آنفًا بين الهون وبيزنطة أن تجلب السلام إلى حدود الدانوب ولكن لسنوات قليلة(٤٦٢).

ففي سنة ٤٣٤م، أعلن رو ملك الهون الحرب على بيزنطة. وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: ما ذكرته إحدى المصادر المعاصرة من أن قبائل الأميلزوري Amilzuri، الإيتيماري Itimari، تونسورس Tounsoures والبويسي Boisci، وغيرها من القبائل الأخرى القاطنة على مقربة من نهر الدانوب، كانت متحالفة مع الرومان، ولهذا السبب شن رو الحرب عليها،

---

(458) Bury J.B: op. cit., I, p. 271; Jones: op. cit., vol. I. p. 193.

(459) Matthew Bunson: op. cit., p. 369.

(460) Norwish J.J: Byzantium; (N.Y.,1989), p. 152.

(461) Thompson: The Huns, p. 35.

(462) Ibid: p. 83.

ومن ثم فإن ذلك دفع الكثير من أبناء هذه القبائل إلى عبور الدانوب للأرض الرومانية(٤٦٣).

ثانيًا: كان الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني قد استأجر عدة فرق هونية للعمل ضمن جيوشه، وهذا كان مناقضًا لاتفاقه مع رو، الأمر الذي دفع الأخير إلى مطالبة الإمبراطور برفت- وعلى وجه السرعة- جميع الهون الذين يعملون في خدمته، وتسليمهم إليه، ولكن حكومة القسطنطينية رفضت هذا الطلب(٤٦٤).

ثالثًا: تغير البناء السياسي، في سنة ٤٣٠م، للمجتمع الهوني في السهول الشمالية لنهر الدانوب. وذلك عندما تمكن رو ملك الهون، من إخضاع الكثير من الشعوب الموجودة في هذه المنطقة، وبذلك تمكن من فرض سيطرة الهون هناك، ومن ثم فإن ذلك أعطاه سلطة منفردة على جميع شعوب المنطقة(٤٦٥).

رابعًا: في سنة ٤٣٤م كانت معظم القوات البيزنطية تحارب في أفريقيا دفاعًا عن الإمبراطورية الغربية. فقبل ذلك بخمس سنوات، أصيبت بيزنطة بالرعب عندما وصلت الأخبار إلى القسطنطينية تفيد بأن الوندال استولوا على أجزاء واسعة من ولاية أفريقيا. ومن ثم فإنه على الفور تم إرسال القائد البيزنطي أسبار على رأس القوات البيزنطية إلى الشمال الأفريقي في سنة ٤٣١م، وفي سنة ٤٣٤م تم تعيينه قنصلاً غربيًا، ومن ثم كانت هذه فرصة ذهبية إلى الملك الهوني رو على حد الدانوب، ولم يكن على استعداد أن يضيعها(٤٦٦).

---

(463) Priscus: op. cit., p. 225. cf. also, Thomas Hodgkin: op. cit., p. 40.

(464) Vernadsky G.: op. cit., 138.

(465) Roger Collins: Early Medieval Europe 300- 1000, p. 84.

(466) Theophanes confessor: op- cit., pp. 146, 147. cf. also, Thompson: op- cit., p. 79; Jones A.H.M.: op- cit., vol. I, p. 193.

وعلى كل، في بداية الشهور الأولى من عـام ٣٤٣م ظهـر إسـلاس Eslas، سفير الملك الهوني رو، في مدينة القسطنطينية. لقد جاء بأوامر قاسية، تمثلت في تهديد رو بإلغاء السلام القائم بين الجانبين وإعـلان الحـرب علـى بيزنطة ما لم تسلم إليه جميع اللاجئين الهون الذين آوتهم، عندما هربوا منه(٤٦٧). إن هؤلاء الهون، كما ذكر بعض المؤرخين، كانوا من الذين رفضوا الاعتـراف بقيادة رو، وفضلوا الاستقلال النسبي، وذلك بالهروب إلى الرومان والعمل فـي الجيش الإمبراطوري(٤٦٨).

وبسبب هذا الوضع المنذر بالحرب قررت الحكومة البيزنطية إرسـال سفارة إلى الهون، وعند ذلك تطـوع كـل مـن بلينثـا Plintha وديونيثـوس Dionysius للقيام بهذه المهمة. ومن جانبه بعث بيلنثا واحدًا من أتباعه يـدعى سنجيلاتش Sengilach، وذلك لحث الهون على فتح باب المفاوضات معه هـو شخصيًا، وليس مع أحد غيره(٤٦٩).

ويعلق أحد المؤرخين المحدثين على تصرف بلينثا موضحًا أنه في حـد ذاته يعتبر نوع من أنواع التآمر أو الشللية في البلاط البيزنطي، لدرجة أنه سعى لاحتكار المفاوضات مع رو، ولكن ليس من السهل معرفة من الآخـرين الـذين

---

(467) Priscus: op. cit., p. 225. cf. also, Thompson: op-cit., p. 79; Gordan C.D.: op-cit., 59.

(468) Thompson: op-cit., p. 79.

(469) Priscus: op-cit., p. 225. cf. also, Thompson: op-cit., p. 805 Gordan C.D.:op-cit.,p. 60.

لقد كان بلينثا ذات أصل سكيثي، أما ديونيثوس فكان ذات أصل تراقي. كان كلاهما قائدًا في الجيش الروماني، سبق وأن توليا مهمة تمثيل الرومان في الخارج: Priscus, op-cit., p. 60، أصبح بلينثا قنصلاً في سنة ٤١٩م، وكان في غضون ذلك من أكثر القادة نفوذًا داخل البلاط الإمبراطوري. أما ديونيثوس فقد أصبح قنصلاً عام ٤٢٩م. Thompson: The Huns, p. 80

ومن المحتمل أن سنجيلاتش، يكون آلاني أو هوني، كما هو واضحًا من اسمه Gordan C.D.: op-cit.,60.

يرغب في استبعادهم من المفاوضات إن هذه واحدة من المكائد التي ظهرت في الصراع السياسي الداخلي أثناء حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني(٤٧٠).

وعلى أية حال، إن تهديد رو، ملك الهون، بإعلان الحرب على بيزنطة لم يخرج إلى حيز الوجود، وذلك بسبب وفاته فجأة، في سنة ٤٣٤م واعتلاء أتيلا Attila وبليدا Bleda، أبناء أخيه مونديوك Mundiuch العرش الهوني، معًا(٤٧١). وعلى الرغم من أن بليدا كان الأخ الأكبر لأتيلا الذي تولى قيادة قسمًا كبيرًا من الهون، فإن السلطة الحقيقية كانت في يد أتيلا ولذلك سادت شخصيته على شخصية بليدا(٤٧٢). وينفرد بعض المؤرخين بالقول، إن رو قد مات سنة ٤٣٣، ثم تولى بعده أخوه مونديوك قيادة معظم قبائل الهون، وبعد وفاة مونديوك تولى العرش ابناه أتيلا وبليدا، في سنة ٤٣٤م(٤٧٣). والباحث من جانبه لا يميل إلى هذا الرأي وذلك لأن بريسكوس(٤٧٤) المؤرخ المعاصر، قال: "وبعد وفاة رو Rau انتقل الحكم إلى كل من أتيلا وبليدا".

والحقيقة أن وفاة رو لعبت دورًا كبيرًا في إنقاذ البيزنطيين، الذين سيطر عليهم الرعب، بسبب ميوله العسكرية. ولقد ألقى بروكلوس (٤٣٤- ٤٤٧م) Proclus، بطريرك مدينة القسطنطينية خطبة شكر فيها الرب، عندما وصلت الأخبار بوفاة رو. ومما جاء في هذه الخطبة "أنه عندما كان رو على وشك الاندفاع في الهجوم على الإمبراطورية الشرقية، أباده الإله وأتباعه"(٤٧٥).

---

(470) Thompson: op-cit., 80.

(471) Priscus: op-cit., p. 225; Jordames: op-cit., p. 43; Theophanes Confessor: op. cit., p. 159.

(472) Jordanes: op-cit., 43. cf. also, Young: op-cit., p. 84; Thompson: op-cit.,p. 81; Vernadsky G.: op-cit., p. 139; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 271.

(473) Matthew Bunson: op-cit., p. 42, 200.

(474) Fragmentary Classicsing Historing of The Later Roman Empire, p. 255.

(475) Thompson: op-cit., pp. 80-81.

وعلى أية حال، لقد وجد مجلس السناتو أن الوقت قد أصبح مناسبًا لإرسال سفارة بلينثا إلى الهون، على الرغم من وفاة ملكهم رو واعتلاء حكام جدد، وذلك للتفاوض معهم وعندما صدق الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على هذا القرار، أبدى بلينثا رغبته في أن يصطحب معه أبيجنيس Epigenes في هذه المهمة، وذلك لأنه كان قد حاز شهرة واسعة في الحكمة ورجاحة العقل والسمعة الطيبة، كما أنه كان قد تولى منصب الكويستر Quaestor(٤٧٦). وفور الموافقة على طلبه انطلقا الإثنان في سفارتهما، فوصلا إلى مدينة مارجوس Margus(٤٧٧)، في سنة ٤٣٥م. وهناك كان أتيلا وبليدا يعقدان اجتماعهما(٤٧٨). ولقد وافقا أتيلا وبليدا على إجراء المقابلة الشخصية مع سفراء الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني خارج مدينة مارجوس، ولكنهما رفضا – بكبرياء– النزول من فوق خيولهما، وذلك لإيمانهم أنه من اللائق التفاوض وهم على ظهور الخيل، فليس من المناسب الترجل. ونظرًا لأن أعضاء السفارة البيزنطية كانوا غيورين على كرامتهم، فقد ظلوا راكبين على خيولهم. فقد وجد السفراء أنه ليس من المناسب أن يجدوا أنفسهم يتفاوضون وهم على الأرض مع أناس راكبين. ولكن ذلك سبب لهم ألمًا شديدًا، بسبب الجلوس الطويل على ظهور الخيل خلال المفاوضات(٤٧٩).

---

(476) الكويستر Quaestor: هو الشخص الذي تولى درجة قضائية أدنى في الدرجات القضائية، والمركز الأول المأخوذ بواسطة كل المرشحين للقيام بمهنة السيناتور.

أنظر: Matthew Bunson: op-cit., p. 353.

(477) مارجوس Margus: إحدى مدن مؤيزيا في الليريا، تقع على نهر الدانوب قرب مصب نهر مورافا Morava، اليوم نهر صربيا الأساسي، الذي يصب في الدانوب.

أنظر: Priscus: op-cit., vol. II, p. 227. cf. also, Thomas Hodgkin op-cit., p. 47.

(478) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 225. cf. also, Gordan C. D.: op-cit., p. 60; Thompson: op-cit., p. 82; Young: op-cit., p. 84; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48

(479) Priscus: op-cit., vol. II, p. 227; Gordan C.D.: op-cit., p. 60. cf. also, Thompson: op-cit., p. 83; Vernadisky G.: op-cit., p. 139.

والجدير بالذكر، أنه لم يقل لنا أحد من المؤرخين القدامى أو المحدثين كم المدة التي استغرقتها المفاوضات، ولا ما الذي دار أثناء هذه المفاوضات.

ولكن ما يجب علينا أن ندركه أن أتيلا في أولى مفاوضاته مع القسطنطينية أثبت أن كان يميل إلى السلام وليس إلى الحرب(٤٨٠). كما أثبت أنه مفاوض صلب، تفاوض بأقصى درجات الغرور، وأملى شروط السلام على سفراء الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، الذين لم يتمكنوا من كسب أي نصر دبلوماسي واضح لسيدهم(٤٨١).

ولقد نصت شروط معاهدة السلام بين الهون وبيزنطة على الآتي:

أولاً: يجب على الرومان في المستقبل عدم إيواء الذين يقومون بالهروب من المستعمرات الهونية في سكيثيا Scithia.

ثانيًا: قيام الرومان- على الفور-، بتسليم جميع اللاجئين الهون الذين هربوا إليهم من الأراضي الهونية.

ثالثًا: تسليم أسرى الحروب من الرومان، الذين كانوا قد استطاعوا الهروب إلى أراضيهم دون دفع الفدية إلى من أسرهم. وإن لم يسلموا هؤلاء الأسرى، فإنه ينبغي على كل أسير دفع مبلغ ثمانية سولدات Solidi على أن تُدفع لمن قام بأسره أثناء الحرب.

رابعًا: عدم تحالف الرومان، في المستقبل، مع أي قبائل بربرية ضد الهون إذ ما استعد الهون لخوض الحرب ضدهم.

خامسًا: يجب أن يقام هناك سوق تجاري، تتساوى فيه الحقوق التجارية بين الهون والرومان، على أن يتوافر في هذا السوق الأمان.

سادسًا: أن يدفع الرومان لقادة الهون مبلغ ٧٠٠ جنيه من الذهب كل عام.

---

(480)Vernadisky G.: op-cit., p. 139.

(481) Jones A.H.M.: op-cit., Vol. I, p. 193; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 47; Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 2.

سابعًا: إن دوام المعاهدة واستمراريتها سوف يتوقف فقط على دفع المبلغ المطلوب من الرومان إلى الهون.

ووفقًا لهذه الشروط، تم إبرام اتفاقية السلام بين الهون وبيزنطة، وبعد تبادل القسم على الوفاء بشروطها، عاد كل فريق إلى بلاده(٤٨٢). وعلى هذه الشروط وقعت الحكومة البيزنطية ما يجب أن يطلق عليه سلام مارجوس سنة ٤٣٥م. كما وقع الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على هذه الاتفاقية ولكنه عندما وقع عليها يبدو أنه لم تكن لديه نية كاملة لتنفيذ شروطها(٤٨٣).

وتعليقًا على معاهدة مارجوس يقول أحد المؤرخين: "لقد استطاع أتيلا أن يفرض على القسطنطينية معاهدة كلها إذلال وهوان"(٤٨٤).

ولكن لماذا؟. إن الإجابة نجدها لدى بريسكوس(٤٨٥) الذي يقول: "عندما أصبح ثيودوسيوس الصغير إمبراطورًا للرومان (بيزنطة) بعد وفاة والده ولأنه لا يفضل الحرب ويفضل العيش في خوف ويسعى للسلام مقابل المال لا القتال، فكان سببًا للنتائج السيئة التي أصابت الدولة الرومانية آنذاك (يقصد بيزنطة)".

وعلى أية حال، تعد معاهدة مارجوس سنة ٤٣٥م، أول معاهدة تسجلها لنا المصادر التاريخية، في مجال العلاقات الدبلوماسية بين الهون وبيزنطة. ولقد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن أتيلا- هذا البربري الهجمي المتسلط- كان في نفس الوقت رجلاً ذات حس دبلوماسي عال؛ لأنه في هذه المعاهدة وضع الهون،

---

(482) Priscus: op-cit., vol. II, p. 227. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., pp. 60-61; Thompsom: op-cit., p. 83; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48; Jones A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 193; George Vernadisky: op-cit., p. 193; Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 2; Treadgold W.: op-cit., p. 93; William G. Sinnigen and other: op-cit., p. 461; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 273; Previte Orten: op-cit., p. 93.

(483) Thompson: The Huns, p. 83- 85.

(484) موسى هـ.ل.: المرجع السابق، ص ٩٦؛ العريني: المرجع السابق، ص ٩٨.

(485) Fragmentary Classiciing Historians of The Later Roman Empire, vol. II, p. 229.

البرابرة، على قدم المساواة مع الرومان أصحاب الحضارة. بل لا يتعدى الباحث الصواب إذ قال إن أتيلا من خلال شروطه كان يرى في نفسه أنه أعظم من الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني.

وفي محاولة من الإمبراطورية البيزنطية لإنقاذ ماء وجهها؛ فقد تظاهرت باعتبار الهون حلفاء، وأن ملكهم قائد في خدمتها، ولذلك كان أتيلا يسمى ماجيستر ميليتيم Magister Militum [٤٨٦]. وهذا ما قبله أتيلا نفسه[٤٨٧]. وبناءًا على هذا كانت بيزنطة تدفع المبلغ المطلوب منها إلى أتيلا سنويًا، تحت اسم "راتب" لقائد في الجيش الروماني[٤٨٨]. وكان الهدف من ذلك هو شراء الحماية الإقليمية[٤٨٩].

ولم تتردد حكومة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في إخراج معاهدة مارجوس إلى حيز التنفيذ العملي. ومن ثم فإنها سلمت، وعلى وجه السرعة، إلى الجانب الهوني الهاربين لديها كلاجئين، والذين كان من بينهم طفلان ينتميان إلى البيت الملكي الهوني وهما ماما Mama وأتاكام Atakam، واللذان بمجرد ما إن سلما تم قتلهما عن طريق الخازوق بالقرب من قلعة كارسوم Carsum، إحدى قلاع تراقيا[٤٩٠]. هذا ويذكر بعض المؤرخين أن أتيلا كان قد طالب الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني بأن يسلمه الطفلين[٤٩١].

---

(486) الماجستير ميليتيم: حاز على هذا اللقب العديد من الجنرالات العظام في القرن الرابع والخامس للميلاد. وهو يعني "سيد الجند" Master of Soldiers وهذا المنصب كان متوليه يشغل مكانًا ليس له سابقة من نوعه في مسائل الإمبراطورية الرومانية.

أنظر: Matthew Bunson: op-cit., p. 254.

(487) Ferdinand Lot: op-cit., 217.

(488) اسمت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٩.

(489) Thompson W.J.: The Middle Ages 300 1500, vol. I, p. 97.

(490) Priscus: op-cit., vol II, p. 227. cf. also, Gordan C.D.: op-cit.,p. 61; Thompson: The Huns, p. 85; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48.

(491) Young: op.cit., p. 84.

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية المعاصرة لم تشر إلى ذلك فإن الباحث يميل إلى هذا القول، وذلك لأن هذين الطفلان، بالتأكيد، كانا يشكلان خطورة سياسية على أتيلا ومن ثم لابد من التخلص منهما.

ومع ذلك، يبدو أنه في السنوات التالية، أغفل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني دفع ال ٧٠٠ جنيه الذهبية، التي نصت عليها معاهدة مارجوس، هذا ما ناحية، كما أنه –مؤكد تمامًا– أن الإمبراطور وجد أن اللاجئين لديه من القبائل المتبربرة، يمثلون أهمية كبرى إلى قواته، ولذلك لم يسلم منهم الكثير إلى أتيلا(٤٩٢).

وعلى أيه حال، إن أتيلا وبليدا وبلاطهما، بعد إقامة السلام مع بيزنطة، استأنفوا حروبهم في سكيثيا، حيث أخضعوا العديد من الشعوب الموجودة هناك، كما أشعلوا الحرب على السوروسجي Sorosgi، وهؤلاء غير معروفين(٤٩٣). لقد كان هدف أتيلا الأساسي أن يثبت السلطة الهونية في منطقة القوقاز الشمالية والشرقية. وكانت النتيجة، أن تهديد الهون للإمبراطورية البيزنطية قد توقف لحوالي سبع سنين(٤٩٤). استطاع خلالها أتيلا أن يقيم لنفسه إمبراطورية واسعة امتدت من غالة غربًا حتى الدانوب جنوبًا، وشرقًا وشمالاً امتدت حتى جبال القوقاز. لقد اشتملت إمبراطوريته على عدة أمم مثل الآلان، القوط الشرقيون، والجبيدي Gepids، والروجيين، والسكريين، وغيرهم من سكان وسط أوروبا(٤٩٥).

---

(492) Thompson: The Huns, p. 85.

(493) Priscus: op-cit., vol. II,p. 227. cf. also, Gordan: op-cit., p. 61

(494) Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48; Vernadisky G.: op-cit., p. 139; Bury J. B.: op-cit., vol. I, p. 273.

(495) Gordan C.D.: op-cit., p. 62; Young: op-cit., p. 84; Norwish: op-cit., p. 153; Alexander P. Kazhdan and other: op-cit., p. 957; Ferdinand Lot: op-cit., p. 217.

فشر هـ.أ.ل.: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٣١.

ولكن من الواضح أن أتيلا لم يكن يسيطر على جميع هذه المناطق بنفسه، بل إن العديد من رؤساء القبائل كانوا يحكمون تحت سيادته. أما بالنسبة إلى حكومته الشخصية، فمن المحتمل جدًا أنها انحصرت تقريبًا داخل المجر الحديثة وترانسلفانيا(٤٩٦).

وعلى أية حال، يبدو أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني كان يدرك بدرجة كبيرة الخطر من جراء سياسته القائمة على عدم تسليم معظم الهاربين إلى الهون، والتوقف عن دفع الجزية المطلوبة منه، وذلك لأنه قام في سنة ٤٣٩م بخطوة هامة تدل على مغزى كبير. تمثلت في أوامره إلى كيروس (٤٣٩- ٤٤٣م) Cyrrus، وإلى مدينة القسطنطينية بإكمال تحصيناتها؛ وذلك لأن أسوار ثيودوسيوس التي كان قد بدأ العمل فيها سنة ٤١٣م على يد أنثيميوس لم تؤمن المدينة بدرجة كبيرة، فأطراف هذه الأسوار كانت ما تزال مفتوحة من الناحية البحرية، وإذا تحالف الهون مع أية قوة بحرية فإن ذلك سوف يشكل خطورة كبيرة عليها(٤٩٧). لقد كان الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني يدرك أن الحرب مع أتيلا قد تنشب في أي وقت. وعلى كل كان أتيلا يتحين الفرصة المناسبة، والتي جاءته في سنة ٤٤٠م(٤٩٨).

وفي ذلك تقول الأحداث إنه في سنة ٤٤٠م وصلت الأخبار إلى مدينة القسطنطينية بأن قرطاجة، عاصمة ولاية شمال أفريقيا سقطت في يد الوندال في ١٩ أكتوبر سنة ٤٣٩م. ولأن الدفاع عن الشمال الأفريقي كان حيويًا لمدينة القسطنطينية، ففي ربيع سنة ٤٤١م غادر أسطول بيزنطي يتكون من ١٢٠٠ سفينة العاصمة، بقيادة الجنرال القوطي آريوبيندوس Ariobindus لإنقاذ قرطاجة من الوندال. وتقريبًا في نفس الوقت وقعت كارثة أخرى وذلك عندما

---

(496) Thomas Hodgkin: op-cit., p. 44; Ferdinand Lot: op-cit., p. 217; Hoyt R.S. and other: Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1976), p. 67; William G. Sinnigen and other: op-cit., p. 456.

(497) Theophanes Confessor: op-cit., p. 151. cf. also, Thompson: op-cit. pp. 85- 86.

(498) Thompson: op-cit., p. 86.

اندفعت القوات الفارسية بقيادة الملك الفارس يـذدجرد الثـاني (٤٣٨- ٤٥٨م) Yazdegerd II، غازية أرمينيا البيزنطية. وعلـى الـرغم مـن أن القـوات الفارسية كانت مردودة، وذلك لأنها كانت مهددة من الخلف بواسطة الإفثـاليتس Ephthalites ،الهون البيض)، كان لابد من نشر جيش بيزنطي كبيـر علـى الحدود مع فارس لمواجهة أي تهديد فارسي. وهكذا، كان الحد الدانوبي قد تـم تجريده بدرجة كبيرة من القوات المدافعة عنه(٤٩٩).

وهكذا جاءت الفرصة إلى أتيلا، وقام باستغلالها جيدًا. ولكن كان عليـه ادعاء أسبابًا لمهاجمة بيزنطة. فاشتكى أن الجزية لم تـدفع بانتظـام، كمـا أن الهاربين من مستعمراته لم يتم إعادتهم، وبناءً على ذلك عبر الدانوب(٥٠٠).

ولكن هناك من المؤرخين من يقول بأن هجوم أتيلا على الإمبراطورية البيزنطية كان بإيحاء من جيزريك الملك الواندالي، لا سيما عندما رأى الأخيـر أن موانئ صقلية قد أصبحت مملوءة بقوات الإمبراطور ثيودوسـيوس الثـاني البحرية والبرية(٥٠١).

وعلى أية حال، وقع هجوم كبير على الإمبراطورية البيزنطية في سـنة ٤٤١م. فأثناء انعقاد السوق، الذي نصت عليه اتفاقية مارجوس، انقض الهـون على البيزنطيين وقتلوا منهم أعدادًا كبيرة، والذين كانوا في الغالب من التجـار.

---

(499) وللمزيد من التفاصيل، أنظر:

Theophanes Confessor: op-cit., p. 157. cf. also, Thompsin: op-cit., pp. 86-87; Vernadisky G.: op-cit., p. 141; Treadgold: op-cit., p. 94; Bury: op-cit., vol. I, p. 273.

زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ١٨٦.

(500) Bury: op-cit., vol. I, pp. 273- 274; Jones A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 193.

(501) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 5; Previte Orton: op-cit., p. 93.

وعلى الفور احتجت الحكومة البيزنطية على هذا السلوك العدواني المتمثل في نقض معاهدة مارجوس، وعدم احترام ما جاء فيها بخصوص السوق(٥٠٢).

ولكن الهون أجابوا بأنهم لم يكونوا هم الذين بدأوا بالعدوان، وأن ما قاموا به يعتبر دفاعًا عن النفس، كان سببه أسقف مدينة مارجوس، الذي عبر نهر الدانوب، وقام بالتنقيب في مقابرهم الملكية وسرق ما بها من كنوز وعليه فقط طالبوا بتسليم هذا الرجل فورًا، وجميع اللاجئين أو فديتهم، وإلا فإنهم سوف يواصلون الحرب. وعندما أجاب الرسل البيزنطيون بأن هذه الإدعاءات خاطئة، أكد الهون على صحة مزاعمهم، ورفضوا أية محاولة للتحكيم والتفاوض حول الأمور محل الخلاف، وأعلنوا الحرب على بيزنطة(٥٠٣).

وعلى كل، واصل الهون عملياتهم العسكرية ضد بيزنطة، فعبروا نهر الدانوب على وجه السرعة، من مكان غير معروف، وخربوا العديد من المدن والحصون الموجودة على الضفة الجنوبية للنهر، ولقد كان من ضمن هذه المدن، مدينة فيميناسيوم Viminacium، في أليريا(٥٠٤). ولقد تم تسوية هذه المدينة بالأرض. وعندما زار المؤرخ بروكوبيوس هذا المكان بعد قرن من الزمان قال: "إن مدينة فيميناسيوم الواقعة هناك، لكن منذ زمن طويل، تم تدميرها". وظلت المدينة مهجورة، حتى أعاد الإمبراطور جستنيان بناءها(٥٠٥) أما بخصوص سكان هذه المدينة الذين قدر لهم العيش بعد تخريبها فقد أخذهم الهون أسرى(٥٠٦).

---

(502) Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Thompson: op-cit., pp. 87-88; Gordan C.D.: op-cit., pp. 62- 63.

(503) Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., p. 63; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 274.

(504) Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Thopson: op-cit., p. 88; Treadgold W.: op-cit., 94.

(505) Thompson: op-cit., p. 88.

(506) Ibid, p. 89.

وفي وسط هذه الأحداث العسكرية، انطلقت الكثير من الدعوات تطالب بضرورة تسليم أسقف مدينة مارجوس إلى الهون، لأنه ليس من المعقول المخاطرة بحياة الشعب البيزنطي كله، وإقحامه في أتون هذه الحرب من أجل حياة رجل واحد. ولكن عندما ساورت الأسقف الشكوك في إمكانية تسليمه، غادر المدينة سرًا وعبر نهر الدانوب إلى الهون، وهناك وعدهم بتسليم المدينة إليهم مقابل بعض العروض الجيدة. وعندما وعدوه بأنهم سوف يعاملونه بصورة جيدة إذا استطاع تنفيذ وعده، تم الاتفاق بين الطرفين والقسم على ذلك، لضمان تنفيذ هذا الوعد. وعند ذلك عاد الأسقف إلى الأراضي البيزنطية تصحبه قوة كبير من الهون، والتي قام بإخفائها على جانب النهر، وعند حلول الظلام، ومن أبواب المدينة التي تركها الأسقف مفتوحة، انساب الهون داخلها. وساد النهب والسلب فيها على وجه السرعة(٥٠٧). ويذكر بعض المؤرخين أن هذه المدينة لم يتم بناؤها. كما أن مصير أسقفها لا يكون معروفًا(٥٠٨). وعلى أية حال، إن الاستيلاء على مدينة مارجوس فتح شهية الهون للتقدم داخل الأراضي البيزنطية.

وعلى أية حال، في الوقت الذي استولى فيه الهون على مدينة مارجوس، نجحوا في الاستيلاء على قلعة قنسطانطيا Constantia، الواقعة على الضفة الأخرى لنهر الدانوب في مواجهة مدينة مارجوس. كما تم تسوية مدينة سينجيدونوم Singidunum (بلجراد) بالأرض، والتي ظلت مهجورة حتى أيام الإمبراطور جستنيان(٥٠٩). ولكن النكبة الأسوأ تمثلت في ضياع مدينة سيرميوم Sirmoum، التي يدور عليها دفاع حد الدانوب كله. وعلى الفور تمت

---

(507) Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Gordan: op-cit., p. 63; Thomas Hodgkin: op-cit., pp.. 49- 50.

(508) Thomas : The Huns, p. 89.

(509)Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Thompson: op-cit., p. 89.

إبادتها، وتحول سكانها إلى أقنان في أيدي الهون. وبالاستيلاء على تلك المدينة، وصلت حملة أتيلا العسكرية على بيزنطة، سنة ٤٤١م، إلى نهايتها(٥١٠).

وإجابة على سؤال بخصوص دور الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في الدفاع عن أراضيه ضد الغزو الهوني. يقول بعض المؤرخين: "إن الخطر العام والمحنة التي تعرض لها الشعب البيزنطي، لم تحركا الإمبراطور ثيودوسيوس عن الابتعاد عن لهوه، والتقدم على رأس قواته للدفاع عن أراضيه"(٥١١). إن كل ما فعله الرجل، عندما تطور الهجوم الهوني هو استدعاء الأسطول من صقلية. ولكن هذا الأسطول لم يصل إلى القسطنطينية في الوقت المناسب، حيث كان من الممكن مشاركة قواته في قتال سنة ٤٤١م.

والحقيقة؛ أن الحكومة البيزنطية لم تكن قادرة على القيام بأي دور دفاعي ضد هجمات الهون على مدن وقلاع الدانوب. وبصراحة شديدة، هناك تأكيد قاطع على أنه خلال حملة أتيلا على الأراضي البيزنطية سنة ٤٤١م لم يقابل بأي مقاومة من قبل جيوش الميدان البيزنطية(٥١٢). والباحث من جانبه يرى أن أتيلا اختار أن يضرب ضربته عندما كانت معظم، جيوش الإمبراطورية تقاتل على حدودها الشرقية ضد الفرس، وحتى إذا عادت سوف تكون منهكة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الاسطول البيزنطي في صقلية، وعلى متنه الآلاف من القوات البيزنطية.

---

(510)Thompson: op-cit., p. 89.

(511)Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 5.

وسيرميوم: مدينة تقع على نهري سافا Sava في إقليم بانونيا السفلى، قرب مدينة بلجراد الحديثة، والدانوب. واحدة من أعظم مدن الإمبراطورية الرومانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، بسبب موقعها المتوسط القريب من الحد الدانوبي. ولذلك كانت مركزًا عظيمًا للأعمال بحرية. وللمزيد من التفاصيل أنظر: Theophylact Simocata: The History, Tr. By Michael and Mary Whitby (Oxford, 1986), p. 23, (Not. 18). Cf. also, Matthew Bunson: op-cit., p. 390.

(512)Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Thompson: op-cit., p. 90; Treadgold W.: op-cit., p. 94.

ومع ذلك، يذكر بعض المؤرخين أن أسبار – سيد الجند – تقدم ضد الهون، في سنة ٤٤١م، ولكنه وجد أنه من الأفيد إلى بيزنطة ترتيب معاهدة سلام مع الهون لمدة عام واحد، والتي يبدو أن شروطها اشتملت على عودة اللاجئين ودفع المتأخرات من الجزية إلى أتيلا. وكانت النتيجة توقف الأعمال العسكرية للهون في الأراضي البيزنطية، سنة ٤٤٢م(٥١٣).

والجدير بالذكر، أن المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الأحداث، بل والمراجع الحديثة، الموجودة تحت يد الباحث، لم تقدم معلومات أكثر عن مقاومة أسبار لأتيلا، أو عن معاهدته التي عقدها مع الهون سنة ٤٤١م.

ومهما يكن من أمر، فقد استغل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني لأقصى درجة فترة التقاط الأنفاس، التي تمثلت في سنة ٤٤٢م. والحقيقة، أنه كان يدرك أن الحرب آتية مع الهون لا محالة، ومن ثم فإنه راح يستعد ويبدو أنه قام برفع مرتبات قواته، والدليل على ذلك السولدي Solidi الذهبي الذي أصدره خلال الشهور التسع الأولى من سنة ٤٤٢م، بكميات كبيرة(٥١٤). وبسبب استعداداته السريعة، وعودة الأسطول من صقلية، شعر الإمبراطر ثيودوسيوس الثاني بأنه أصبح قادرًا على مواجهة أتيلا، إذا ما حول الاعتداء على الأراضي البيزنطية(٥١٥).

---

(513) Treadgold W.: op-cit., p. 94; Gordan C.D.: op-cit., p. 65; Thompson: op-cit., p. 90.

وأسبار: هو فلافيوس أردابوريوس Flavius Ardaburdius، ال Magister Peditum (قائد قوات المشاة)، كان واحداً من أعظم الصور العسكرية والسياسية الهامة في الإمبراطورية البيزنطية. كان آلاني الأصل، ومن المحتمل أن زوجته كانت قوطية، من القوط الشرقيين، لأن ثيودوريك الأول، ملك القوطه الشرقيين كان ابن أخيها. حصل أسبار على لقب قنصل في سنة ٤٣٤م. لعب دورًا كبيرًا في تولية أباطرة بيزنطة بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، سنة ٤٥٠م. أنظر: Matthew Bunson: op-cit.,p. 38.

(514) Thompsons: op-cit., pp. 90-91.

(515) Ibid, p. 91.

وقبل المضي قدمًا في ملاحقة الأحداث العسكرية بين أتيلا، ملك الهون والإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، الإمبراطور البيزنطي. تجدر الإشارة إلى أنه حدث آنذاك أن خضع البلاط الإمبراطوري في القسطنطينية إلى نفوذ الوزير خريسافيوس زستوماس Chrysaaphius Zstommas الذي تولى منصبي الوالي البريتوري، ووالي مدينة القسطنطينية في ٤٤٢م أو ٤٤٣م، بعد عزل الوالي العظيم كيروس، الذي تولى هذين المنصبين لمدة أربع سنوات، على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني[٥١٦].

وعلى أية حال، قضى أتيلا سنة ٤٤٢م في تجميع قواته، ثم قام بعد ذلك بإرسال العديد من الخطابات إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، والتي كانت تدور حول قضايا اللاجئين والجزية المفترض دفعها له. كما حذر أتيلا الإمبراطور بعدم استغلال حالة الحرب الدائرة بين الجانبين في تعطيل ما اتفقوا عليه، طبقًا لمعاهدة مارجوس، وغير ذلك، والذي يجب تنفيذه بأقصى سرعة. أما فيما يخص الجزية وما قد يطرأ عليها من تغيير في المستقبل فيجب على البيزنطيين إرسال سفرائهم للتباحث معه في هذا الصدد. وأضاف أتيلا في خطاباته أيضًا أن الإمبراطور إذا حاول المراوغة أو الاستعداد للحرب، فإنه (أتيلا) لن يتمكن من كبح جماح قواته مدة طويلة[٥١٧].

أما على الجانب البيزنطي، فعندما عُرض ما جاء في خطابات أتيلا في البلاط الإمبراطوري، فإن الإمبراطور ورجال بلاطه أعلنوا أنهم لن يسلموا نهائيًا أيّ لاجئ هرب إليهم، وإذا اقتضى الأمر الاحتكام إلى الحرب فإنهم لا يمانعون. ولكنهم في نفس الوقت عقدوا النية على إرسال السفراء إلى أتيلا وذلك بهدف تقريب وجهات النظر حول القضايا محل الخلاف[٥١٨]. هذا ويذكر بعض

([516]) Priscus: op- cit., vol. II, p. 235. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., pp. 69- 70.

([517]) Priscus: op-cit., vol. II., p. 235. cf. also, Thompson: op-cit., Gordan: op-cit., 65

([518]) Priscus: op-cit., vol. II, p. 235.

المؤرخين أن عدم موافقة البلاط الإمبراطوري على عودة اللاجئين إلـــى أتـــيلا يعود إلى أنهم كانوا مجندين في القوات الإمبراطوريـــة[519]. وبالتأكيـــد كـــان الإمبراطور يعلق عليهم أملاً كبيرًا في مقاومة الهون.

ومن الواضح أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ورجـــال بلاطـــه لـــم يستوعبوا الدرس الذي وقع سنة ٤٤١م، ولم يدركوا، أيضًا، مـــا الـــذي تعنيـــه الحرب مع القبائل البدوية، لا سيما الهون. ولكنهم سرعان ما عرفوا ذلك[520].

والحقيقة أن الإمبراطور كان يعلق أملاً كبيرًا على قواته التي عادت من صقلية ومن على الجبهة الفارسية، وعلى الرغم من أن الرجل كان يدرك أنهـــا منهكة، فإن كرامته وكرامة الإمبراطورية دفعته، قبل رجال بلاطه، إلى قبـــول الحرب، ورفض إملاءات أتيلا التي أصبحت مملة.

وعلى كل، "عندما اطلـــع أتـــيلا علـــى وجهـــات النظـــر الرومانيـــة (البيزنطية)"، كما يقول المؤرخ بريسكوس، "اتسم رد فعله بالغضب الشديد" ومن ثم فقد عبر بقواته، وعلى وجه السرعة، نهر الدانوب، وراح يهاجم الأراضـــي البيزنطية عاملاً فيها النهب والسلب، ونجح في الاستيلاء على بعض الحصون، كما استولى آنذاك على مدينة راتياريا Ratiaria[521]، إحدى أكبر وأكثر المدن البيزنطية من حيث التعداد السكاني[522]، ولقد تم تدميرها تمامًا، وحمل ســـكانها كأقنان إلى المستعمرات الهونية[523].

---

(519) Thompson: op-cit., p, 91.

(520) Loc.cit.

(521) راتياريا Ratiaria: تقع على الضفة اليمنى لنهر الدانوب في مؤيزيا العليا وهي عاصمة إقليم Dacia Ripensis، كانت قاعدة أسطور نهر الدانوب، وكان يوجد بها أحد مصانع السلاح في الدولة.

أنظر: Thompson: op-cit., pp. 91- 92.

(522) Priscus: op-cit., vol. II, p. 235: Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(523) Thomson: op-cit., p. 92.

ويبدو أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني قد أدرك خطــورة الموقــف ولذلك بعث بسفارة إلى أتيلا، تولى رئاستها سيناتور Senator، وكان طريقهــا هو البحر الأسود(٥٢٤). وعلى كل ينتاب الغموض هذه السفارة، فلا نعرف مــن الذي قام بها، ولا هل وصلت إلى أتيلا أم لا، وإذا كانت قد وصلت فلا نعــرف ما الذي دار بينه وبين رجالها.

وعلى أية حال، واصل أتيلا تقدمه داخل الأراضي البيزنطيــة، فانــدفع جنوبًا عن طريق وادي نهر مارجوس Margus (مورافــا Morava)، حيــث وصل بقواته إلى مدينة نيش Nis (نيسوس Naissus)(٥٢٥). والجدير بالذكر، أن احتلال هذه المدينة، المحصنة العامرة بالسكان، كان سهلاً بالنسبة إلى الهــون، وذلك لأن سكانها لم يجرؤوا على الخروج لقتالهم. ولكن على الرغم من ذلــك فإن الاستيلاء على المدينة قد طال أمده بعض الوقت بسبب مقاومة سكانها مــن الداخل، بالرغم من آلات الحصار الكثيرة التي جلبهــا الهــون أمــام أســوار المدينة(٥٢٦). وفي غضون ذلك، تحول أتيلا بقواته ناحية الجنوب الشــرقي فــي أعالي نهر نيتشافا Nischava، ودمــر مدينــة ســارديكا Sardica، صــوفيا الحديثة، التي تعد من أهم مدن البلقان. وليس هناك أدنى شك في أن هذه المدينة قد تركت قاعًا صفصفًا(٥٢٧). وكانت النتيجة أن الطريق إلى مدينة القســطنطينية أصبح مفتوحًا وخاليًا من أية عوائق كبيرة، وعند ذلك تقدم الهون أسفل الطريق

---

(524) Priscus: op-cit, vol. II, p. 237.

(525) نيش Nis (نيسوس Naissus): تقع على الضفة اليمنى لنهر Nischava في داكيا. لقد كانت مركزًا لصناعة الأسلحة الإمبراطورية. وهي مسقط رأس الإمبراطور قنسطنطين العظيم (٣٠٥- ٣٣٧م).

أنظر: Thompson: op-cit., p. 92.

(526) وللمزيد من التفاصيل عن حصار مدينة نيسوس وكيفية الاستيلاء عليها. أنظر:

Priscus: op-cit., vol. II, p, 231. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., 63- 65; George Vernadisky: op-cit., p 142.

(527) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, george Vernadisky: op-cit., p. 141; Thompson: op-cit., p. 92.

الحربي السريع الذي يمر بطول وادي هبروس Hebrus (مـاريتزا Maritza)[٥٢٨]. وهنـاك تمكنـوا مـن الاسـتيلاء علـى مدينـة فيليبـوليس Philippopolis[٥٢٩]. وعند ذلك فإن الدفاع عن الأقاليم الأوروبيـة أصـبح مستحيلاً، وذلك لأنه عند هذه المدينة فإن الطريق الهام يجري من الشمال إلـى الجنوب، من أوسكوس Oescus على نهر دانوب شمالاً إلى البحـر الإيجـي، عابرًا الطريق السريع القديم الذي يمر من البسفور إلـى الغـرب[٥٣٠]. وفـي غضون ذلك، تمكن أتيلا أيضًا مـن الاسـتيلاء علـى مدينـة أركـاديوبوليس Arcadiopolis، ولقد جمع الهون كميات لا حصر لها من النهـب والسـلب، وأعدادا كبيرة من الأسرى[٥٣١].

ويذكر المؤرخ الحولي ثيوفانيز[٥٣٢] أن مدينتي أدريانوبل Adrianople (أدرنة)، الواقعة في جنوب بلاد اليونان، وهيراكليا Herakleia (كانت تسـمى من قبل بيرينثوس Pernthos)؛ لم يستول عليهما أتيلا. ويبدو أن ذلك، في نظر الباحث، يعود إلى أن أتيلا كان يؤجل الاستيلاء عليهما إلى حين. وعلى كل، إن القائد الهوني، في غضون ذلك، كان قد استولى على حوالي سبعين مدينة مـن مدن الإمبراطورية البيزنطية[٥٣٣].

وفي نهاية المطاف، تقابلت القوات الهونية بقيادة أتـيلا مـع القـوات البيزنطيـة بقيـادة أسـبار، وأريوبينـدوس Areobindus وأرنجيسـكلوس Arnegisclus، تحت أسوار مدينـة مارسـيانوبوليس Marcinopolis، فـي السهول الواقعة بين الدانوب وجبل هاموس Haemus. ويومها هزمت القـوات

([528])Thompson: op-cit., p. 92.

([529]) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

([530])Thompson: op-cit., p. 92.

([531]) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241.; Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

([532]) The Chronicle, p. 159.

([533]) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 6.

البيزنطية في المعارك التي قادتها ضد أتيلا[٥٣٤]. الأمر الذي أدى إلى ارتدادها تدريجيًا، وسط حالة من الفوضى، إلى خيرسون Chersonese في تراقيا[٥٣٥].

أما بخصوص أتيلا فقد تقدم، بعد هزيمة القوات البيزنطية، "إلى كلا البحرين، بحر بونتوس Pontos (البحر الأسود)، والبحر (البسفور) الذي يتدفق على مقربة من مدينة غاليبولي Galilipoli وسستوس Sestos، جنوب مدينة القسطنطينية ومن مكان غير محدد شمال العاصمة، وصل أتيلا بقواته إلى قلعة أثيراس Athyras، التي تقترب بدرجة كبيرة من أسوارها، وتمكن من احتلالها[٥٣٦].

ولكن لماذا لم يهاجم أتيلا مدينة القسطنطينية نفسها؟.. بدون شك أن الرجل لم يكن يرى لدى قواته البدوية المسلحة تسليحًا بدائيًا القدرة على احتلال مدينة القسطنطينية، أو حتى مهاجمتها، لا سيما بعد التحصينات الجديدة التي كانت قد أدخلت على أسوارها[٥٣٧].

والجدير بالذكر، أن أتيلا بدلاً من مهاجمة مدينة القسطنطينية، حول أعنة خيوله تجاه الباقي من القوات البيزنطية في خيرسون، وفي المعركة الأخيرة بين القوتين، هزمت القوات البيزنطية هزيمة مدوية[٥٣٨]. وكسب اتيلا لقبه "سوط الله" The Scourge of God، أي العقاب الذي سلطه الله على الناس بسبب ذنوبهم[٥٣٩].

([534]) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 5.

([535]) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 6.

([536]) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Thompson: op-cit.,p. 93.

([537]) Thompson: The Huns, p. 93.

([538]) Thompson: op-cit., p. 93; Bury J.B.: op-cit., vol. I, 275.

([539]) Robert S.Hoyt and other: op-cit., p. 67.

والجدير بالذكر، أن النجاح العسكري الوحيد الذي حققته الإمبراطورية البيزنطية في مجال صراعها مع الهون لا يعود إلى الجيش النظامي ولكنه يعود إلى سكان مدينة أزيموس Asemus(٥٤٠).

وفي ذلك تقول الأحداث، إن فرقة كبيرة من الجيش الهونى، انفصلت عن الجيش الرئيسي بهدف غزو مؤيزيا السفلي. وقبل اقترابها من مدينة أزيموس كانت قد حملت كميات كبيرة من النهب وأعدادًا لا تحصى من الأسرى. هذا في الوقت الذي عقد فيه سكان المدينة النية على الدفاع عن مدينتهم. وعرفوا بدقة عن طريق الجواسيس تحركات الفرقة الهونية، فقاموا بالهجوم عليها، مباغتة. وعلى الرغم من أن الهون تفوقوا في العدد على أهالي المدينة، فإن الأهالي تمكنوا من الاستيلاء على ما كان معهم من النهب والأسري، وقتلوا أعدادًا كثيرة منهم(٥٤١). ويعلق أحد المؤرخين على هذا الانتصار موضحًا أنه انتصار محليًا، يخص أهالي المدينة أنفسهم(٥٤٢).

والواقع، أنه بعد الهزيمة القاسية التي لحقت بالقوات البيزنطية في خيرسون، لم يكن أمام الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني من خيار سوى طلب السلام من أتيلا. وهذا ما عبر عنه بعض المؤرخين بقولهم: "فور انتهاء الحرب بين الهون والبيزنطيين والتي وقعت في خيرسون أجرى اناتوليوس Anatolius المفاوضات مع أتيلا(٥٤٣). والحقيقة أن ثيودسيوس كان مضطرًا إلى ذلك(٥٤٤).

ولقد وافق أتيلا على إقامة السلام مع بيزنطة بالشروط الآتية:

---

(540) أزيموس Asemus: مدينة تقع على الحد بين Oescus و Adnovas، حيث يفيض نهر ازيموس (أوسما Osma الحديث) في نهر الدانوب على مسافة تسع أميال شرق الأوتوس Utus (Vid). أنظر:

Thompson: op-cit., p. 93.

(541) Priscus: op-cit., p. 93.

(542) Thompson: op-cit., p. 94.

(543) Priscus: op-cit., vol. II, p. 237.

(544) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

أولاً: أن يتم تسليم جميع اللاجئين إلى الهون فورًا.

ثانيًا: أن يدفع الرومان (البيزنطيون) مبلغ ٦٠٠ آلاف جنيه من الذهب فورًا، وهي المتبقية من الجزية المفروضة عليهم، وأيضًا مقابل ارتداده عن الأراضي البيزنطية.

ثالثًا: تدفع بيزنطة ٢١٠٠ جنيه من الذهب سنويًا كجزية، مقابل المحافظة على السلام.

رابعًا: بالنسبة لأي سجين روماني استطاع الفرار إلى بلاده دون دفع الفدية يجب أن يدفع اثنتي عشرة قطعة من الذهب.

خامسًا: أن يلتزم الرومان بعدم إيواء أي بربري يهرب من أتيلا ويلجأ إليهم(٥٤٥).

وفي ٢٧ أغسطس، سنة ٤٤٣م وقع الإمبراطور ثيودوسيوس على اتفاقية سلامه مع الهون(٥٤٦).

وتعليقًا على شروط الاتفاقية يقول بريسكوس(٥٤٧) إن الرومان قد تظاهروا بقبول هذه الشروط طواعية وعن طيب خاطر، ولكنهم في الحقيقة قبلوها بسبب الرعب الشديد الذي ملك عليهم قلوبهم. لقد أجبروا على قبول الأوامر البربرية بكل سرور، بالرغم من قسوتها، كدليل على سعيهم للسلام فدفعوا ما تبقى عليهم من الجزية المفروضة، والتي كانت حملاً ثقيلاً على ثرواتهم وعلى خزانة الإمبراطورية، تلك الثروات التي تم تبديدها، ليس على ضروريات الحياة، بل على وسائل الترف، التي لا يمكن أن يمارسها إنسان

---

(545) Priscus: op-cit., vol. II, p. 237; Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(546) Thompson: op-cit., p. 94.

(547) Fragmentary Classiciing Historian of The Later Roman Empire, vol. II, p. 237.

راجح العقل لا يهتم بالأمور العسكرية في الأوقات التي تزدهـر فيهـا أحـوال البلاد.

إن مثل هذه الجزية الفاضحة، التي كانت تسمى ذهب الهون، كانت لابد من أن تؤدي إلى زيادة قوة أتيلا وغطرسته، كما أنها جعلتـه يحتقـر لأقصـى درجة، الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ووزيره خريسافيوس(٥٤٨).

ولسداد الجزية والأموال المستحقة الـدفع لأتـيلا، ألـزم الإمبراطـور ثيودوسيوس الثاني دافعي الضرائب على التعاون في دفع هذه الأموال. بما فـي ذلك هؤلاء الذين كانوا قد منحوا مهلة لسداد ضرائبهم سواء نتيجة لقرار قضائي أو لمنحة إمبراطورية. كما أن أعضاء مجلس الشيوخ أسهموا بقدر معـين مـن الذهب يتوافق مع مرتباتهم. ولقد كان لهذه الضريبة أثر بـالغ علـى أصـحاب المناصب العليا، لأنهم عندما وجدوا صعوبة في دفع هذه الأموال اضطروا إلـى بيع مجوهرات زوجاتهم وأثاث منازلهم في الأسواق. والحقيقة أن نكبة الضرائب التي فرضها ثيودوسيوس على شعبه، دفعت العديد منهم إما إلى الانتحـار عـن طريق الموت جوعًا، أو شنقًا(٥٤٩).

ولم يكد يلتقط البيزنطيون أنفاسهم من الحرب، حتـى وجـدوا سـكوتا Scotta– أحد ضباط أتيلا البارزين– في مدينة القسطنطينية، جاء لتسلم الجزية المطلوبة واللاجئين. وبالفعل تسلم الجزية، ولكنه لم يتسلم جميع اللاجئين، وذلك لأن الغالبية العظمى منهم تم قتلهم على يد البيزنطيين حيث أنهم عبروا عن عدم رغبتهم في العودة إلى الأراضي الهونية في شمال نهر الدانوب. ومـن ضـمن هؤلاء اللاجئين كان هناك بعض الأفراد الذين ينتمون للعائلة الملكيـة، وكـانوا يرفضون الانصياع لأوامر أتيلا، ومن ثم لجأوا إلى الأراضي البيزنطيـة(٥٥٠). ويبدو أن سكوتا لم يعترض على ذلك، فالمهم هو التخلص منهم، سواء بيد أتيلا أو الإمبراطور.

---

(548) Young: op-cit., p. 88.

(549) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 237- 239. cf. also, Gordan: op.cit., p. 66.

(550) Pruscus: op-cit.,vol. II, pp. 239-241.

ولكن ما أشارت إليه المصادر التاريخية، هو إعلان الضابط سكوتا، بأنه يحمل أمرًا من قبل سيده، بإضافة بند إلى بنود المعاهدة وهذا البند هو أنه على أهالي مدينة أزيموس تسليم جميع الأسري الرومان والبرابرة الموجودين لديهم. وخلافًا لذلك، فإن أتيلا لن ينسحب بقواته من الأراضي الرومانية، كما أنه لن يصدق على معاهدة السلام مع البيزنطيين. فإما أن يتم تسليم الأسري الرومان أو فديتهم، كذلك تسليم أسري البرابرة(٥٥١). ولم يستطيع السفير أناتوليوس المعارضة، كما أن ثيودولوس Theodulus، قائد القوات الإمبراطورية في تراقيا، والمساعد إلى أناتوليوس، امتثل هو الآخر للأمر الواقع لأن أتيلا كان واثقًا تمامًا في قواته ونفسه، كما أنه كان مستعدًا أن يعلن الحرب من جديد على بيزنطة. وعلى الجانب الآخر، انحنى سفراء ثيودوسيوس أمام العاصفة بسبب الكوارث التي حدثت في الماضي على يد أتيلا(٥٥٢).

وعلى الفور بعث اناتوليوس والقائد ثيودولوس بالخطابات إلى أهالي مدينة أزيموس يطلبون منهم إما تسليم الأسرى الرومان الموجودين لديهم وإما دفع اثنتى عشرة قطعة من الذهب عن كل أسير، كذلك إطلاق سراح أسرى الهون. وجاءت الإجابة قاطعة من قبل الأهالي بأنهم أطلقوا سراح جميع الأسرى الرومان الموجودين لديهم، وهؤلاء عادوا إلى ذويهم وليس في الإمكان عودتهم مرة ثانية. أما بخصوص أسرى الهون فقد قتلوا جميعًا عدا شخصين احتفظوا بهما، لمبادلتهما ببعض الصبية الموجودين لدى الهون، "وإذا لم يسلم الهون هؤلاء الصبية"، كما قالوا، "فإنهم طبقًا لقانون الحرب لن يسلموا أسراهم"(٥٥٣).

وعند ذلك اعترف سفراء الإمبراطور ثيودوسيوس لأتيلا أنهم لا يمتلكون أي سلطة على سكان مدينة أزيموس، اللذين أكدوا بشجاعة استقلالهم- الأمر الذي دفع أتيلا إلى التنازل والتفاوض مع سكان المدينة(٥٥٤).

(551) Ibid., p. 241. cf. also, Thompson: op-cit., pp.97-96.

(552) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241. cf. also, Gordan, op-cit., p. 67.

(553) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241. cf. also, Thompson: op-cit., pp. 95.

(554) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 9.

ولقد جرى البحث من قبل أتيلا وقادة الرومان عن الأطفال، وعندما لم يتم العثور عليهم أقسم الهون أنهم لا يوجد لديهم أطفال أسرى فتم على الفور إطلاق سراح أسري الهون الموجودين لدى أهالي أزيموس، كما أقسم الأهالي، أيضًا، بأن جميع الأسرى الرومان تم إطلاق سراحهم، ولا يوجد أسير واحد في المدينة[٥٥٥]. وسواءًا كان الأهالي صادقين في أيمانهم أو حلفوا كذبًا، كما قال بعض المؤرخين– لإنقاذ بني جنسهم–[٥٥٦] فإن أتيلا كان راضيًا بما آلت إليه الأمور، هذا من ناحية، كما أن صمود الأهالي ضد قوات أتيلا، ثم تفاوضهم مع أتيلا نفسه، بعد ذلك، وجهًا لوجه كان لطمه كبرى للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني من ناحية أخرى[٥٥٧].

ويرى الباحث أن مقاومة مدينة أزيموس إلى الجيوش الهونية، ثم موقف أهلها القوي ضد أتيلا كان بمثابة الضوء الموجود في نهاية النفق المظلم، لأننا على الأقل وجدنا ما يمكن أن نسميه مقاومة بيزنطيه، إذا جاز لنا أن نقول ذلك، علمًا بأنها كانت مقاومة بعيدة عن الجيش النظامي.

وعلى أية حال، ساد السلام بين الإمبراطورية البيزنطية والهون في الفترة ما بين عامي ٤٤٣ و ٤٤٧م، ولكنه كان سلامًا قلقًا، وذلك لأنه بعد اتفاقية السلام التي أبرمت سنة ٤٤٣م، بعث أتيلا السفراء مرة ثانية إلى القسطنطينية مطالبًا بتسليم اللاجئين، ولقد استقبل السفراء استقبالاً حسنًا وأغدقت عليهم الهدايا القيمة، ويومها اخبرهم البيزنطيونه أنهم لم يعد يوجد لديهم أي لاجئ. وبنفس الطلب بعث أتيلا سفارة ثالثة ثم رابعة[٥٥٨].

والحقيقة أن أتيلا كان يدرك تماما مدى حرص البيزنطيين على المحافظة على السلام، وعدم كسره، ولذلك تابع إرسال مبعوثيه محاولاً اكتشاف

([555]) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241. cf. also, Gordan: op.cit., p. 68.

([556]) Gordan: op-cit., p. 68.

([557]) Gibbon: op- cit., Chapter XXXIV, Net, p. 9.

([558]) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 241-243. cf. also, Thomson: op-cit., p. 95; Gordan: op-cit., p. 68.

ما يمكن أن يستجد من أعذار، ومحاولاً خلق أسباب جديدة للعدوان كذلك حصول السفراء على الهدايا الثمينة من حكومة الإمبراطورية(٥٥٩).

أما بالنسبة إلى البيزنطيين فمن جانبهم كانوا حريصين في التعامل مع سفراء أتيلا، "ومهتمين بكل محاولاته وادعاءاته واستجابوا لكل مطالبة" وذلك لأنهم لم يخافوا فقط من اندلاع الحرب معه، ولكنهم كانوا يخافون الفرس الذي كانوا يستعدون آنذاك لمهاجمة الإمبراطورية. كما كان هناك رعب أيضًا من الوندال، والأيزوريين Isaurians، والعرب، واتحاد القبائل الأثيوبية Ethiopian. ومن ثم "فقد خضع الرومان (البيزنطيون) لمطالب أتيلا بهدف تنظيم أنفسهم لمواجهة الآخرين عن طريق جمع القوات وتعيين القادة الحربيين"(٥٦٠). ومن هذا المنطلق فإننا يجب علينا أن ندرك أن النجاحات العسكرية لأتيلا ضد بيزنطة تعود إلى أن قوات الإمبراطورية كانت تحارب في جبهات عدة ولذلك كانت منهكة، ولم تكن متمركزة في جبهة واحدة.

ولأن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني كان قلبه معلقًا دائمًا بالحد الشمالي، فقد اتخذ من الإجراءات العسكرية ما يمكن أن يضمن سلامة هذا الحد. ففي ١٢ سبتمبر سنة ٤٤٣، وخلال الشهور الخيرة من القتال، تم إعطاء أوامر صارمة إلى نوموس Nomus، سيد الموظفين، وأحد وزراء الإمبراطور الذين يثق فيهم، بتحصين الحد، المعرض للخطر، بطول نهر الدانوب، لا سيما الأماكن التي عبرت منها الجيوش الهونية في سنة ٤٤١ و ٤٤٣، وبأن يقوم بإصلاح القلاع الحربية الموجودة هناك، وأن يسلح جميع الفرق العسكرية المتمركزة في هذه المناطق، كي تكون على أهبة الاستعداد. وبالفعل أتم نوموس سنة ٤٤٤م ما أمر به الإمبراطور. ولذلك، بسبب رضاه عنه، عينة قنصلاً سنة ٤٤٥م(٥٦١).

وعلى أية حال، فيما يخص الهون، لم تذكر كتب التاريخ المتاحة لنا لا سيما بريسكوس المعاصر للأحداث، أية معلومات عن كيفية عودتهم إلى

(559) Priscus: op-cit., vol. II, 243.

(560) Loc. cit.

(561) Thompson: op-cit., p. 96.

مستعمراتهم بعد غزو البلقان، ولا متى عادوا. ولعل ذلك يعود، كما قال بعض المؤرخين، إلى ضياع قسم كبيرًا من مؤرخ بريسكرس(٥٦٢).

وفي غضون ذلك، شبت الانقسامات الداخلية في المجتمع الهونى وكانت نتيجتها قتل بليدا على يد أخيه أتيلا. الأمر الذي أدى إلى انفراد الأخير بحكم الهون حتى وفاته في سنة ٤٥٣م(٥٦٣). ولقد تباينت آراء المؤرخين حول العام الذي تخلص فيه أتيلا من بليدا. فبعض المؤرخين جعل هذه الحادثة في سنة ٤٤٤م(٥٦٤). والبعض الآخر جعلها في سنة ٤٤٥م(٥٦٥). وتباين الآراء لم يأت من فراغ بل يعود لندوة المصادر. وهذا ما نراه في قول بعض المؤرخين: "لم تتبق شهادة معاصرة واحدة تساعد على الادعاء بأن أتيلا هو الذي قتل بليدا"(٥٦٦). ويبق الأمر معلقًا في محكمة التاريخ حول قضية قتل بليدا.

وقضى أتيلا السنوات الأولى من حكمه في تثبيت دعائم ملكه، وتوسيع قبضته على جميع القبائل الموجودة في سكيثيا، بما في ذلك قبائل الهون. هذا، ويقال، إن تعداد قواته بلغ حوالي ٥٠٠,٠٠٠ ألف جندي. وبعد ذلك فكر في الالتفات إلى الإمبراطورية البيزنطية(٥٦٧).

وفي ذلك تقول الأحداث، إن الهون قاموا بغزو أراضي الإمبراطورية البيزنطية في سنة ٤٤٧م(٥٦٨). والحقيقة أنه إذا كانت مصادرنا التاريخية لم تذكر

(562) Ibid., p. 97.

(563) Jordan: op-cit., p. 43; Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(564) Vernadsky G.: op-cit., pp. 141- 142; Bury. J.B.: op-cit., p. 272.

William G. Sinnigen: op-cit., p. 458; Matthew Bunson: op-cit., p. 42, 200.

(565) Thompson: op-cit., p. 97; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 51; Previte Orton: op- cit., p. 93; Young: op-cit., p. 88.

(566) Norwish: op-cit., p. 153.

(567) Jordanes: op-cit., p. 43.

(568) Gordan: op-cit., p. 70; Young: op-cit., p. 98; Matthew Bunson: op-cit., p. 42.

لنا سببًا واحدًا بخصوص، لماذا فعل الهون ذلك، فإنه يجب علينا أن نـــدرك أن سبب ذلك هو اللاجئون، الذين كانوا يشكلون سببًا أساسيًا لقيـــام أتـــيلا بغـــزو الأراضي البيزنطية. كما يذكر بعض المؤرخين أن النهب والسلب أصبحا مـــن ضروريات الحياة الاجتماعية لدى الهون في عهد أتيلا(٥٦٩).

وعلى أية حال، لقد كان الهجوم الهوني مخططًا على أعلى درجة مـــن الدقة. ولم يكن منفذا بواسطة الهون فقط، بل شاركت فيه كتائب مـــن الأجنـــاس التي كانت خاضعة لهم مثل الجبيدي والقوط وغيرها من الأجناس الأخرى وكان الهجوم موجهًا ضد أقاليم سكيثيا العليا ومؤزيا، التي لـــم تعـــان كثيـــرًا خـــلال الحملات السابقة، ومن ثم فقد تم تدميرها تمامًا(٥٧٠).

ووسط هذه الأعمال العسكرية المنذرة بالسوء للإمبراطورية البيزنطية، وقعت كارثة كبرى، هي الأولى من نوعها بالنسبة إلى الرومان سلاســـل مـــن الزلازل ضربت الإمبراطورية في ٢٦ يناير سنة ٤٤٧م. لقد كانت في اعتقـــاد ايفاجاريوس Evagrius، زلازل فوق العادة، تمثلت نتيجتها في هدم عدد كبيـــر من أبراج مدينة القسطنطينية، بلغت حوالي ٥٧ برجًا، كمـــا تهـــدمت أســـوار أنثيميوس الضخمة. لقد كان الكثير من السكان مطمورين تحت أنقاض المبـــاني التي تهدمت في المدينة. كما أن الكثير من القرى ضاعت معالمها، لأن الأرض تشققت وابتلعتها. كوارث في البر والبحر لا حصر لها(٥٧١). وإلى جانب نكبـــة الزلزال التي ضربت المدينة، انتشر فيها – حالا– وباء الطـــاعون الـــذي أودى بحياة الآلاف من سكانها(٥٧٢).

---

(569) Thompson: op-cit., p. 98.

(570) Thompson: op-cit., p. 99; Bury J.B.: op-cit., p. 275.

(571) وللمزيد عن أضرار الزلزال في الأراضي البيزنطية أنظر:

Evagrius Scholasticus: op-cit., pp. 44-45. cf. also, Thompson: op-cit., 99-100; Millingin V.: op-cit., p.

(572) Thompson: op-cit., p. 100.

ولكن الأزمة قوبلت بنشاط كبير من قبل فلافيوس قنسطنطيوس Flavius Constantius، الوالي البريتوري، فتحت إدارته عادت الأسوار في أقل من ثلاثة شهور بعد تهدمها. ولكن إلى جانب إصلاح الأسوار المهدمة، انتهز قنسطنطيوس الفرص ليحول المدينة إلى قلعة أقوى بكثير مما كانت عليه في أيام أنثيميوس. وذلك عندما بنى سورًا آخر، بخندق عريض وعميق أمامه، وهكذا، وضعت مدينة القسطنطينية خلف ثلاثة خطوط دفاعية محمية بحوالي ١٩٢ برجًا، هذا في الوقت الذي كانت فيه الأرض بين السورين، وبين السور الخارجي والخندق، مجهزة للحرب بأعداد لا حصر لها من القوات. إن هذه التحصينات ارتفعت طبقة فوق طبقة واتحدت لتشكل حاجزًا سمكه حوالي ١٩٠-٢٧٠ قدم، وارتفاع يزيد عن ١٠٠ قدم[٥٧٣]، والحقيقة أن الرعب من الهون هو الذي أدى إلى إعادة بناء الأسوار في فترة وجيزة[٥٧٤].

أما فيما يخص الهون، فبالقرب من نهر آتوس -في داكيا- اشتبكوا بقيادة أتيلا، مع القوات البيزنطية بقيادة القائد العظيم ارنجيسكلوس Arnegisclus، الجرماني، خارج أسوار مدينة مارسيانوبوليس Marcianopolis. وفي هذه المعركة قاتلت القوات البيزنطية قتالاً عنيفًا، وكبدت الهون خسائره فادحة في الأرواح، ولكن النصر كان حليف الهون، وقتل أرنجيسكلوس يومها، كما تم الاستيلاء على مدينة مارسيانوبوليس، عاصمة إقليم مؤيزيا، وأكبر مدين في تراقيا. ولقد ظلت هذه المدينة مهجورة حتى أعاد الإمبراطور جستنيان بناءها بعد مائة عام[٥٧٥].

ويذكر بعض المؤرخين أن استيلاء أتيلا على مدينة مارسيانوبوليس أدى إلى تهديد القسطنطينية نفسها؛ التي أصبح الهون قاب قوسين أو أدنى منها[٥٧٦].

([573]) Millingin V.: op-cit., p. 46; Thompson: op-cit., p. 100.

([574]) Millingin V.: op-cit., p. 47.

([575]) Thompson: op-cit., p. 101; Treadgold W.: op-cit., p. 95; Matthew Bunson: op-cit., p. 42.

([576]) Matthew Bunson: op-cit., p. 42.

ورغم ذلك لم يغامر أتيلا بالتوجه نحو المدينة، ولكن لماذا؟، وذلك لأن أسوارها كانت قد تم إعادة بنائها كاملة، ومن ثم فإن أسلحة الهون البدائية سوف تقف عاجزة ضدها(٥٧٧).

ولكن إذا كان الهون لم يتوجهوا نحو مدينة القسطنطينية، فقد دمروا إقليم البلقان بشدة. حيث عانت ألليريا، تراقيا، داكيا، مؤيزيا، سكيثيا(٥٧٨). وبعد تخريب شبه الجزير البلقان، ولأنها لم يعد يوجد بها ما ينهبه الهون، فقد توجهوا مباشرة ناحية الجنوب داخل بلاد اليونان، حيث توقفوا عند ثرموبيلاي Thermopylae. ولكن، كما يذكر بعض المؤرخين، لا توجد هناك تفاصيل عن هذا الغزو(٥٧٩).

ومهما يكن من أمر، فإن بعض أحداث هذا الغزو، قد تم تسجيلها إلى حد ما، بواسطة كالينيكوس Callinicus، نقلاً عن القديس هيباتيوس St. Hypatius، الذي كان موجودًا في تراقيا، والذي قال: "إن أمة الهون البربرية التي كانت في تراقيا استولت على ما يقرب من مائة مدينة، وجاءت مدينة القسطنطينية، تقريبًا، في دائرة الخطر، وهرب معظم رجالها... وكان هناك العديد من القتلى وسفك الدماء، لدرجة أن الرؤوس لا يمكن عدها. لقد استولوا على الكنائس والأديرة وذبحوا الرهبان والراهبات بأعداد لا حصر لها"(٥٨٠).

وعلى أية حال، يتضح لنا مما سبق أن المقاومة البيزنطية للهون انهارت بعد موقعة مارسيانوبوليس، الأمر الذي أدى إلى إطلاق يد الهون في الأراضي البيزنطية. ويبدو أن الهون من جانبهم، وعندما أصبحوا مثقلين بالنهب والسلب، غادروا أراضي الإمبراطورية طواعية. وهذا ما وجدناه في قول بعض

---

(577) Thompson: op-cit., p. 101.

(578) Jordan: op-cit., p. 45.

(579) Thompson: op-cit., p. 102; Norwish: op-cit., p. 153.

(580) Thompson: op-cit., p. 102; Bury J.B.: op-cit., p. 275; Young: op-cit., p. 88.

المؤرخين: "وعندئذ ارتد الهون مرة ثانية إلـــى الـــدانوب، محملـــين بالأســـرى والمنهوبات"(٥٨١).

والجدير بالذكر، أن الحملة العسكرية التي قام بها أتيلا على الأراضـــي البيزنطية سنة ٤٤٧م تعد آخر الحملات على بيزنطة. ولكن علاقـــات الهـــون ببيزنطة لم تكن قد انتهت بعد.

فلم يكد البيزنطيون يفيقوا من حملة أتـــيلا علـــيهم ســـنة ٤٤٧م حتـــى وصلتهم سفارة أتيلا في، أواخر سنة ٤٤٨م برئاســـة إيـــدكو Edeco الهـــوني وأورستس Orestes(٥٨٢). ويومها حملت خطابـــات أتـــيلا إلـــى الإمبراطـــور ثيودوسيوس الثاني عتابًا شديدًا للبيزنطيين بسبب عدم التزامهم بتسليم اللاجئين. وعلى سبيل الانتقام منهم هدد بالعودة إلى مهاجمتهم ما لم يقوموا بالآتي:

أولا: تسليم اللاجئين فورًا.

ثانيًا: توقف البيزنطيين عن استصلاح الأراضي التي استولى عليها الهون أثناء الحروب معهم.

ثالثًا: تنازل الإمبراطور عن المنطقة الواسعة الممتدة بطول الشواطئ الجنوبيـــة لنهر الدانوب، من سينجيدوم Singidumum شـــرقًا، بدايـــة بانونيـــا Pannonia حتى نوفا Nova في تراقيا. وهذه المنطقة تكون مساحتها مساوية لرحلة رجل على قدميه لمدة خمسة أيام عرضًا ويجب أن تكون خالية من السكان.

رابعًا: أن تكون مدينة نيسوس (نيش) الحد الفاصل بين الهون وبيزنطة.

---

(581) Young: op-cit., p. 88.

(582) أورستس Orestes: روماني الأصل كان يعيش في بانونيا الواقعة على نهر سافا. Priscus: op-cit., vol. II, p. 243. وهو والد الإمبراطور رومولوس أوجستلوس Romulus Augustlus، آخر أباطرة الإمبراطورية الغربية. كما أن ايدكون من المحتمل أنه والد أودواكر Odovacer، أول ملك من البرابرة في إيطاليا. أنظر: Gordan C.D.: op-cit., p. 70; Hodgkin: op.cit., p. 56.

خامسًا: نقل السوق التجاري الموجود في مارجوس بألليريا، على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب إلى الحدود الهونية البيزنطية الجديدة عند مدينة نيش(٥٨٣).

سادسًا: عدم توقف البيزنطيين عن دفع الجزية المقررة عليهم(٥٨٤).

سابعًا: طالب أتيلا الإمبراطور بأن يرسل إليه سفارة للتفاوض حول ما طالب به، بشرط أن أعضاء السفارة لا يكونون رجالاً يشغلون مراكز من الدرجة الثانية في الدولة، بل يكونون من القناصل أو حتى الذين يشغلون أعلى المناصب السياسية. "وإذا تردد الرومان في أمر إرسال هؤلاء القادة"، قال أتيلا، "فإنه على استعداد للسفر إلى ساردیكا لاستقبالهم هناك"(٥٨٥).

وعلى أية حال، إن هذه الأوامر شديدة اللهجة قام بترجمتها فيجيلاس Vigilas إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني. وبعد ذلك ذهب إيدكو مع فيجيلاس إلى بيت خريسافيوس، أحد أكثر وزراء الإمبراطور نفوذًا في الإمبراطورية آنذاك، للتشاور معه بخصوص موضوع السفارة. وفي بيت خريسافيوس أثنى إيدكو على فخامة القصر الإمبراطوري، وعند ذلك طرأت على خريسافيوس فكرة إمكانية اغتياله أتيلا بواسطة إيدكو، وبعد نقاش طويل بين الرجلين، حصل خريسافيوس على قسم من إديكو بالمحافظة على ما سوف يقول له، والمتمثل في قتله أتيلا ثم العودة إلى القسطنطينية.

ولقد وافق إيدكو على القيام بهذه المهمة مقابل خمسين جنيهًا من الذهب، لإعطائها إلى القوة التي سوف تساعده في تنفيذ المؤامرة. كما وافق خريسافيوس على مطالب إديكو، بأن يصطحب معه فيجيلاس، الذي سوف تكون مهمته في

---

(583)Priscus: op-cit., vol. II, p. 243. cf. also, Bury: op-cit., vol. I, p. 275; Gordan: op-cit., p. 70; Gibbon: op-cit., Ghapter XXXIV, Net, p. 8; Jones: op-cit., vol. I, pp. 193- 194; Hodgkin: op-cit., p. 56.

(584) Treadgold W.: op-cit., 95.

(585) Priscus: op-cit., vol. II, p. 243. cf. also, Gordan: op-cit., pp. 71- 72.

الظاهر "نقل إجابة أتيلا للرومان فيما يختص بأمر اللاجئين ولكنه سيستخدمه بهدف نقل معلومات عن طريق إرسال الموال لأنه لا يستطيع أخذها معه، لأنه مثل الآخرين سيتم استجوابه من قبل أتيلا لمعرفة من أعطاه هدايا، ومعرفة مقدار الأموال التي أخذها من الرومان. ومن ثم فإنه لن يستطيع إخفاء الخمسون جنيه الذهبية". فقبل خريسافيوس هذه الخطة، وأمره بالانصارف بعد العشاء(٥٨٦).

وعندما حمل خريسافيوس خطة اغتيال أتيلا إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وافق عليها، لكن بعد استشارة مارتيالوس Martialus كبير الموظفين، أو رئيس ما يمكن أن نطلق عليه "جهاز المخابرات"، وهو المسئول عن الرسل، والمترجمين والحرس الإمبراطوري. وبعد مناقشة الخطة كان هناك قرار بعدم الاكتفاء بإرسال فيجيلاس وإنما إرسال، معه ماكسيمينوس(٥٨٧)، كسفير إلى أتيلا. ولم يكن ماكسيمينوس على علم بالخطة، وإنما كان الغرض من إرساله هو نقل الخطابات الإمبراطورية ألى أتيلا(٥٨٨).

وفي هذه الخطابات أشار الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى أن فيجيلاس يعمل مترجمًا، وليس سفيرًا، أما السفير فهو ماكسيمينوس. كما ذكر الإمبراطور بأنه لن يسمح لأحد بالعبور إلى أراضيه، حتى لا يؤدي ذلك إلى كسر معاهدة السلام بين الجانبين. وأضاف ثيودوسيوس مخاطبًا أتيلا: "بالإضافة إلى اللاجئين الذين تم تسليمهم إليك بالفعل، فإني أرسل لك آخر سبعة عشر

(586) وللمزيد من التفاصيل. أنظر: Priscus: op-cit., vol. II, pp. 243, 245

(587) ماكسيمينوس Maximinus: يمتاز بنسبه العريق. عمل مساعدًا إلى أردابوريوس Ardabutius في عقد معاهدة مع الفرس سنة ٤٢٢م. أصبح رئيسًا للحجاب أثناء حكم مارقيان، ولذلك كان من ضمن أحد أهم أربع وزراء في الدولة. كان واحدًا من القادة البارزين. ولكن رتبته لم تكن عالية جدًا. أنظر:
Gordan C.D.: op-cit., p. 72; Hodgkin T.: op-cit., p. 59.

(588) Priscus: op-cit., vol. II, p. 247.

لاجئًا عندي"(٥٨٩). وإذا كان هذا هو المكتوب فقط في خطابات ثيودوسيوس إلى أتيلا، فإن الأول حمل ماكسيمينوس رسالة شفوية مفادها أن أتيلا ينبغي عليه أن يتوقف عن المطالبة بأن يكون السفراء من أصحاب الرتب والمناصب العالية، لا سيما وأن هذا الإجراء لم يكن معمولاً به في عهد أسلافه، أو عهد أي حاكم سكيثي آخر. "لقد كان الإجراء المتبع"، كما قال الإمبراطور، "هو إسال أحد الجنود العاديين". وبخصوص النقاط موضع الخلاف، فإنه من الأفضل لأتيلا أن يرسل أونجيسيوس Onegesius إلى الرومان، وذلك لأنه، منذ تم تدمير سارديكا، لم يعد ممكنًا له (أي لأتيلا) القدوم إلى هناك لمقابلة رجل يحمل رتبة قنصل"(٥٩٠). وتعليقًا على طلب الإمبراطور هذا يقول بعض المؤرخين، إن مثل هذا الرد يدل على احتقار البلاط البيزنطي للبلاط الهوني(٥٩١).

وعلى أية حال، لقد تمكن ماكسيمينوس من إقناع بريسكوس -المؤرخ- أن يشاركه هذه الرحلة. وهذا ما عبر عنه بريسكوس نفسه بقوله: "استطاع ماكسيموينوس إقناعي بمرافقته في هذه المهمة"(٥٩٢). والحقيقة أن هذه السفارة تعد من السفارات الهامة جدًا في العصور الوسطى. وذلك لأن بريسكوس قد ضمنها معلومات جغرافية هامة عن الأراضي التي نزلها ومعلومات سياسية عظيمة عن بلاط أتيلا.

وعلى كل غادر سفراء الإمبراطور البيزنطي مدينة القسطنطينية وفي رفقتهم سفارة أتيلا، وبعد أسبوعين وصلوا إلى مدينة سارديكا، وبعد استراحة قصيرة هناك، لم يقل بريسكوس كم كان عدد أيامها، غادرت السفارة إلى مدينة نيسوس (نيش). وهناك وجدوا المدينة خالية من سكانها "فقد تركها العدو منذ قليل... إن كل المناطق المتاخمة لضفة النهر (الدانوب) كانت مليئة بعظام الرجال الذين قتلوا في الحرب". وهناك وعلى مقربة من المدينة تمت المقابلة

---

(589) Loc. cit. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., p 73.

(590) Priscus: op-cit., vol. II, p. 247.

(591) Hodgkin T.: op-cit., p. 61.

(592) Priscus: op-cit., vol. II, p. 247.

بين السفارة و أجنثيوس Agintheus، قائد قوات الإمبراطورية في ألليريا، حيث قام بتسليمهم خمسة لاجئين، طبقًا لأوامر الإمبراطور. ومن نيسوس تمكنت السفارة من عبور نهر الدانوب على السفن الهونية. ولكن بريسكوس يوضح، أن هذه السفن لم تكن تنتظرهم على شاطئ الدانوب لتنقلهم إلى الأراضي الهونية، "ولكنها كانت تقوم بنقل قوات بربرية عبر النهر... ففي هذا الوقت أراد أتيلا العبور إلى الأراضي الرومانية معللاً رحلته بأنها رحلة للصيد. ولكن في الحقيقة كانت هذه الرحلة إحدى استعداداته لخوض الحرب ضد الرومان، تحت ادعاء عدم تسليم كافة اللاجئين"(٥٩٣).

وبعد عبور نهر الدانوب بدأت المشاكل بين السفارة البيزنطية والهون. حيث يذكر بريسكوس أنه قد قدم إليهم في خيمتهم كل من إيدكو أورستس وسكوتاس Scottas، وعدد آخر من كبار رجال الدولة الهونية وهؤلاء جميعًا استفسروا منهم عن سبب قدومهم. ولكن أعضاء السفارة البيزنطية رفضوا الإجابة وطالبوا بمقابلة أتيلا نفسه، لأن هذه هي أوامر الإمبراطور، وحق السفراء، كما أن السفراء الهون عندما كانوا يذهبون إلى بيزنطة، كان الإمبراطور يقابلهم، ويناقشهم في الأهداف التي جاءوا من أجلها، "ولم يحدث لهم"، كما قال بريسكوس لرجال أتيلا، "الذي حدث لنا وما أكثر بعثات الهون إلى الإمبراطور، لذلك فإنه من حقنا أن نعامل بالمثل وإذ لم يحدث فإننا لن نذكر الغرض من قدومنا". وعند ذلك عاد رجال أتيلا إليه ثم قدموا إلى السفارة البيزنطية مرة ثانية، ولكن بدون إيدكو، واخبروا رجالها بمغادرة الأراضي الهونية فورًا، ولكن بعد أن أخبروهم بالهدف من قدومهم؛ بل والتفاصيل الدقيقة التي تضمنها خطاب الإمبراطور"(٥٩٤).

---

(593) وللمزيد من التفاصيل أنظر: Priscus: op-cit., vol. II, pp. 247, 249, 251. cf. also, Gordan: op-cit., pp. 73- 75; Hodgkin: op-cit., pp. 60-64. والجدير بالذكر، أن المسافة من القسطنطينية إلى سارديكا حوالي ٣٥٠ميل، ومن سارديكا إلى صوفيا حوالي ١٠٠ ميل. أنظر:

Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 10.

(594) Priscus: op-cit., vol. II, p. 251, 253.

وتأزم الموقف، وراح بريسكوس، ماكسيمينوس يستعدان إلـــى العــودة ولكن فيجيلاس أثناهما عن مهمتهما، وأخبرهما بأنه من الأفضل لهما الكذب بأن هناك من الأمور ما يحتاج للمناقشة مع أتيلا على العــودة دون تحقيــق شـــيء يذكر. ولكن ما لم يكن يعرفه فيجيلاس أن إيدكو قد أخبر سيدة بأمر المــؤامرة. ولقد نجح بريسكوس في غضون ذلك، في إقناع سكوتاس Scottas أن يدبر لهم مقابلة مع أتيلا. وعندما تم اللقاء بين أتيلا وماكســيمينوس، وسـلمه خطابــات الإمبراطور ثيودسيوس، وأبلغه بدعوات الإمبراطور له ولكافة أفراد شعبه أجاب أتيلا بأنه سوف يحقق ما ينشده الرومان. ثم خاطب فيجيلاس بلهجة عنيفة، ثــم سأله عن سبب قدومه إليه، على الرغم من أنه يعلم جيدًا شروط معاهدة الســلام التي أبرمت سابقًا مع أناتوليوس. ثم أضاف بأنه سبق وأمر بعــدم إرســال أي سفراء إليه قبل تسليم كافة اللاجئين من الهون(٥٩٥). ولا نعرف متى أمر أتــيلا بذلك.

وعندما أجاب فيجيلاس بأنه لم يعد هناك لاجئ هوني واحد يعيش بــين الرمان، استشاط أتيلا غضبا وخاطبه قائلاً: "إنه لديه الرغبة في قتله بالخازوق، ثم تقديمه طعامًا للطيور الجارحة، ولكنه لن يفعل ذلك، حتى لا يخــرق قــانون السفراء، وإن كانت هذه العقوبة عادلة عقابًا له على إجابته المتهورة الوقحــة". والحقيقة أن أتيلا كان يعلم عدد اللاجئين الهون في الأراضي البيزنطية، وهؤلاء كانوا مسجلين لديه، ولقد قام أمناء سره بقراءة أسمائهم على ماكسيمينوس(٥٩٦).

وبعد ذلك أصدر أتيلا أوامره إلى فيجيلاسه وإسلاس Eslas بالــذهاب إلى البلاط البيزنطي، ومطالبة الإمبراطور بتسليم جميع البرابــرة الموجــودين لديه. ثم خاطب ماكسيمينوس موضحًا له بأنه لن يسمح لخدمــة البرابــرة بــأن يحاربوه، حتى لو كانوا عاجزين عن مساعدة من أسبغ عليهم الحمايــة (يقصــد الإمبراطور ثيودوسيوس)، ووعدهم بحماية أراضيه، إن هؤلاء لن يتمكنوا مــن

(595) للمزيد من التفاصيل. أنظر: Priscus op-cit., vol. II, p. 253, 255. cf. also, Gordan: op-cit., pp. 75- 77; Hodgkin: op-cit., pp. 64-68.

(596) Priscus: op-cit., vol. II, p. 255, 257.

الدفاع عن أية مدينة أو حصن تكون لديه الرغبة في الاستيلاء عليـه. "ولـذلك يجب على الرومان تحديد موقفهم ومعرفة ما إذا كانوا سـيقبلون بعـودة كافـة اللاجئين، أم سيخوضون الحرب من أجلهم". ثم تعطف بعد ذلك وقبـل هـدايا الإمبراطور وأمر ماكسيمينوس بالبقـاء لكـي ينقـل رده إلـى الإمبراطـور ثيودوسيوس(٥٩٧).

وبذكاء محسوب، أمر أتيلا إيدكو بأن يزور فيجيلاس في خيمة السفراء، وأن يؤكد له أنه مازال صادقًا فيما يتعلق بالمؤامرة، ولـذلك ينبغـي عليـه أن يحضر الذهب الذي وعد به خريسافيوس. وفي غضون ذلك أصدر أتيلا قـرارًا بعدم السماح لأعضاء السفارة البيزنطية، بما في ذلك فيجيلاس بشراء أي أسرى رومان، أو عبيد برابرة، أو خيول أو أي شيء آخر سوى الطعام فقط، إلـى أن يتم تسوية ما بين الرومان الهون من مشاكل. إن بريسكوس الذي حكـي ذلـك قال: "تدل هذه الأوامر على براعة ودهاء أتيلا لأنه بواسطتها ضـمن الإيقـاع بفيجيلاس بسهولة، حيث أنه (فيجيلاس) لن يكون لديه سببًا عقلانيًا يفسـر بـه إحضار هذه الكمية من الذهب"(٥٩٨). وعند ذلك، فإنه، إذا أحضر فيجيلاس مبلغ الذهب، سوف يكون فقط دية أتيلا(٥٩٩).

وبعد مغادرة فيجيلاس وإسلاس إلى مدينة القسطنطينية، قام بريسـكوس وماكسيمينوس برحلة طويلة داخل الأراضي الهونية في هنغاريا وغيرها، حضر خلالها بعض الولائم مع أتيلا، كما تقابلا هناك مع سفارة كانـت قادمـة مـن الإمبراطورية الغربية إلى أتيلا(٦٠٠).

وفي المقابلة الأخيرة بين أتيلا وأعضاء السفارة البيزنطية، أثـار الأول قضية زواج قنسطنطيوس Constantius، أمين سر أتيلا، الذي كان قد أرسـله

---

(597) Ibid., p. 254.

(598) وللمزيد من التفاصيل. أنظر: Priscus: op-cit., vol. II, pp. 254- 259.

(599) Hodgkin: op-cit., p. 70.

(600) للمزيد من التفاصيل. أنظر: Priscus: op-cit., p. 259, 261, 263, 265, 267, 269, 271, 273, 275, 277, 279, 281, 283, 285, 287, 289.

إليه اثنيوس، من إحدى الأميرات البيزنطيات ذات الثراء الكبير لا سيما وأنه في إحدى سفارات قنسطنطيوس إلى الإمبراطـور ثيودوسـيوس وعـده الأخيـر بمساعدته على الزواج من إحدى نساء بيزنطة الأغنياء، إذا ساعد فـي حفـظ السلام بين الهون وبيزنطة. وكان الإمبراطور قد وعده بالفعل بالزواج من ابنة ساتورنيلوس Saturnilus، ولكن هذا الزواج لم يتحقق، بسبب زواجهـا مـن آخر. "ولذلك على الإمبراطور"، كما قال أتيلا، "ألا يخيب ظـن قنسـطنطيوس، لأنه ليس من شيم الملوك الكذب(٦٠١)".

وفي النهاية، سمح أتيلا لأعضاء السفارة البيزنطية بالعودة، ولكنه أرسل معهم بريكوس Beruchus، سفيرًا من قبلـه إلـى الإمبراطـور. ويبـدو أن بريسكوس لم يكن يعرف ما يحمله السفير الهوني ولذلك ذكر أن مهمته كانـت تحمل العديد من الأهداف، "لكن الهدف الأساسي هو وجوب تلقـي هـدايا مـن الرومان"(٦٠٢).

وفي طريق العودة تقابل بريسكوس وماكسيمينوس مع فيجيلاس الـذي استمر في طريقه إلى البلاط الهـوني. وعـن طريـق مـدينتي فيليبوبـوليس وأدريانوبل وصلت السفارة البيزنطية إلى القسطنطينية وفي صـحبتها السـفير الهوني بريكوس(٦٠٣).

وعلى الفور عندما وصل فيجيلاس إلى البلاط الهوني تم إلقاء القـبض عليه متلبسًا، وتحت الضغط اعترف بالمؤامرة، ولهذا كاد أتيلا يفتك به، ولكنـه زج به في الحبس، وبعث بابنه إلى مدينة القسطنطينية ليحضر ٥٠ جنيهًا مـن الذهب فدية له. وفي الوقت نفسه بعث إلى القسـطنطينية سـفارة مكونـة مـن أورستس Orestes وإسلاس(٦٠٤).

---

(601) Priscus: op-cit., vol. II, p. 291. cf. also, Hodgkin: op-cit., pp. 90-91.

(602) Priscus: op-cit., vol. II, p. 293.

(603) Loc. cit., cf. also, Hodgkin: op-cit., pp. 92- 93.

(604) Priscus: op-cit., vol. II, p. 295, 297.

وحتى يبين أتيلا إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ووزيره خريسافيوس أنه عرف بمؤامراتهما ضده، فقد أمر أورستس بالمثول أمام الإمبراطور وخريسافيوس معلقًا في عنقه الحقيبة التي استخدمها فيجيلاس في حمل الذهب. وأن يسألهما إذا ما كانا يعرفانها أم لا(٦٠٥). ولكن الأهم من ذلك، والذي يدل على مدى احتقار أتيلا للإمبراطور، والنظر إليه نظرة دونية. هو أن أتيلا أمر إسلاس أن يخبر الإمبراطور "بأنه -أي الإمبراطور- ابنًا لأحد النبلاء وكذلك أتيلا، الذي ولد من أصل شريف. ولكن الإمبراطور لم يستطع الحفاظ على أصله النبيل وأصبح عبدًا له يدفع إليه الجزية كل عام رغم أنفه. ولذلك حاول قتله بالمكر والدهاء كما يفعل العبد الحقير". ثم راح أتيلا يبين للإمبراطور أن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يبرئ بها نفسه. وتجعله يصفح عن عمله الحقير هي تسليم خريسافيوس لكي يعاقبه بطريقته الخاصة(٦٠٦).

كما أن أتيلا راح يطالب الإمبراطور بالبحث إلى قنسطنطيوس عن زوجة بيزنطية، لأنه هو الذي قد وعده بذلك، وأن العروس التي كان قد اختارها له من قبل ما كان يمكن لها أن تتزوج دون موافقته، ويجب معاقبة الرجل الذي تزوجها" وإلا قيل أن الإمبراطور ليس في إمكانه التحكم في خدمة"، وغذ وفى ثيودسيوس بوعده فإنه على استعداد للصلح معه. ومن ثم فإنه على الفور قام ثيودوسيوس بمصادرة ممتلكات الفتاة(٦٠٧). حتى لا يجلب على نفسه غضب أتيلا، الذي يمكن أن يتطور إلى هجوم على الأراضي البيزنطية.

ولأن الإمبراطور ثيودوسيوس كان عليه أن يتصرف بسرعة، فقد بعث بسفارة إلى أتيلا مكونة من أناتوليوس ونوموس، وكانت السفارة مفوضة باستخدام الأموال بحرية لتهدئة أتيلا ضد خريسافيوس، والسعي لإقناع أتيلا بالمحافظة على السلام، والتأكيد إليه أن الإمبراطور سوف يزوج قنسطنطيوس من عروس أخرى، لا سيما وأن عروسه الأولى رافضة الزواج منه. ووفقًا

(605) Ibid., p. 297.

(606) Loc. cit. cf. also, Hodgkin: op-cit., pp. 93- 95.

(607) Priscus: op-cit., vol. II, p. 297.

للقانون الروماني لا يمكن خطبة فتاة إلى أي إنسان دون موافقتها(٦٠٨). وهكـذا، استطاع أتيلا أن يحول الإمبراطور ثيودوسيوس إلى خاطبة.

ولقد ارتضى أتيلا أن يقابل سفارة الإمبراطور ثيودوسيوس عنـد نهـر دراف، وذلك لاحترامه للقائمين بها، وليوفر عليهم مشقة الرحلة الطويلة ومـع أنه في بداية المفاوضات كان متعجرفًا مع أناتوليوس ونوموس، فقـد لأن بعـد ذلك، بسبب الأموال والهدايا التي حملاها له، وفصاحتهما في الحديث معه وعند ذلك أقسم أتيلا بالحفاظ على معاهدة السلام القائمة بين الجانبين. كما وافق على الانسحاب من الأراضي البيزنطية حتى حدود الدانوب التي كان قد سبق وحددها برحلة خمسة أيام عرضًا. كما أنه سيخفف من مطالبه إلى الإمبراطور بتسـليم اللاجئين، إذا التزم بعدم استقبال أي لاجئ من ساعة تاريخه. كما سمح بالإفراج عن فيجيلاس بعد دفع مبلغ الخمسين جنيهًا والعديد من الأسـرى البيـزنطيين، بدون فدية. وفي النهاية، سمح إلى أناتوليوس ونوموس بـالعودة، ولكنـه أمـر قنسطنطيوس بالذهاب معهما، فربما ينفذ الإمبراطور ما وعد به(٦٠٩).

وهكذا، نجحت الدبلوماسية في إخماد نيران الحرب(٦١٠)، ولكن بعـد أن أراقت الإمبراطورية البيزنطية ماء وجهها، ووصلت إلى حالة من الذلة والمهانة ليس لها مثيل(٦١١).

وفي مدينة القسطنطينية تم إطلاع الإمبراطور ثيودوسيوس على ما دار بين السفراء وأتيلا. أما فيما يخص زواج قنسطنطيوس، فقد تم حل المسألة عن

---

(608) Ibid., p. 299. cf. also, Hodgkin: op-cit., p. 95; Vernadsky G.: op-cit., cit., p. 143; Gibbon; op-cit., Chapter XXXIV, Net, pp. 15-16.

(609) Priscus: op-cit., vol. II, p. 299. cf. also, Hodgkin: op-cit., p. 96; Treadgold W.: op-cit., p. 96, Jones, A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 194.

(610) Hodgkin: op-cit., p. 97.

(611) Young: op-cit., p. 91.

طريق عقد قرانه على سيدة أرملة ذات أصل نبيل وثـروة طائلـة ويبـدو أن الإمبراطور عانى كثيرًا للحصول على موافقتها(٦١٢).

وهكذا، فإن آخر قضية من قضايا النـزاع بـين أتـيلا والإمبراطـور ثيودوسيوس الثاني تم التغلب عليها(٦١٣). وعند ذلك أسدل التاريخ ستاره علـى قصة العلاقات بين الهون وبيزنطة، التي امتدت منـذ ٣٧٧م وحتـى ٤٥٠م. لا سيما عندما نعرف أن الإمبراطور ثيودوسيوس قد مات فـي ٢٨ يوليـو سـنة ٤٥٠م(٦١٤). وعندما راح أتيلا يطالب بدفع الجزية، كما هـو المعتـاد، رفـض الإمبراطور مارقيان (٤٥٠- ٤٥٧م) Marcian، الذي اعتلى عرش بيزنطـة بعد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، لقد أخبرت الحكومة البيزنطية أتـيلا بأنـه "إذا حافظ على السلام، فإن بيزنطة ستقدم إليه الهدايا الكثيرة، وإذا هدد بالحرب فسيواجهونه بقوات وآلات حربية تفوق كثيرًا ما لديه". وعند ذلك تحول بقواتـه ناحية الإمبراطورية الغربية(٦١٥). وهذه قصة أخرى فـي حاجـة لأن تـروى. والجدير بالذكر أن طبول الفرح دقت في شوارع مدينة القسـطنطينية، وتـنفس شعبها الصعداء عندما وصلت الأخبارع بانطلاق أتيلا على رأس قواته ناحيـة غالة وإيطاليا(٦١٦).

وختامًا للموضوع، فإن أهم ما توصل إليه البحث، هو أن قضية أصـل الهون لم يتم حسمها بعد في أروقة محكمة التاريخ.

---

(612) Priscus: op-cit., 299.

(613) Hodgkin: op-cit., p. 97.

(614) Hodgkin: op-cit., p. 97; Norwich: op-cit., p. 155; Ferdinand Lot: op-cit., p. 217.

(615) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 305, 307. cf. also, Ferdinand Lot: op-cit., p. 218; Treadgold W.: op-cit., p. 98; Norwich: op-cit., p. 155; Roger Collins: op-cit., p. 85; Previte Orton: op-cit., p. 94; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 276.

(616) Norwich: Byzantium, p. 155.

كما أنه في رأي بعض المؤرخين، بل ورأى الباحث أيضًا، أن الهون هم السبب الرئيسي الذي دفع الإمبراطور فالنز لقبول القوط الغربيين داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية(٦١٧). وهذا هو أول تأثير عسكري غير مباشر للهون على بيزنطة، أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

ومن أهم النتائج أيضًا، التي ليس فيها مجال للشك، طبقًا لرأي الباحث، أن الفروسية الهونية هي التي كسبت معركة أدريانوبل، ولكن عدم الاحتكاك المباشر بين الهون وبيزنطة في غضون ذلك، جعل المصادر التاريخية تنسب هذا الانتصار إلى القوط فقط.

كذلك يمكن القول إن الهون كان لهم وجود في شبه جزيرة البلقان منذ سنة ٣٧٧م، وإن لم يكن قبل ذلك. والدليل هو إنقاذهم إلى القوط الغربيين عندما كانوا تحت حصار الجيش البيزنطي في نفس ذلك العام(٦١٨).

وأيضًا، تعد معاهدة سنة ٤٠١م، التي عقدت بين أولدس، ملك الهون وأركاديوس، الإمبراطور البيزنطي، أول معاهدة سياسية تعقد بين هؤلاء البرابرة وبيزنطة، وهذا يعد اعترافًا من قبل بيزنطة بهم، بل لا يكون الباحث قد تعوى الصواب إذا قال إن هذه المعاهدة جعلت من الهون قوة إقليمية كبرى.

ومن النتائج أيضًا أن الهون لم يتنازلوا عن بدويتهم، وكانوا يجدون في أعمال النهب والسلب داخل الأراضي البيزنطية إحدى الحلول لمشاكلهم الاقتصادية. ولكن هذا كان يتم تحت ستار أن بيزنطة لم تدفع الجزية، ولم تسلم اللاجئين لديها من الأراضي الهونية.

زد على ذلك، أن أتيلا أنه سياسي من الطراز الأول، ولقد ظهر ذلك واضحًا خلال مفاوضاته مع سفراء بيزنطة، كما أثبت هذا الرجل أنه يعي حقوق السفراء، من حيث أنهم لا ينبغي التعدي على حياتهم، ولقد ظهر ذلك واضحا مع فيجيلاس. وهكذا، أثبت أتيلا أنه لا يعيش بعقلية العصور الوسطى الباكرة.

---

(617) Gordan C.D.: op-cit., p. 58.

(618) Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, pp. 435, 437, 439.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

1) Ammianus Marcellinus: Tr. By John C.R. Olfe, 3 vols, (London, 1935).
2) Eunapius: in Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire, Tr. By R.C. Blockcey, vol. II, (N.Y., 1983).
3) Evagrius Scholasticus: The Ecclesiastical, Tr. By Michael Whitby, (Liverpool uni., 2000).
4) Jordanes: The Origin and Deeds of the Goths, Tr. By Charles C. Mieroue, Net.
5) Olympiodorus: In Fragmentary Classicising Historian of the Later Roman Empire, Tr. By R.C. Blockley, (G.B., 1983).
6) Priscus: in Fragmentary Classicizing Historian of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley (G.B.,1983).
7) Procopius: History of the wars, with an English Tr., by H.B. Dewing, Books I and II, (London, N.D.).
8) Sozomen: The Ecclesiastical History, Tr., from The Greek by D. Hartranft, in www.ccel.org/father.
9) Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and near Eastern History A. D. 284-813, Tr. By Cyril Mango and Roger Scott, (Oxford, 1997).
10) Theophylact Simocatta: The History, Tr. By. Michael and Hary Whitby, (Oxford, 1986).
11) zosimus: New History, Tr., by Green w. and Chaplin, (London, N.D.).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1) Alexander P. Kazhdan and other: The Oxford Dictionary of Byzantium, vol. 2, (N. Y. 1991).
2) Alexander Van Millingen, Byzantine Constantinople, (London, 1899).
3) Bejamin Isaac, The limits of Empire, The Roman Army in The East, (Oxford, 1990).
4) Bury J.B., History of the Latter Roman Empire, Vol. I, (U.S.A. 1958).

5) Edward Gibbon, History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Vol. Iv (London, 1819), and chapter XXXIV (Net).
6) Ferdinand Lot, The End of The Ancient World and The Beginning The Middle Ages, (N.Y.1960).
7) George Vernadsky: Ancient Russia, (London, 1951).
8) George Holmes: The Exford Illustrated History of Medieval Europe, (Oxford, 1988).
9) George Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Tr., by Joan Hussey, (London on, 1968).
10) Gordan C.D.: The Age of Attila, Tr., by Book E. R. (London, 1966).
11) Henry Bradley, The Goths, (London, 1887).
12) James Westfall Thompson, The Middle Ages, 300- 1500, vol. I. (London, 1931).
13) John Woodcock: The Penguin Atlas of Medieval History. (England, 1961).
14) Jones A.H.M., The Decline of The Ancient World (London, 1966).
- The Later Roman Empire, 184- 602, Vol. I, (Oxford, 1967).
15) Jones Julius Norwich, Byzantium, The Early Centuries, (N. Y., 1989).
16) Louis Brehier, The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margart Vaugkan, (N.Y., 1977).
17) Margaret Deanesly, A History of The Early Medieval Europe, from 476-911, (London, 1974).
18) Matthew Bunson, A Dictionary of The Roman Empire, (N.Y.1991).
19) Michael Grant, From Rome to Byzantium, (London, 1998).
20) Previte Orton C.W, The Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, (camb., 1953).
21) Robert s. Hoyt and Other, Europe in The Middle Ages, (U.S.A., 1979).
22) Roger Collins, Early Medieval Europe300-1000, (U.S.A., 1999).
23) Sidney Painter, A History of The Middle Ages, 284- 1500, (N. Y.,1953).
24) Thomas Hodgkin, Italy and Her Invaders, vol. II, (London, N.D.).

25) Thomas S. Burnns, The Battle of Adrinople, in Mistoria, XXX, (1973).
26) Thompson: E.A., The Huns, (U.S.A., 1996).
27) Vasiliev A.A., History of The Byzantine Empire 324- 1453, vol. I, (U.S.A., 1958).
28) Wallace Hadrill J.M The Barbarian Heat, 400-1000, (N.Y.,1968).
29) Warren Treadgold, A History of The Byzantine State and Society, (U.S.A. 1997).
30) William G. Sinnigen and Arhur E.R. Book, A History of Rome to A.D. 565, (London, 1977).
31) Young G.F.: East and West Through Fifteen centuries, (London, 1916).

ثالثاً: المراجع العربية:

١) إدوارد بروي وآخرون: تاريخ الحضارات العام، القرون الوسطى، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، (بيروت، ٢٠٠٣).
٢) إسحق عبيد (دكتور): العصور الوسطى الأوربية، (القاهرة د.ت).
٣) إسمت غنيم (دكتورة): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤- ١٤٥٣م، (الإسكندرية، ١٩٩٠).
٤) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، (القاهرة، ١٩٥٧م).
٥) السيد الباز العريني (دكتور): الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م، (لبنان، ١٩٨٢م).
٦) زبيدة محمد عطا (دكتورة): الدولة البيزنطية من قنسطنطين إلى أنستاسيوس (القاهرة، د.ت).
٧) سعدي عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوروبا العصور الوسطى، جـ١، (القاهرة، ١٩٨١م).
٨) عمر كمال توفيق (دكتور): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية، ١٩٦٧م).
٩) فشر هـ.أ.ل.: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، (القاهرة، ١٩٥٠م).
١٠) كانتور ن.ف: التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، (القاهرة، ١٩٨١م).
١١) محمود محمد الحديدي (دكتور): رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية. (القاهرة، ١٩٩٣).
١٢) موسى هـ. سانت ل.ب: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، السيد الباز العريني. (القاهرة، ١٩٩٨م).

القوط الشرقيون في البلقان

(٤٧٣- ٤٨٨ م)

أجمعت المصادر التاريخية القديمة والمراجع الحديثة على أن وفاة أتيلا (٤٣٤-٤٥٣م) Attila، ملك الهون، في سنة ٤٥٣م أدت إلى تفكك إمبراطوريته. فنظرًا لأن أبناءه ما كان بينهم من هو قادر على الانفراد بالحكم فقد قرروا تقسيم إمبراطوريته بينهم بالتساوي، ومن ثم فإن ذلك كان فرصة لإتباعهم من القبائل الجرمانية لإعلان الثورة عليهم، لأنهم رفضوا أن يتم تقسيمهم كما لو كانوا عبيدًا أو قطعيًا من الأغنام. وفي المعركة التي نشبت قرب نهر نيداو Nedao[٦١٩] سنة ٤٥٤ انتصر الجرمان وقتل من الهون حوالي ٣٠,٠٠٠ ألف رجل، وهرب الباقون إلى جنوب روسيا[٦٢٠].

والجدير بالذكر، أن هزيمة الهون المدوية في موقعة نيداو وتفكك إمبراطوريتهم لعبت دورًا كبيرًا في حصول الشعوب الجرمانية التي كانت خاضعة لهم على حريتها. ومن هذه الشعوب كان القوط الشرقيون، الذين استقروا في هنغاريا عن طريق الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩- ٣٩٥م) Theodosious I، فوقعوا تحت الاستعمار الهوني عندما استولى على هنغاريا[٦٢١].

([619]) نيداو Nedao: مجرى مائي في جنوب بانونيا، يتفرع- على الأرجح- من نهر ساف Save. انظر:

Wolfram H.: The Roman Empire and It's Germanic Peoples, Tr., by Thomas Dunlop, (London, 1997), P. 129.

([620]) وللمزيد من التفاصيل. انظر:

Priscus: In Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley, vol. II, (Great Britain, 1993), p.296; Jordanes; The Origin and Deeds of The Goths, Tr., by Charles C. Meirow, (Net), p. 62. Cf. also, Bury J. B.: History of The Later Roman Empire, vol. I, (U.S.A., 1958), p.296; Hodgkin T.: Italy and Her Invaders, vol. II, (London, N.D.), pp. 191-194; Bradley H.: The Goths, (London, 1887), p. 48; Wolfram: op.cit., p. 129; Oliver J. T. and other: Europe in The Middle Age, (London, 1919), p. 42.

([621]) Bradley: op.cit., p. 48; Deanesly M.: A History of Early Medieval Europe, (London, 1974), p.34; Oliver J.: op.cit., p. 42; William G. S

على أن القوط الشرقيين وجدوا أنفسهم بعد تحررهم من سيطرة الهـون في وضع سيء لما لحق بأقاليم الدانوب- في غضون ذلك- من دمـار شـامل وخراب جعل الإقامة فيها أمرًا متعذرًا(٦٢٢). وإلى جانـب ذلـك كانـت هنـاك عداوات شديدة بين القوط والقبائل الجرمانية الأخرى التي تحررت من سـيطرة الهون، ولذلك راح القوط الشرقيون يبحثون عن موطن آخـر يسـتقرون فيـه، فبعثوا بسفارة إلى الإمبراطور مارقيان (٤٥٠-٤٥٧م) Marcian، إمبراطـور النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، أو بتعبيـر آخـر الإمبراطوريـة البيزنطية، يطلبون السماح لهم بالاستقرار داخل أراضيه، فوافـق وسـمح لهـم بالاستقرار في مقاطعة بانونيا Pannonia(٦٢٣). ويبدو أن إقامة القوط الشرقيين في بانونيا كانت مكفولة باتفاقية بينهم وبين مارقيان، الذي تعهد بمقتضـى هـذه الاتفاقية أن يدفع لهم مبلغًا من المال بداية كل عام، ليمكنهم مـن الـدفاع عـن

---

and other: A History of Roma to A.D. 565, (London, 1977), p. 460; Hollister W.: Medieval Europe, (U.S.A., 1982), p. 32.

(622) Thompson: The Middle Ages, vol. I, (London, 1931), p. 115.

(623) Jordanes: op.cit., p. 63; Priscus: op.cit., vol. II, p. 323. Cf. Also, Bury J. B.: op.cit., vol. I, p. 411; William G.: op.cit., p. 462.

أما بانونيا: فهي مقاطعة رومانية تقع جنوب نهر الدانوب الأوسط وهي عبارة عن منطقة سهلية يحدها من الشرق مؤيزيا العليا، ومن الجنوب دالماشيا، ومن الغرب، نوريكوم. ولقد تم تقسيمها بين عامي ٢٦٣ و٢٩٦، في عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) Diocletian، إلى أربعة أقاليم. انظر:

Jordanes: op.cit., p. 63. Cf. also, Moorhed J.: Theodric in Italy, (Oxford, 1992), p. 12: Alexander P. K. and other: The Oxford Dictionary of Byzantium, vol. III. (Oxford, 1991), p. 1572.

وبانونيا العصور الوسطى هي التي تضم الآن غربي المجر، وشمالي كرواتيا، وسلوفينيا Slovenia وشرق النمسا. انظر:

History – world – org – Goths.

مملكتهم، وكذلك ليجهز القوات التي تطلبهـا الإمبراطوريـة عنـدما تقتضـي الظروف(٦٢٤).

وعلى كل، تذكر كتب التاريخ أن قوط بانونيا كان يتولى قيادتهم ملكهـم فالامير Valamir وأخواه ثيوديمير Thiudimer وفيديمير Vidimer، الـذين عاشوا في مناطق منفصلة، ورغم ذلك ارتبطوا بعلاقات قوية وكـانوا يعملـون معًا(٦٢٥). ولقد بلغ تعداد قواتهم- طبقًـا للتقـديرات- حـوالي ١٨,٠٠٠ ألـف جندي(٦٢٦).

وتقول الأحداث إنه: كانت هناك جماعة أخرى من القوط الشرقيين بقيادة ترياريوس Triarius لم تنتقل إلى بانونيا مع فـالامير وأخويـه، بعـد تفكـك إمبراطورية الهون، ولكنها ذهبت إلى تراقيا Thrace(٦٢٧)، ولم تكن قليلة العدد، ودخل الكثير منها في خدمة الإمبراطور مارقيان. وعندما مـات تريـاريوس- تقريبًا- بعد عام ٤٥٥م، تولى ابنه ثيودريـك اسـترابو Theodorics Strabo الحكم دون حدوث أية مشاكل تذكر(٦٢٨).

---

(624) Jordanes: op.cit,p. 65, Cf. also, Bradley: op.cit., p. 133; Moorhed: op.cit., p. 12; Bury: op.cit., vol. I, p. 41.
وينفرد بعض المؤرخين بالإشارة إلى أن اتفاقية مارقيان مع القوط الشرقيين عقدت في سنة ٤٥٦م، ولكنه لم يحدد الشهر الذي عقدت فيه. وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى صمت المصادر عن ذلك. انظر:
Wolfram H.: op.cit., p. 199.

(625) Jordanes: op.cit., p. 64.

(626) Wolfram H: op.cit., p. 140.

(627) تراقيا Thrace: منطقة شاسعة تقع جنوب نهر الدانوب، وشمال بحر ايجه، وغرب البحر الأسود وشرق مقدونيا. Mattew B.: A Dictionary of the Roman Empire, (Oxford, 1995), p.414. كان يطلق على تراقيا (١) المقاطعة التراقية، (٢) إقليم تراقيا، (٣) دوقية تراقيا. انظر:
Alexander P. K.: op.cit., vol. III, p. 2079.

(628) Wolfram H.: op.cit., p. 140, 197; Treadgold W.: A History of the Byzantine State and Society, (Stanford Uni., Press, 1997), p. 100, Thomas S. Burns: A History of The Ostrogoths (Indiana Uni., Press, J, p. 52.

واستمرت العلاقات طيبة بين قوط بانونيا والإمبراطور مارقيان، ولكن بعد وفاته تعكر صفو هذه العلاقات، وذلك لأن الإمبراطور ليو الأول (٤٥٧-٤٧٣م) Leo I، نقض الاتفاقية التي كانت قائمة بين الطرفين، وذلك عندما توقف عن دفع الإعانة المالية إلى قوط بانونيا وراح يدفعها إلى قوط تراقيا، بناء على رأي أسبار، الذي كانت تربطه علاقات قوية بثيودريك استرابو(٦٢٩).

ولقد حاول الملك فالامير استمالة ليو الأول بشتى الطرق السلمية، لكي يعيد إليه الإعانة المالية التي كان يدفعها سلفه، ولكن محاولاته ضاعت سدى(٦٣٠). "وعند ذلك استشاط فالامير وأخواه غضبًا"، كما قال المؤرخ جوردانير(٦٣١)، "وحملوا السلاح وتقدموا على رأس قواتهم داخل الليريا Illyria(٦٣٢) فجعلوها خرابًا، للبحث عن الغنائم، ولقد أدى ذلك إلى تغير موقف ليو الأول، الذي وجد أن صداقة فالامير خير من عداوته".

وعلى وجه السرعة أرسل الإمبراطور ليو الأول سفارة إلى فالامير جددت معه الاتفاقية التي عقدت في عهد الإمبراطور مارقيان، ويومها وافق ليو على الآتي:

أولاً: أن يدفع راتبًا عبارة عن ٣٠٠ جنيه من الذهب في بداية كل عام إلى فالامير.

يذكر بعض المؤرخين أن ثيودريك بن ترياريوس، المدعو سترابو "أي الأحول" "في اللغة اللاتينية" لم يكن عريق الأصل ولكنه ارتبط بعائلة ثيوديمير عن طريق الزواج.
Bury. J. B.: op.cit., vol. I, p. 412.

(629) Jordanes: op.cit., 65. Cf. also, Bradley: The Goths, . 133; Treadgold: op.cit,p. 151.

(630) Bradley: op.cit., p. 134.

(631) The Origin and Deeds of The Goths. Cf. also, Priscus: op.cit., vol. II, p. 371; Bradley: op.cit., p. 134; Burns: op.cit., p. 53.

(632) الليريا (دالماشيا) منطقة تمتد من شمال شرق إيطاليا حتى مقدونيا ومن الحد المؤيزي بطول الدانوب حتى أبيروس. انظر:
Matthew Bunson: A Dictionary of Roman Empire (Oxford, 1995)., p. 202.

ثانيًا: القيام بدفع المتأخرات التي قطعت من قبل.

ثالثًا: وعد ليو الأول بدفع هذا الراتب في المستقبل دون تأخير.

وفي المقابل تعهد فلامير بالآتي:

أولاً: الدفاع عن الحدود الدانوبية للإمبراطورية.

ثانيًا: إرسال ثيودريك بن ثيوديمير- الذي كان عمره آنذاك سبع سنوات- إلى مدينة القسطنطينية كرهينة لضمان تنفيذ الشق المتعلق بالقوط في الاتفاقية(٦٣٣). وتقريبًا وقعت هذه الاتفاقية ما بين عامي ٤٦١ و٤٦٢م(٦٣٤).

هذا، ويذكر بعض المؤرخين أن ألـ ٣٠٠ جنيه الذهبية التي كان فالامير يحصل عليها من الإمبراطور ليو الأول قد مكنته من مكافأة أتباعه كلاً طبقًا لمكانته، وجعلته يحافظ على السلام(٦٣٥).

ومما هو جدير بالذكر، أن ثيودميير كان رافضًا أن يرسل ابنه ثيودريك إلى مدينة القسطنطينية، كرهينة، لصغر سنه، ولكن فالامير جعله يغير رأيه، مبينًا له مدى الفائدة التي سينالها بسبب التعليم الذي سيتلقاه في القصر الإمبراطوري، وحتى يتقرر السلام بين الجانبين. وبناء على ذلك تم إرسال ثيودريك إلى مدينة القسطنطينية، وهناك حاز على حب الإمبراطور ليو بسبب جمال طلعته(٦٣٦). وبقى عشر سنوات في القسطنطينية. ويبدو أنه كان يعامل كما لو كان ابنًا لأحد رجال الرومان ذوي المناصب الرفيعة؛ فمعظم الأساتذة

---

(633) Jordanes: op.cit., p. 65. Cf. also, Burns: op.cit., p. 53; Bradley: op.cit., p. 134; Heather. The Gothes, (U.S.A., 1996), p. 152.

(634) Heather: op.cit., p. 152; Burns: op.cit., p. 53; Bradley: op.cit., p. 134; Oliver J.: op.cit., p. 45; Bury: op.cit., vol. I, p. 411.

(635) Burns: op.cit., p.53.

(636) Jordanes: op.cit., p. 65; Cf also, Bradley: op.cit., p. 134; Cam. Med. Hist., vol. I, (London, 1911), p. 437; Moorhed: op.cit., p. 13.

المشهورين في العاصمة كانوا مجندين لتعليمه، ورغم ذلك ظل حتى نهاية حياته لا يكتب(٦٣٧).

وفي غضون ذلك، اشتبك القوط الشرقيون في حروب طاحنة مع الشعوب الجرمانية المجاورة، فكسبوا نصرًا حاسمًا على السويفي Suavi والسكيري Scire، ولكن هذا النصر كلف فالامير حياته، وعند ذلك انتقلت قيادة الجماعة القوطية التي كان يقودها إلى أخيه ثيوديمير، واستعد الطرفان لخوض جولة ثانية من المعارك، وراح كل طرف من الأطراف المتصارعة يتوسل المساعدة من الإمبراطور ليو الأول، الذي ضرب بنصيحة أسبار عرض الحائط وقدم المساعدة إلى الحلف الجرماني بقيادة السكيري، ولكن في المعركة الدموية التي نشبت بين الطرفين سنة ٤٦٩م انتصر القوط، وفرضوا سيادتهم على وسط الدانوب(٦٣٨).

وعند ذلك وجد الإمبراطور ليو الأول أنه من الناحية السياسية يجب التمسك بصداقة القوط الشرقيين، لاسيما وأن تقديمه المساعدة العسكرية للحلف المناوئ لهم قد أدى- بالتأكيد- إلى تعكير صفو علاقتهم معه، ولذلك أقدم على إطلاق سراح ثيودريك، وسمح له بالعودة إلى شعبه محملاً بالهدايا(٦٣٩).

ويعلق على ذلك بعض المؤرخين المعاصرين موضحًا أن إطلاق سراح ثيودريك كان رغبة من ليو الأول في التمسك بالسلام القائم مع القوط، ويستطرد

---

(637) John of Nikiu: Chronicle, Tr., by Roger Pears, (Net. 2002), p.7. Cf. also, Bradley: op.cit.,p.135; Hoyt R.S. and other: Europe in the Middle Ages (U.S.A.,1976),p. 69;

موس هـ.س.: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة السيد الباز العريني، (القاهرة، ١٩٩٨م) ص٩٩. ويذكر البعض أن ثيودريك بن ثيوديمير تعلم اليونانية واللاتينية في مدينة القسطنطينية.

History- world.org/GermaniTribes.

(638) Jordanes: op.cit., p. 66, Priscus: op.cit., vol, II, p. 353. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 412; Treadgold: op.cit., p. 153.

(639) Jordanes: op.cit., p. 68; Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 413.

نفس المؤرخ موضحًا أن إطلاق سراح ثيودريك تم سنة ٤٦٩م، ولكنه ليس متأكدًا من ذلك، لأننا نجد أنه يستخدم كلمة "ربما"(٦٤٠).

والجدير بالذكر أن التباين بين المؤرخين بخصوص تواريخ هذه الفترة يعود إلى صمت المصادر التاريخية المعاصرة عن الإشارة إلى تلك التواريخ.

وعلى أية حال، يذكر المؤرخ جوردانيز أن ثيودريك قاد حملة عسكرية مؤلفة من ٦٠٠٠ ألف جندي- وبدون علم والده- هاجم بابي Babai، ملك السارماتينز Sarmatians، في عقر داره، فيما وراء الدانوب، وانتصر عليه انتصارًا ساحقًا، واسترد منه قلعة سينجيدونوم Singidunum(٦٤١)، التي كان قد استولى عليها آنذاك من بيزنطة، وقفل عائدًا إلى بانونيا حاملاً معه بابي وعائلته وكنوزه(٦٤٢)، ويذكر أحد المؤرخين أن هذه الحملة وقعت في بداية عام ٤٧٠م(٦٤٣).

والسؤال المطروح، هل كان ثيودريك يعمل لحساب الإمبراطور البيزنطي ليو الأول؟

تشير الشواهد كلها إلى أنه كان يعمل لحساب ليو الأول، وذلك لأنه بمجرد عودته قام بحملته على بابي السارماتي، وبدون إذن من والده. ويؤكد صحة ما ذهب إليه الباحث قول بعض المؤرخين: "إن حرب ثيودريك الآمالي مع السارماتيين، بدأت باسم الإمبراطور (ليو الأول)، وانتهت بآخر حملة للقوط البانونيين"(٦٤٤).

---

(640) Wolfram H: op.cit. p. 198.

(641) سينجيدونوم: هي مدينة بلجراد الحديثة. وهي مدينة رومانية تقع عند ملتقى نهري السافا Sava والدانوب، ذات موقع هام على طريق أجناتيا، وميناء بحري عظيم. تعرضت للدمار والخراب في القرنين الخامس والسادس على يد القبائل المتبربرة. استولى عليها الأفار في بداية القرن السابع. انظر:
Alexander P.: op.cit., vol. III, p. 1903.

(642) Jordanes: op.cit., p. 68. Cf. also, Wolfram: History of the Goths, p. 267; Mooehed: op.cit., p. 14.

(643) Wolfram H.: The Roman Empire..., p. 198.

(644) Loc. Cit.

ولكن بالرغم من علاقات الصداقة التي ربطت بين الإمبراطور البيزنطي ليو الأول وثيودريك، وبالرغم من أنه كان يعمل لحساب ليو، فإن ثيودريك رفض إعادة قلعة سينجيدونوم إلى بيزنطة(٦٤٥).

وفي ضوء ندرة المعلومات حول سبب موقف ثيودريك هذا، يذكر البعض أن البيزنطيين- ربما- لم يطالبوا ثيودريك بإعادة تلك القلعة، لأن حكام القسطنطينية كانوا مشغولين- في غضون ذلك- بمشاكلهم الداخلية، لهذا لم يفكروا في قلعة بعيدة عن الإمبراطورية(٦٤٦).

وإذا كان الباحث لا يتفق مع الرأي القائل بأن قلعة سينجيدونوم كانت منعزلة عن أراضي الإمبراطورية- فأراضي الوطن ليس فيها البعيد والقريب- ولذلك لم يشغلوا بالهم بها، فإنه يتفق مع هذا الرأي بشأن الأوضاع الداخلية في بيزنطة، في ذلك الوقت لاسيما العداوات المتأججة بين الإمبراطور ليو الأول وقائد جيوشه أسابر، الذي كان ليو يعمل جاهدًا للإطاحة به لنفوذه المتزايدة في الدولة.

والمتأمل يرى أن سقوط قلعة سينجيدونوم في يد القوط يعتبر أول احتلال لأراضي بيزنطية منذ استقرارهم في بانونيا في عهد الإمبراطور مارقيان.

وعلى كل، حدث في غضون ذلك ما أدى إلى فتح باب العداوات على مصراعيه بين القوط من ناحية والبيزنطيين من ناحية أخرى، وكانت الشرارة التي أدت لاشتعال الموقف، هي اغتيال أسبار وبعض أفراد عائلته بتحريض من الإمبراطور ليو الأول سنة ٤٧١م(٦٤٧). وعند ذلك، ثار أتباع أسبار من القوط

---

(645) Jordanes: op.cit., p. 68.

(646) Bradley: The Goths, p. 137.

(647) وللمزيد من التفاصيل: انظر:

Candidus: In Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley, vol. II, (Great Bri., 1983), p. 467, John Of Antioch: in Gordon C. D.: The Age of Attila, (U.S.A., 1966), p. 133. Cf. also, Hodgkin: op.cit., vol. II, p. 478.

الشرقيين بقيادة أوستريس Ostrys(٦٤٨)، واقتحموا القصر الإمبراطوري في محاولة للاستيلاء عليه، ولكن عندما باءت محاولتهم بالفشل وقتل منهم الكثير، وشعر أوستريس بشبح الهزيمة هرب بأتباعه إلى تراقيا، ولقد اصطحب معه جارية أسبار القوطية(٦٤٩). وربما هذه الجارية- كما أطلقت عليها المصادر- هي زوجة أسبار، ونظرًا لأنها قريبة ثيودريك استرابو فقد أخذها أوستريس معه.

وفي تراقيا ضم أوستريس قواته إلى قوات ثيودريك استرابو، وقاموا بأعمال النهب والسلب في المنطقة، ويبدو أن ذلك قد أدى إلى ارتفاع نجم ثيودريك فاختارته الفرق الجرمانية القوطية ملكًا عليها سنة ٤٧٣م(٦٥٠). وهكذا، أصبحت بيزنطة أمام قيادة قوطية أخرى كان عليها أن تتعامل معها، كما تتعامل مع قوط بانونيا.

ويبدو أن الإمبراطور ليو الأول شعر بخطورة الموقف في تراقيا، فأرسل تلوجيوس Telogius- كاتم سره- إلى ثيودريك استرابو، الذي استقبله بحفاوة بالغة، ويبدو أنه كانت هناك أكثر من سفارة متبادلة بين الجانبين، وهذا ما عبر عنه مالخوس(٦٥١) Malchus بقوله: "وتبادلوا- قوط ثيودريك استرابوا- الرسل مع الإمبراطور- ليو الأول-، في محاولة لكسب صداقته".

---

(648) أوستريس: أحد القادة القوط المقربين إلى أسبار، عمل في قواته بتراقيا سنة ٤٦٧م، ويبدو أنه تعرف هناك على ثيودريك ابن ترياريوس. انظر:
Pachale: Chronicon 284- 628 AD, Tr., by Michael Whitby and Mary Whitby, (Liverpool Uni., 1989), p. 89, (Not., 289).

(649) Pachale: op.cit., p. 89. Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 155.
وينفرد المؤرخ البيزنطي ثيوفانيز بالقول: إن ثيودريك بن ترياريوس صهر أسبار اشترك مع أوستريس في الهجوم على مدينة القسطنطينية بقواته للانتقام لأسبار. انظر:
The Chronicle, (Oxford, 1997), p. 183.

(650) Heather: op.cit., vol. I, p. 32, Jones H. M.: The Later Roman Empire 284-602, vol. I, (G. B., 1964), p. 223.

(651) In Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blochley, vol. II, (G. B., 1983), p. 407.

وعلى أية حال، في إحدى المقابلات التي تمت بين ليو الأول وإحدى سفارات ثيودريك استرابو، راحت السفارة تطالب بالآتي:

أولاً: حصول ملكهم ثيودريك على جميع الممتلكات التي تركها أسبار، لأنه كان زوجًا لابنة عم ثيودريك.

ثانيًا: السماح لثيودريك بالإقامة في تراقيا مع قواته.

ثالثًا: أن يتولى ثيودريك القيادة العامة للقوات التي كان يتولاها أسبار(٦٥٢).

ولكن الإمبراطور ليو في الوقت الذي رفض فيه- وبشدة- المطلبين الأول والثاني وافق على المطلب الثالث فقط المتعلق بتعيين ثيودريك استرابوا قائدًا للجيش، ولكن ليو وضع شرطًا لهذه الموافقة هو "أن يصبح ثيودريك صديقًا له، وأن يتعهد بعدم خيانته"، وعند ذلك سمح ليو لسفارة ثيودريك بمغادرة مدينة القسطنطينية(٦٥٣).

وعندما استقبل ثيودريك استرابو سفارته، وسمع منها رد الإمبراطور ليو استشاط غضبًا، وقرر الانتقام منه، فأرسل على الفور، قسمًا من قواته للاستيلاء على مدينة فيليبي Philippi(٦٥٤)، أما هو فقد عسكر بباقي القوات أمام مدينة أركاديوبوليس Arcadiopolis، وفرض عليها حصارًا شديدًا، حتى استطاع في النهاية الاستيلاء عليها عن طريق استسلام أهلها، الذين أصابهم الجوع، ولم تصل إليهم أية مساعدات من الإمبراطور ليو. أما بخصوص مدينة

---

(652) Malchus: op.cit., vol. II, p. 407, 409. Cf, also, Cam. Med. His., vol. I, p. 471.

وينفرد بعض المؤرخين بالإشارة إلى أن ثيودريك استرابو طالب الإمبراطور ليو الأول بأن يتنازل لقوطه عن نصف تراقيا. انظر:

Jones: op.cit., vol. I, p. 223.

(653) Malchus: op.cit., vol. II, p. 409. Cf. also, Bury J. B. op.cit., vol. I, p. 413.

(654) فيليبي: مدينة حصينة تقع على سفح جبل هيموس، إلى الجنوب الشرقي من صوفيا، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها فيليب والد الإسكندر المقدوني. وتسمى اليوم بلوفديف Plovdev. انظر:

Lavallee: Hitoire De L Emprie Ottoman, (Paris, 1855). p. 142.

فيليبي فقد اكتفت القوات التي أرسلت لاحتلالها بإشعال النار في ضواحيها، ولم تتمكن من احتلالها(٦٥٥).

ومهما يكن من أمر، فإنه على الرغم من الكوارث التي أنزلها قوط ثيودريك استرابو بتراقيا فقد عانوا معاناة شديدة من المجاعة التي أطبقت عليهم، ومن ثم أرسلوا إلى الإمبراطور ليو يسألونه السلام. ونظرًا لأن الأخير لم يكن يمانع، فقد تم التواصل لاتفاق بين الجانبين، أقسم عليه كل طرف، ونص على الآتي:

أولاً: حصول ثيودريك على مبلغ ٢٠٠٠ جنيه من الذهب كل عام.

ثانيًا: تعيين ثيودريك قائدًا عامًا للقوتين العسكريتين اللتين تلازمان الإمبراطور دائمًا، وبمعنى آخر سيد الجند في حضور الإمبراطور.

ثالثًا: تم الاعتراف بثيودريك حاكمًا عامًا للقوط.

رابعًا: وافق ثيودريك على أن يقاتل جميع من يأمره الإمبراطور بقتالهم عدا الوندال.

خامسًا: عدم استقبال الإمبراطور ليو الأول لأي قوطي هارب من قبل ثيودريك(٦٥٦).

وبخصوص التاريخ الذي وقعت فيه الاتفاقية فقد ذكر بعض المؤرخين أنها وقعت في سنة ٤٧٣م(٦٥٧).

والمتأمل في الاتفاقية- سالفة الذكر- يرى أن ثيودريك استرابو تنازل عن ممتلكات أسبار، وعن حق امتلاك أراضي بيزنطية في تراقيا مقابل الإعانة

---

(655) Malchus: op.cit., vol. II, p. 409. Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 155; Jones: op.cit., vol. I, p. 223.

(656) Malchus: op.cit., vol. II, p. 409. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 413.
ولكن بيوري يذكر أن المبلغ المقرر لثيودريك سنويًا هو مائتي جنيه فقط.

(657) Wolfram H.: op.cit., p. 129; Bury: op.cit., vol. I, p. 320.
ويذكر غوردون أن هذه الاتفاقية تم توقيعها مع استرابو في سنة ٤٧٤م. انظر:
The Age of Attila, p. 161.

السنوية التي وافق ليو على دفعها إليه. كما أن هذه الاتفاقية تعد أول اتفاقية رسمية بين قوط تراقيا وبيزنطة، والتي اعترف البيزنطيون بمقتضاها بثيودريك استرابو حاكمًا شرعيًا لجميع القوط الشرقيين الموجودين في البلقان، الأمر الذي يدل على أن قادة القوط كانوا يبحثون عن الزعامة- في ذلك الوقت- والتي لن يحصلوا عليها إلا باعتراف إمبراطوري، أما عدم الاشتباك في حرب مع الوندال- طبقًا لما قاله ثيودريك- فلا يعود إلى أصلهم الجرماني المشترك بقدر ما يعود إلى بعد المسافة والأخطار الناجمة عن الهجوم عليهم(٦٥٨).

والجدير بالذكر، أنه على الرغم من أن الإمبراطور ليو الأول قد أنعم على ثيودريك استرابو بلقب "سيد الجند في حضور الإمبراطور" فإنه لم يسمح له بدخول مدينة القسطنطينية(٦٥٩). وربما لأنه خشي إن دخلها لا يخرج منها.

وعودة إلى قوط ثيوديمير، فإننا نرى أنهم راحوا يفكرون في مغادرة بانونيا في سنة ٤٧٣م، ولقد تعددت الأسباب التي جعلتهم يفكرون في ذلك، فالمؤرخ القوطي جوردانيز(٦٦٠) ذكر أنه نظرًا لأنهم يعيشون على ما تكسبه أيديهم من الحروب فقد كانوا يكرهون السلام، ولما كانت الحروب قد حطت أوزارها بينهم وبين الشعوب المجاورة فقد بدأت غنائم الحرب التي حصلوا عليها سابقًا في النفاد، وبدأوا يحتاجون إلى الملبس والمأكل. ولذلك عقدوا النية على مغادرة بانونيا. كما يذكر بعض المؤرخين أن المنطقة التي كانوا يعيشون فيها لم تعد قادرة على استيعاب أعدادهم الآخذة في الزيادة(٦٦١). كما أنه لا ينبغي علينا أن نغفل المكاسب الكبيرة التي حصل عليها قوط تراقيا من الإمبراطور ليو سنة ٤٧٣م، والتي كانت لابد أن تجعل قوط بانونيا يفكرون في الحصول على مثلها، وبطبيعة الحال لن يتأتى ذلك إلا بمغادرتهم بانونيا. ويؤيد ذلك ما قاله المؤرخ بيتر هيثر(٦٦٢) أنه عندما تحرك ثيوديمير من بانونيا كان يدور في ذهنه

---

(658) Gordon: op.cit., p. 160.

(659) Treadgold: op.cit., p. 160.

(660) The Origin and Deeds of The Goths, p. 68.

(661) Bradley: The Goths, p. 136.

(662) The Goths, p. 155.

انتزاع المكانة السامية التي حصل عليها القوط التراقيون، الذين كانوا يحصلون على إعانة مالية سنوية تعادل سبعة أضعاف ما كان قوط بانونيا يحصلون عليه منذ عام ٤٦٠م، كذلك كان ثيوديمير يرغب في مشاركة ثيودريك استرابو الرعاية الكبيرة الموجودة في البلاط البيزنطي.

وعلى أية حال، عندما تزايدت توسلات القوط لثيوديمير بالرحيل بهم من بانونيا والتوجه إلى أي مكان يرغب فيه، استدعى أخاه فيديمير، وبعد إجراء القرعة- كما تقول المصادر التاريخية- تقرر أن يذهب فيديمير إلى إيطاليا، أما ثيوديمير فنظرًا لأنه الأقوى كان عليه التوجه نحو الإمبراطورية البيزنطية القوية(٦٦٣).

وهنا يجب علينا أن ندرك أن قرار إعلان الحرب على الإمبراطورية الشرقية والغربية لم يخضع لعملية التنجيم القائمة على إجراء القرعة، ولكنه أخذ بترو، فلقد كان معروفًا أن الإمبراطورية الشرقية أقوى بكثير من الغربية، كما كانت هناك قوة أخرى موجودة في البلقان هي قوة قوط تراقيا، ولذلك توجه ثيوديمير- لأنه الأقوى- إلى بيزنطة.

وعلى كل، قاد فيديمير قسمًا من الشعب القوطي تجاه إيطاليا، ولكن الإمبراطور جليسيريوس (٤٧٣- ٤٧٤م) Glycereius استماله- عن طريق الهدايا- للذهاب إلى غالة، وهناك انضم بجماعته إلى القوط الغربيين(٦٦٤).

أما ثيوديمير فقد عبر بقواته نهر Savus واستولى على مدينة نيسوس Naissus(٦٦٥)، أول مدينة في إقليم الليريا بالبلقان، ومن هناك أرسل ابنه ثيودريك وقائديه أستات Astat وأنفيليا Invilia فاستوليا على مدينة أولبيانا

---

(663) Gordanes: op.cit., p. 68. Cf. also, Hodgkin: op.cit., vol. II, p. 481.

(664) Jordanes: op.cit., p.68. Cf. also, Moorhed: op.cit., p.15; Jones: op.cit., vol.I, p. 223.

(665) نيسوس: مدينة رومانية تقع على نهر نيشافا Nisava، قرب مدينة نيش Nis الحديثة في جنوب شرق يوجوسلافيا، كان يطلق على هذه المدينة في العصور الوسطى اسم نيسوس Nais (s)os أو Nisos. انظر:
Alexander P.: op.cit., vol. II, pp. 1433- 1434.

Ulpiana، بدون مقاومة تذكر، كما استوليا أيضًا علـى مـدن مثـل سـتوبي Stobi[٦٦٦]- التي رغم مناعتها، استسلمت بمجـرد وصـول القـوط إليهـا- وهيراكليا Heraclea[٦٦٧]، ولاريسا Larissa[٦٦٨]، وعندما شـاهد ثيـوديمير تساقط المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى في يده- وبدون مقاومة- فقد انفتحت شهيته أكثر، وانطلق من مدينة نيسوس تاركًا فيها حامية قليلة للدفاع عنها، وتقدم نحو مدينة تسالونيكا Thessalonica (في مقدونيا على طريق أجناتيا) يحـدوه الأمل في الاستيلاء عليها[٦٦٩].

وراح الإمبراطور ليو الأول يعمل على وجه السـرعة لإنقـاذ مدينـة تسالونيكا فأرسل البطريق هيلاريانوس Hilarianus على رأس قوات لمواجهة ثيوديمير قرب المدينة، ولكن عندما وجد هيلاريانوس أنه لن يتمكن مـن صـد الهجوم القوطي، فقد جنح إلى السلم، وأرسل سفارة إلى ثيـوديمير، واسـتطاع- عن طريق الهدايا- إنقاذ المدينة من الاحتلال، وتوصل الطرفان إلـى اتفاقيـة تنازل بمقتضاها البيزنطيون إلى ثيودريك عن مدن كيروس Cyrrhus، وبـيلا Pella[٦٧٠]، يوروبيوس Europus، ميثوني Methone[٦٧١]، بيـدنا Pydna،

(666) ستوبي: مدينة رومانية في شمالي مقدونيا، في وادي الفردار Vardar، على الطريق الذي يربط مدينة تسالونيكا بوسط الدانوب. انظر:
Alexander P.: op.cit., vol. III, pp. 1958- 1959.

(667) هيراكلية: مدينة تقع على الشاطئ الشمالي لبحر مارمارا Marmara. عند نقطة اتصال طريق أجناتيا Via Egnatia وطريق البلقان الرئيسي المؤدي إلى نيسوس. انظر:
Alexander: op.cit., vol. I, pp. 915- 916.

(668) لاريسا: مركزًا إداريًا وكنيسيًا في سيسالي Thessaly، يقع على الضفة اليمنى لنهر بنيوس Peneios، عند نقطة اتصال الطرق التسالية الرئيسية. انظر:
Alexander: op.cit., vol. I, p, 1180.

(669) Jordanes: op.cit., p. 69.

(670) بيلا: مدينة مشهورة، لأنها كانت مسقط رأس الإسكندر المقدوني. انظر:
Bradley: op.cit., p. 137.

(671) ميثوني أو (مودون Modon): مدينة تقع في أقصى الناحية الجنوبية الغربية من البيلوبونيز. وهي مركز بحري هام على الطريق بين بحر إيجه وإيطاليا. انظر:
Alexander: op.cit., vol. 11, p. 1356.

بيرويا Beroea[٦٧٢] وديوم Dium، وعند ذلك وضعت الحرب أوزارها بين ثيوديمير وبيزنطة[٦٧٣].

وهكذا، يمكن القول أن القوط الشرقيين قد انتقلوا من إقليم بانويا إلى مقدونيا Macedonia في سنة ٤٧٣م.

ويعلق بعض المؤرخين قائلاً: إن الإمبراطور ليو الأول عندما وجد أنه غير قادر على الدفاع عن أراضيه تنازل عن أجزاء منها لقوط ثيوديمير للإقامة فيها[٦٧٤].

وبذلك يمكن القول أن قوط ثيوديمير حققوا الهدف الذي غادروا من أجله بانونيا، كما أثبتت الأحداث أن الإمبراطورية البيزنطية كانت ضعيفة جدًا- آنذاك- من الناحية العسكرية.

ولكن الأجل لم يطل بثيوديمير، فقد هاجمه المرض في مدينة كيروس، وعندما شعر بقرب نهايته جمع قومه، وعين ابنه ثيودريك وريثًا لمملكته، ثم فارق الحياة[٦٧٥].

وبديهي أن ذلك كان في نهاية سنة ٤٧٣م أو بداية ٤٧٤م، وليس في عام ٤٧٥م كما ذكر أحد المؤرخين[٦٧٦] أو ٤٧١م في رأي البعض[٦٧٧].

وعلى أية حال، إن الأعمال العسكرية التي قام بها ثيودريك في الأراضي البيزنطية- بعد وفاة والده- يوجد بشأنها نقص كبير في المعلومات، وهذا يعود إلى صمت المصادر التاريخية عن ذكر ذلك.

---

(672) بيرويا: مدينة تقع في الطرف الغربي من السهل المقدوني وترتبط بإقليم مقدونيا. أطلقت عليها المصادر في بعض الأحيان اسم بيرو- ستارا زاجورا- Beroe Stara Zagora. انظر:

Alexander: op.cit., vol. I, p. 284.

(673) Gordanes: op.cit., p.69. Cf. Also, Jones: op.cit., vol.I, p.223, Moorhed: op.cit.,p.35.

(674) Treadgold: op.cit., p. 155.

(675) Gordanes: op.cit., p. 69. Cf. also, Heather: op.cit., p. 158.

(676) Oliver J.: op.cit., p. 46.

(677) Cam. Med. His., vol. I, p. 471.

ورغم قلة المعلومات يذكر بعض المؤرخين أن ثيودريك قد غادر بشعبه المدن التي تنازل لهم عنها ليو الأول وتوجه إلى الدانوب، حيث مؤيزيا السفلى Lower Moesea[٦٧٨]، وكان مركز المحاولة الثانية- الأولى كانت في بانونيا- لإقامة مملكة قوطية هو مدينة نوفا Nova[٦٧٩]، وهناك بقى ثيودريك بن ثيوديمير حتى سنة ٤٨٨م، عندما توجه بقومه لإيطاليا[٦٨٠].

والحقيقة، أنه لا يوجد هناك دليل على أن الإمبراطور ليو الأول وافق على انتقال القوط إلى مدينة نوفا، ولكن يبدو- أيضًا- أن ليو لم يقم بأية محاولة- آنذاك- لمنع هذا الاستيطان[٦٨١]. وهذا يعني أن هذه المحاولة تمت في نهاية سنة ٤٧٣م أو بداية ٤٧٤م، لأنها تمت في عهد ليو الأول، الذي مات في ٣ فبراير سنة ٤٧٤م.

وفي غضون ذلك، لعب كل من ثيودريك استرابو وثيودريك بن ثيوديمير دورًا في الصراع الدائر على العرش البيزنطي. وفي ذلك تقول الأحداث، أن الإمبراطور ليو الأول مات في ٣ فبراير سنة ٤٧٤م، فخلفه حفيده، الذي يدعى- أيضًا- ليو، وكان طفلاً في السابعة من عمره، فانتقلت النيابة- بطبيعة الحالة- لوالده زينو، الذي أنعم عليه ابنه بالتاج الإمبراطوري في ٩ فبراير من نفس العام، ولذلك عندما مات ليو الطفل، انفرد زينو بالعرش الإمبراطوري في ١٧ نوفمبر ٤٧٤م[٦٨٢].

---

(678) مؤيزيا السفلى: ألفت الأقسام الشرقية من إقليم مؤيزيا، الذي يقع على حدود نهر الدانوب من أليريا حتى البحر الأسود. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., pp. 281-282.

(679) نوفا: مدينة رومانية تقع في مؤيزيا السفلى (الثانية)، على الضفة اليمنى لنهر الدانوب: تقع قرب سيفشتوف Svistov الحديثة في بلغاريا وهي مركزًا عسكريًا حصينًا، انظر:

Alexander P.: op.cit., vol. II, p. 1497, Heather: op.cit., p. 158.

(680) Wolfram: op.cit., p. 199; Bury: op.cit., vol. I, p. 412.

(681) Bury: op.cit., vol. I, p. 412.

(682) للمزيد من التفاصيل انظر:

Candidus: op.cit., vol. II, p. 467; Theophanes: op.cit., pp. 185-186; Pachale: op.cit., pp. 91-92. Evagarius S.: The Eclessiastical History,

ولكن المقام لم يطلب لزينو في مدينة القسطنطينية، فقد حدث ضده انقلاب ساهمت فيه الإمبراطورة فرينا Verina، أرملة الإمبراطور ليو الأول، وأخوها باسيليسكوس، وثيودريك استرابو، وفي ٩ يناير ٤٧٥ هرب زينو من المدينة إلى ايزوريا (بآسيا الصغرى) فاعتلى باسيكليسكوس العرش البيزنطي(٦٨٣).

والحقيقة، أن الكتب المتاحة للباحث فكما لم تقدم له معلومات كافية عن نوعية المساعدة التي قدمها ثيودريك استرابو لمغتصبي العرش من الإمبراطور زينو، فإنها أيضًا لم تشر إلى نوعية العلاقة التي قامت بين الإمبراطور باسيليسكوس، المغتصب، وثيودريك استرابو، سوى ذكر أن ثيودريك حكم برتبة بطريق، والقائد العام للجيش الإمبراطوري، والحصول على بعض الأموال. ويبدو أن ذلك كان كل ما أنعم به باسيليسكوس على استرابو، ولكن العلاقات ما لبثت أن ساءت بين الرجلين، لاسيما عندما سحب باسيليسكوس رتبة قائد الجيش وأنعم بها على أرماتيوس Armatus، أحد أقاربه(٦٨٤).

والجدير بالذكر، أن جميع محاولات بالسيليسكوس العسكرية للقضاء على زينوا في إيزوريا قد باءت بالفشل، ودخل الأخير القسطنطينية- بدون مقاومة تذكر- في أغسطس سنة ٤٧٦م، ونفى باسيليسكوس وعائلته إلى كبادوكيا Cappadocia (بآسيا الصغرى)، حيث مات هناك، بسبب الجوع، في إحدى قلاعها(٦٨٥).

Tr., by Michael Whitby, (Liv., Uni., 2000), pp. 99-100, Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 322-323, 389.

(683) للمزيد من التفاصيل انظر:

Valesiani A.: Tr., by John C. Rolfe, in Ammianus Marcellinus, vol. II, p. 467; Candidus: op.cit., vol. II, p. 467; Theophanes: op.cit., p. 187. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 390-391; Jones: op.cit., vol. I, p. 225.

(684) Wolfram: op.cit., pp. 199-200; Jones: op.cit., vol. I, p. 225; Bradley: op.cit., p. 139; Bury: op.cit., vol. I, p. 391; Cam. Med. His. Vol. I, p. 437.

(685) Candidus: op.cit., vol. II, p. 469; Theophanes, op.cit., pp. 191-192; Evagarius: op.cit., pp. 142-143; Valesiani: op.cit., vol. 3, p. 535, Cf. also, Bury: op.cit., vol. T, pp. 392-393.

والمؤكد، أن زينو طلب المساعدة من ثيودريك بن ثيوديمير. وفي ذلك قالت إحدى المصادر: "إن الإمبراطور زينو عندما قوى في إقليم إيزوريا، أرسل- عند ذلك- إلى مدينة نوفا، حيث ثيودريك، قائد القوط، وابن فالاميريكوس Walamericus كان يقيم، واستدعاه لكي يقدم له النجدة ضد باسيليسكوس"(٦٨٦).

لكن ما هو دور ثيودريك بن ثيوديمير في إعادة زينو إلى العرش البيزنطي؟ هذا ما أغفلته المصادر تمامًا، وبالتأكيد أمده ببعض القوات.

وعلى كل، كان لابد للإمبراطور زينو أن يصب غضبه على ثيودريك استرابو فجرده من جميع الامتيازات التي حصل عليها من قبل(٦٨٧)، وفي الوقت نفسه أنعم على ثيودريك بن ثيوديمير بلقب بطريق، وقنصل، ووافق على إقامته مع شعبه في الأراضي التي استولى عليها في مؤيزيا السفلي، ووعده براتب سنوي كبير، كما تبناه كابنه، وأنعم عليه بالقيادة العليا للجيش الإمبراطوري(٦٨٨). وهكذا، نرى أن قادة القوط أصبح لهم دورًا في السياسة الداخلية البيزنطية، هذا من ناحية. كما أن زينو جلب على نفسه عداوة ثيودريك استرابو من ناحية أخرى.

وكان لابد لثيودريك استرابو أن يرد ردًا عسكريًا عنيفًا على السياسة التي اتبعها الإمبراطور زينو ضده، فأقدم على نهب منطقة تراقيا، كما تقدم إلى مدينة القسطنطينية فنهب ضواحيها حتى مصب البحر الأسود، ولم يثنه عن التوقف عن هذه الأعمال التخريبية سوى ما قاله بعض المؤرخين من أنه

---

(686) Valesiani A.: op.cit., vol. 3, p. 535: Cf. also, Moorhed: op.cit., p. 16; Brian Croke: Count Marcellinus and His Chronicle, (Oxford, 2001), p. 62. Cf. also, Norwich J.J: Byzantium, (N.Y., 1981), p. 179.

(687) Wolfram: op.cit., p. 200.

(688) Valesiani: op.cit., vol. 3, p. 539; John of Nikiu: op.cit., vol. I, p. 7. Cf. also, Bradley: op.cit., p. 139; Bury: op.cit., vol. I, p. 413; Cam – Med. His., vol., I, p. 437, 474; William G. S.: op.cit., p. 463; Heather: op.cit., p. 158.

تعرض لمؤامرة من قبل أقاربه- لا نعرف الهدف منها- فعاد وتمكن من القضاء عليها[٦٨٩].

ويذكر البعض أن ثيودريك ارتكب أعمال إجرامية فظيعة في تراقيا، مثل قطع اليد اليمنى للأسرى الذين وقعوا في قبضته، حتى لا يعودوا للقتال ضده مرة أخرى[٦٩٠].

ولكن عندما بدأت المؤن التي نهبها ثيودريك استرابو- من التراقيا- في النفاد، ولاح في الأفق أنه سيكون من الصعب الحصول على الطعام للجيش، والرواتب لقادته، فقد أرسل سفارة للإمبراطور زينو لطلب السلام وتولي قيادة الجيش، ويومها راحت السفارة تذكر الإمبراطور بأن الضرر الذي سببه ثيودريك استرابو للإمبراطورية كان أقل بكثير من الضرر الذي سببه ثيودريك بن ثيوديمير مع أنه قائد وصديق[٦٩١].

وعندما طرح زينو مسألة السلام على ثيودريك استرابو على مجلس الشيوخ، طالبًا النصيحة، أجابوا عليه بأن خزانة الدولة لا توجد بها موارد مالية تكفي لتقديم الإعانات والأجر إلى الثيودريكين، ثم تركوا له الأمر ليقرر أي الفريقين يجب عليه أن يختاره كصديق وحليف، وعند ذلك، استدعى زينو قواته، وكمحاولة لإثارة حماسهم، وجه خطبة نارية إليهم ضد ثيودريك استرابو، ومن جملة ما قاله: "لقد استدعيتكم الآن راغبًا في سماع وجهة نظركم في تلك المسائل، لأنني على يقين من أن الأباطرة الذين يتقاسمون الرأي مع جندهم يعملون بأمان"، فأجاب الجنود بأن ثيودريك استرابو ومن يقف إلى جانبه "أعداء

---

(689) Theophanes: op.cit., p. 194.

الذي يذكر أن هذه الأحداث وقعت سنة ٤٧٧/٤٧٨.

(690) Bradley: op.cit., p. 139.

(691) Malchus: op.cit., vol. II, p. 421. Cf. also, Jones: op.cit., p. 225; Heather: op.cit., p. 159.

للرومان"[٦٩٢]. وهكذا، فقد رفض زينو السلام مع ثيودريك استرابو، وتمسك بتحالفه مع ثيودريك بن ثيوديمير.

ومهما يكن من أمر، فإن زينو لم يقطع محادثات السلام مع ثيودريك استرابو على وجه السرعة، وعند ذلك، كتب ثلاثة من أصدقاء استرابو تقريرًا له عما يحدث داخل القسطنطينية، كما أرسلوا له خطابات أخرى باسم موظفين كبار في المدينة، في محاولة منهم للإيحاء بأن له العديد من الأصدقاء هناك، وعندما اكتُشفت المسألة أُلقى القبض عليهم وعوقبوا بالجلد والنفي[٦٩٣].

ويعلق أحد المؤرخين المعاصرين على رفض زينو للسلام مع استرابو موضحًا أن زينو اعتقد أن رغبة استرابو في السلام كانت علامة على ضعفه، ولهذا رفض العرض الذي تقدم به، وأعطى أوامر إلى قادته بمتابعة القتال ضده، ولكن قوط استرابو قاوموا بكل قوة، وتمكنوا من هزيمة القوات الرومانية[٦٩٤].

وهنا عندما وجد زينو أن قوة ثيودريك استرابو آخذة في الزيادة لاسيما عندما التف حوله جمع غفير من القوط- في ذلك الوقت- وأنه أصبح يمثل خطرًا على القسطنطينية- هذا في الوقت الذي راحت فيه قوة ثيودريك بن ثيوديمير تتضاءل- لجأ لإقامة السلام مع ثيودريك استرابو، فأرسل إليه سفارة تعرض عليه الآتي:

أولاً: إرسال ابنه إلى مدينة القسطنطينية كرهينة.

ثانيًا: امتلاك المنطقة التي استولى عليها في تراقيا، بشرط الامتناع عن القيام بأية أعمال نهب وسلب في المستقبل.

---

(692) وللمزيد من التفاصيل انظر:

Malchus: op.cit., vol. II, P. 421, 423. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 413-414; Treadgold:op.cit., p. 158; Wolfram: op.cit., p. 186; Heather: op.cit., pp. 158-159.

(693) Malchus: op.cit., vol. II, p. 423.

(694) Bradley: op.cit., p. 140.

ثالثًا: أن يعيش (استرابو) على ممتلكاته كمواطن وقائد عسكري مميز بين شعبه.

رابعًا: يمكنه (استرابو) أن يعيش في سلام، ولن يتعرض لأي اعتداء طالما أنه لن يتسبب في ضرر لأحد(٦٩٥).

ولكن رد استرابو جاء مخيبًا للآمال، فقد رفض عروض الإمبراطور زينو، موضحًا أنه لن يسلم ابنه كرهينة، كما أنه لن يستطيع أن يعيش على ممتلكاته فقط، لأنه المسئول عن الإنفاق على جميع قومه، ومن ثم، فإن تلك الممتلكات لن تكفي، ولهذا سيقاتل إلى جانب شعبه، لتوفير لهم حياة كريمة(٦٩٦).

وتعليقًا على رفض استرابو لشروط السلام التي عرضها عليه زينو، يقول المؤرخ برادلي(٦٩٧): إن هذا الرفض لم يأت من فراغ بل يعود إلى شعور استرابو بمدى قوته، بسبب تزايد عدد قوطة، كما أنه كان لديه بعض من الأصدقاء في القسطنطينية، ولذلك لن يكون من الصعب عليه دخولها واعتلاء العرش البيزنطي، عندما يسعى إلى ذلك.

وعلى أية حال، راح الإمبراطور زينو يعد العدة لحملة عسكرية ضخمة ضد استرابو، فاستدعى القوت من جميع أنحاء الإمبراطورية، ولكنه استبعد قادته إلوس Illus ومارتنيانوس Martinianus من تولي قيادتها، لعجزهما عن التحكم فيها. وعند ذلك، أرسل سفارة إلى ثيودريك بن ثيودمير يطالبه بالقيام بواجباته كقائد روماني، وأن يتقدم على رأس قواته ضد ثيودريك استرابو، فرد ابن ثيوديمير بسفارة موضحًا لزينو أنه لن يقوم بأي عمل عسكري ضد استرابو ما لم يقسم هو ومجلس الشيوخ على عدم عقد معاهدة سلام مع استرابو، وعند ذلك أقسم أعضاء مجلس الشيوخ وكبار رجال الدولة بأنهم لن يقوموا بذلك ما لم

(695) Malchus: op.cit., vol. II, p. 427. Cf. also; Bury: op.cit., vol. I, p. 414; Heather: op.cit., p. 159.

(696) Malchus: op.cit., vol. II, p. 427; Jordon: op.cit., pp. 163-164. Cf. also, Heather; op.cit., p. 159.

(697) The Gothes, p. 140.

يكون زينو موافقًا، كما أقسم زينو على عدم كسر اتفاقه مع ثيودريك بن ثيوديمير ما لم يقم هو بذلك(٦٩٨).

وهكذا نجد أن الإمبراطور زينو كان يسعى لجعل المواجهة قوطية قوطية وليست قوطية بيزنطية، لقد كان يهدف إلى أن يقضي القوط بعضهم على بعض.

ومهما يكن من أمر فقد صدق ثيودريك بن ثيوديمير وعود الإمبراطور زينو، وتحرك تجاه تراقيا بقواته التي كانت محتشدة حول مدينة مرقيانوبوليس Markianopolis(٦٩٩). ولقد كان مقررًا- طبقًا لاتفاق زينو مع سفراء ثيودريك- أن يقابله قائد القوات التراقية بألفي فارس وعشرة آلاف جندي مشاة عند وصوله ممر جبل هاموس Haemus، وعندما يعبر إلى تراقيا فسوف تنضم إليه قوة أخرى عند مدينة أدريانوبل Adrianople، تتألف من عشرين ألفًا من المشاة وستة آلاف فارس، وإذا دعت الضرورة فسوف تُرسل إليه قوات إضافية. ولكن أثناء تقدم ثيودريك بن ثيوديمير لم تقابله أية قوات، وكانت المفاجأة أنه عندما وصل إلى المنطقة السهلية التي يحيط بها جبل سونديس Sondis وجد نفسه وجهًا لوجه مع ثيودريك استرابو، الذي كان فوق الجبل(٧٠٠). وهكذا، اتضحت خطة زينو.

وإجابة على سؤال حول سبب عدم مقابلة القوات البيزنطية لثيودريك بن ثيوديمير- كما كان متفقًا عليه-فقد تباينت آراء المؤرخين في ذلك. فجونز(٧٠١) أشار أنه ولأسباب غير معروفة لم تظهر القوات البيزنطية. في حين يقول

---

(698) Malchus: op.cit., vol. II. P. 427, 429. Cf. also Burey: op.cit., vol. I, p. 414.

(699) مرقيانوبوليس: مدينة رومانية تقع في بلغاريا في Reka Devnia، على بعد ٣٠ كم غرب فارنا Varna على الطريق إلى الدانوب. انظر:
Alexander: op.cit., vol. II. Pp. 1301-1302.

(700) وللمزيد من التفاصيل. انظر:
Malchus: op.cit., vol. II, 429. Cf. also, Burns: op.cit., pp. 57-58; Heather: op.cit., p. 159; Bradley: op.cit., p. 141.

(701) The Later Roman Empire, vol. I, p. 226.

مؤرخ آخر: إن عدم مقابلة القوات البيزنطية لثيودريك إما أن يكون نقصًا في التدريب أو خيانة(٧٠٢). والباحث من جانبه يتفق مع الرأي الأخير. فبدون شك كان عدم ظهور القوات البيزنطية مقصودًا، لقد كان زينو يأمل في التخلص من الرجلين بضربة واحدة. وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين بقوله: إن النزاع بين قادة القوط وصل إلى ذروته في سنة ٤٧٧-٤٧٨م، عندما وجدا نفسيهما مخدوعان بواسطة الإمبراطور زينو في تراقيا(٧٠٣).

وعلى أية حال، كان ثيودريك بن ثيوديمير في وضع لا يحسد عليه، فقد كان من الصعب بل والمستحيل مهاجمة استرابو على قمة الجبل، كما كان من الصعب الارتداد بسبب الظروف الصعبة لقواته، ولذلك بقى لعدة أيام دون اتخاذ قرار، وربما كان الأمل ما يزال يراوده في وصول قوات الحلفاء البيزنطيين(٧٠٤).

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من حدوث بعض الاشتباكات بين الجانبين، وحدوث أعمال نهب وسلب، فقد مال ثيودريك استرابو إلى السلم، ولذلك على مدى يومين متعاقبين كان يقترب من معسكر ثيودريك بن ثيوديمير ويتحدث بأعلى صوته موضحًا له أن افتقاده إلى الخبرة قد أودى بشعبه إلى التهلكة، كما أنه لا يفهم عقلية الرومان لأنهم "في الوقت الذي يحتفظون فيه بالسلام، يرغبون في أن يمزق القوط كلاهما الآخر.....". ثم راح يسأله عن سبب ترمل النساء، وعن الفقر الذي حل بأغنياء شعبه، ثم صاح في النهاية قائلاً: "لماذا، أيها المجرم، تعمل على تحطيم الشعب الذي أنتسب إليه؟"(٧٠٥).

إن مثل هذه الكلمات كانت لابد وأن تؤدي إلى حدوث تذمر بين قوط ثيودريك بن ثيوديمير، ولذلك كان مضطرًا- نزولاً على رغبتهم- لعقد اتفاقية سلام مع ثيودريك استرابو، نصت على عدم دخول كلاهما في حرب ضد

---

(702) Cam. Med. His., vol. I, p. 474.

(703) Croke B.: op.cit., p. 62.

(704) Bradley: op.cit., p. 141.

(705) Malchus: op.cit., vol. II, p. 429, 431. Cf. also, Bradley: op.cit., p. 141: Bury; op.cit., vol. I, p. 415; Jones: op.cit., p. 226.

الآخر، وأقسما على الالتزام بهذه الاتفاقية[٧٠٦]. ويذكر المؤرخ بيــوري[٧٠٧] أن هذه الاتفاقية وقعت سنة ٤٧٨م.

وهكذا، جاءت الرياح بما لا تشتهي سفن الإمبراطور زينو، ففي الوقت الذي كان ينتظر فيه قدوم أخبار عن معركة حاسـمة بـين القـوطيين، جاءتـه الأخبار باتفاقهما معًا، وأصبح لكلاهما مطالب لديه، بل وأصبح واضحًا للعيـان أن "الكلب لن يأكل الكلب"، كما قال بعض المؤرخين المحدثين[٧٠٨].

وهكذا استطاع الثعلب العجوز أن يقنع الأسد الشاب أن عملهما يقتضـي اتحادهما معًا[٧٠٩].

وفي سنة ٤٧٨م[٧١٠] وصلت سفارتي ثيودريك بن ثيوديمير وثيودريـك استرابو إلى القسطنطينية، ويومها اتهم ابن ثيوديمير الإمبراطور زينـو بعـدم أمانته، وأخبره أنه لم يتوصل لاتفاق مع استرابو إلا بعد عدم تلقيه القوات التـي وعدت بها بيزنطة، وطالب بالآتي:

أولاً: أن يخصص له الإمبراطور منطقة في البلقان يعيش فيها مع شعبه.

ثانيًا: أن يزوده بكميات كافية من القمح لإعاشة قواته حتـى موعـد الحصـاد التالي.

ثالثًا: أن يحصل على نصيبه من دخل الدولة- وبأقصى سرعة ممكنة- باعتباره قائد روماني، وأوعز أنه- في حالة عدم تنفيذ هذه المطالب- لن يكـون قادرًا على كبح جماح جنوده عن النهب، لكي ينفقوا على أنفسهم[٧١١].

---

(706) Malchus: op.cit., vol. II, p. 431.

(707) History of The Later Roman Empire, vol. I, p. 415; William G.: op.cit., p. 463.

(708) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، (القاهرة، ١٩٥٧م) ص٥٠.

(709) هامرتن أ. ج: تاريخ العالم، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ج٤، (القاهرة، د.ت)، ص٢٧٣.

(710) Moorhed: op.cit., p. 16.

(711) Malchus: op.cit., vol. II, p. 431; Gordon: op.cit., p. 166. Cf. also, Jones: op.cit., p. 226.

أما بخصوص ثيودريك استرابو فقد طالب بالآتي:

أولاً: تنفيذ الاتفاقية التي عقدت مع الإمبراطور ليو الأول سنة ٤٧٣م حرفيًا.

ثانيًا: حصوله على مستحقاته المالية التي لم يحصل عليها منذ سنة ٤٧٦م، والاستمرار في دفعها بعد ذلك.

ثالثًا: أن يتم تسليمه كل أقاربه الموجودين في القسطنطينية، وإذا كانوا قد ماتوا فيجب على القائد إلوس ورفاقه أن يقسموا على ذلك[٧١٢].

وعلى كل، في الوقت الذي صمتت فيه كتب التاريخ عن الإشارة إلى رد زينو على مطالب ثيودريك استرابو[٧١٣]، فقد ذكرت أن الإمبراطور الخائن لم يكن أمامه سوى اللجوء لرشوة أحد الحلفاء ليخون الآخر[٧١٤]، وهذا الحليف هو ثيودريك بن ثيوديمير، الذي رد عليه زينو متهمًا إياه بالخيانة، لأنه وعد بدخول الحرب منفردًا ضد استرابو، ثم طلب قوات رومانية، ولكنه تصالح سرًا معه[٧١٥]. والحقيقة، أن الإمبراطور هنا يحاول أن يبرر موقفه لثيودريك بن ثيوديمير.

ومهما يكن، فقد وعد الإمبراطور ينو ثيودريك بن ثيوديمير بأنه إذا أعلن الحرب على استرابو، فإنه سيعطيه- إذا انتصر عليه- ١٠٠٠ جنيه من الذهب، و٤٠٠٠٠ ألفًا من الفضة، وإعانة مالية سنوية تقدر بحوالي ١٠,٠٠٠ آلاف نوميزماتا Nomismata[٧١٦]، ويد ابنة أوليبريوس، أو أية سيدة أخرى يرغب في الزواج منها من نساء الطبقة الأرستقراطية، ثم أنعم زينو على

---

(712) Malchus: op.cit., vol. II, p. 431.
أقاربه هم عائلة أسبار. انظر:
Cam. Med. Hist., vol. I, p. 475.

(713) Bury: op.cit., vol. I, p. 415; Gordon: op.cit., p. 167.

(714) Bradley: op.cit., p. 142.

(715) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433.

(716) النوميزما Nomisma: كلمة تعني في الغالب "عملة" ولكنها تستخدم بصفة خاصة لقياس العملة الذهبية بـ٢٤ قيراط، وهي التي شكلت أساس العملة في نهاية الإمبراطورية الرومانية وبيزنطة. انظر:
Alexander: op.cit., vol. II, p. 1490.

أعضاء السفارة ببعض الرتب، وبعث بعد ذلك بسفارتين لثيودريك بن ثيوديمير لاستمالته إلى جانبه، ولكن جهوده ضاعت سدى(٧١٧).

وعند ذلك راح زينو يستعد للحرب، وأعلن عن توليه القيادة بنفسه، وراح يحث الجنود على القتال، ومن ثم، فإن هذا الهدف خلق حماسًا شديدًا بين الجنود، الذين نجحوا- آنذاك- في إلقاء القبض على جواسيس ثيودريك بن ثيوديمير. ولكن في اللحظة الأخيرة تراجع زينو عن قيادة الجيش، فهددوا بإعلان الثورة وخلعه، ولم ينقذ الموقف سوى عودة القوات لسكناتها الشتوية(٧١٨). وعن سبب تخلي الإمبراطور زينو عن قيادة الجيش، يقول بعض المؤرخين: "إنه كان مترددًا، جُبل على الجبن الذي كان يميز شخصيته"(٧١٩). وربما وجد- أيضًا- أن المواجهة مع القوط- متحدين- لن تكون في صالحه.

وعندما سرح زينو قواته، وجد أنه من الواجب عليه تطييب خاطر ثيودريك استرابو، وعقد اتفاقية سلام معه بالشروط التي يوافق عليها، ولذلك عندما وصلت سفارة زينو إلى ثيودريك استرابو، عُقد السلام بين الطرفين بالشروط الآتية:

أولاً: أن يتعهد زينو بتقديم المؤن والرواتب لثلاثة عشر ألفًا من أتباع ثيودريك.

ثانيًا: أن يتم تعيين استرابو قائدًا لفرقتي الحرس الإمبراطوري Scholae، وبمعنى آخر منصب سيد الجند في حضور الإمبراطور.

ثالثًا: يتسلم استرابو جميع أملاكه السابقة.

رابعًا: يتم تعيينه حاكمًا عسكريًا.

---

(717) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433; Bury; op.cit., vol. I, p. 415; Cam. Med. His., vol. I, p. 476.

يذكر بيوري أن ابنه أوليبريوس- الإمبراطور الغربي- هي جوليانا Juliana.

(718) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433; Gordon: op.cit., pp. 167-168.

(719) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433.

خامسًا: فيما يتعلق بأقارب استرابو، فقد ذُكرَ أنهم إذا كانوا قد ماتوا، فالمسألة تعد منتهية، أما إذا كانوا أحياء فيجب أن تعطي لهم كل ممتلكاتهم، وأن يستوطنوا المدينة التي يحددها لهم زينو(٧٢٠).

ولم يتوان زينو عن تنفيذ هذه الاتفاقية، فقام على الفور بعزل ثيودريك بن ثيوديمير من منصبه "كسيد الجند" وعين استرابو بدلاً منه، كما أرسل الأموال- على وجه السرعة- إلى قوات استرابو(٧٢١).

وتعليقًا على هذه الاتفاقية يقول أحد المؤرخين المحدثين: عندما فشل زينو في شراء ابن ثيوديمير ضد استرابو سعى لشراء استرابو، وفي هذه المحاولة كلل بالنجاح، فثيودريك استرابو الذي تحدث عن الجهل والخبث والبيع للأعداء والحرب بين الإخوة، لم يكن يمانع في التحالف مع بيزنطة ضد قومه، إذا كان السعر المعروض مغريًا(٧٢٢). والباحث من جانبه يرى أن الإمبراطور زينو كان يسعى بكل قوة لعدم حدوث تحالف بين الثيودريكين، لاسيما وأن ذلك سيمثل خطورة عسكرية على الأراضي البيزنطية في البلقان، ومن ثم، كان يلعب مع الطرفين بالمال والمناصب التي كان يشتهيها القوط.

وطبيعي كان لابد أن يؤدي اتفاق ثيودريك استرابو مع الإمبراطور زينو إلى غضب ثيودريك بن ثيوديمير، بسبب خيانته من قبل زينو(٧٢٣). فتقدم على رأس قواته إلى المنطقة القريبة من جبال رودوب Rodope، وأعمل النهب والسلب في أراضي الفلاحين وقتل الكثير منهم. والجدير بالذكر أنه عندما علم ثيودريك استرابو بذلك قال: "إنني سعيد بما يحدث حتى الآن، لاسيما وأن الشخص الذي يرتكب هذه الأفعال كان يسمى، يومًا ما "صديق" و"ابن"(٧٢٤).

---

(720) Op.cit., vol. II, p. 435. Cf. also, Burns: op.cit., p. 58; Jones: op.cit., vol. I, p. 226.

(721) Malchus: op.cit., vol. II, p. 435. Cf. also, Bury: op.cit., p. 416.

(722) Bradley: The Goths, p. 142.

(723) Burns: op.cit., p. 58.

(724) Malchus: op.cit., vol. II, p. 435.

ولكن تحت ضغط القوات الرومانية، التي سببت خسارة كبيرة لثيودريك في الأرواح، فقد تقدم إلى مقدونيا مخلفاً وراءه الخراب والدمار، فانقض على مدينة ستوبي (في شمال مقدونيا)، أول مدينة قابلته هناك، وقام بذبح حاميتها، لاسيما عندما قاومته، ثم تقدم تجاه مدينة سالونيكا، التي اشتعلت الثورة بها- آنذاك- لأن سكانها أيقنوا أن زينو يرغب في تسليم مدينتهم إلى القوط، وانتهت الثورة بعزل يوحنا، حاكم المدينة، وتسليم مفاتيحها إلى كبير الأساقفة، واستعدوا للدفاع عنها(٧٢٥). وهذا دليل واضح، كما ذكر بعض المؤرخين، على أن شعب مدينة سالونيكا فقد الثقة في الحاكم العلماني، ولذلك اعتبروا رجال الكنيسة هم الذين يمكن أن يدافعوا عنهم ضد الظلم الإمبراطوري(٧٢٦).

وعندما شعر زينو بخطورة الموقف في البلقان، سعى لعقد اتفاقية مرضية مع ثيودريك بن ثيوديمير، فبعث إليه بسفارة، وبعد عتاب طويل من قبل أعضاء السفارة له على عدم محافظته على ثقة الإمبراطور فيه، طالبوه بالتوقف عن التخريب في أراضي الإمبراطورية، وبإرسال سفارة :لكي تهدئ غضب الإمبراطور"، فاستجاب لرأي السفارة، ولكن على الرغم من أنه كبح جماح قواته عن النهب والسلب والقتل، فقد حدثت بعض التجاوزات، بسبب حاجة القوات إلى المؤن. في غضون ذلك، نجت مدينة هيراكلية والأراضي المجاورة لها من مذبحة مروعة، وذلك لأن أسقف المدينة قدم لثيودريك وقواته الكثير من الهدايا، عندما وصلوا إلى هناك(٧٢٧).

أما بخصوص سفارة ثيودريك بن ثيوديمير التي وصلت إلى القسطنطينية- في ذلك الوقت- فقد استجاب الإمبراطور زينو لمطالبها المتعلقة بإرسال سفارة- على وجه السرعة- لثيودريك لوضع النقاط على الحروف. ولذلك عندما تقابل أدمانيتوس Adamentius، سفير زينو، مع ثيودريك-

---

(725) Op.cit., vol. II, p. 437. Cf. also, Burns: op.cit., p. 58.

(726) Bury: op.cit., vol. I, p. 416.

(727) Malchus: op.cit., vol. II, p. 437; Gordon: op.cit., p. 170. Cf. also, Croke B.: op.cit., p. 62.

ويذكر أحد المؤرخين أن هذه الحوادث وقعت سنة ٤٧٩م. انظر:

Treadgold: op.cit., p. 159.

بالقرب من سالونيكا- عرض عليه الاستقرار في بوتاليا Pautalia(٧٢٨)، والحصول على مائتي جنيه من الذهب لمعونة قواته خلال عام ٤٧٩م، لأنه لن يكون هناك حصاد في غضون ذلك(٧٢٩). وهذا يعني أن هذه الأحداث وقعت في النصف الثاني من عام ٤٧٩م.

والسؤال: لماذا اختار الإمبراطور بوتالي لكي يتنازل عنها لثيودريك بن ثيوديمير؟

يجيب على هذا السؤال المؤرخ البيزنطي مالخوس(٧٣٠)- مؤرخ هذه الفترة- موضحًا أن هدف زينو من اختيار بوتاليا كان لوضع ثيودريك بن ثيوديمير على مقربة من ثيودريك استرابو، فإذا ما ثار الأخير تصدى له الأول، كما أنه إذا نقض بن ثيوديمير اتفاقه مع بيزنطة وأعلن الثورة فسيكون من السهل القضاء عليه، لوقوعه بين القوات الأليرية والتراقية.

وعلى أية حال، لقد رفض ثيودريك بن ثيوديمير عروض الإمبراطور زينو، وذلك لأنه كان يدرك أن الأراضي التي تناسبه للاستقرار فيها توجد بساحل الأدرياتيك، وذلك لجودتها(٧٣١).

وعندئذ، بعث ثيودريك بن ثيوديمير إلى سيديموند Sidimund- قوطي كان يعيش في منطقة أبيروس Epirus(٧٣٢)- يطلب منه مساعدته في الاستيلاء على مدينة أبيدامنوس Epidamnus، (دبراخيوم Dyrrhachium) (دوراز

---

(728) بوتاليا: مدينة تقع على الطريق بين ستوبي وسرديكا، في إقليم داردانيا، ولم تكن إقليمًا. انظر:

Malchus: op.cit., vol. II. P. 460 (not. 47).

(729) Malchus: op.cit., vol. II, 439. Cf. also, Burns: op.cit., p. 59; Bury: op.cit., vol. I, pp. 416-417; Bradley: op.cit., p. 143.

(730) In Fragmentary Classicising Historians, vol. II, p.439. Cf. also, Gorden: op.cit., p. 171.

(731) Burns: op.cit., p. 59.

(732) أبيروس: إقليم روماني يقع في جنوب غرب اليونان، على ساحل البحر الأيوني، Ionain. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 147.

Durazzo)، على ساحل الأدرياتيك، ليتخذها موطنًا له، بسبب حصانتها وبالفعل تمكن سيديموند من إقناع أهلها- عن طريق الخديعة- أن الإمبراطور زينو تنازل عن مدينتهم للقوط، فقاموا بإخلائها على وجه السرعة[٧٣٣].

وعندما وصل سفير سيديموند إلى ثيودريك بن ثيوديمير، ليخبره أن المدينة أصبحت مهيأة لاستقباله، غادر المنطقة على الفور، ولكن بعد أن حرق قسمًا كبيرًا من مدينة هيراكلية، لاسيما بعد أن رفض سكانها تزويده بالمؤن. ثم تقدم على رأس قواته عبر طريق اجناتيا، الذي يخترق جبال سكاردوس Scardus، فوصل إلى ليكنيدوس Lychnidus[٧٣٤]، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها بسبب حصانتها، ومقاومة أهلها، ورغبة في عدم التأخير، فقد واصل مسيره، حيث استولى على مدينة سكامبه Scampae[٧٣٥]. وفي النهاية، عندما وصل إلى مدينة ابيدامنوس، فقد استولى عليها بسهولة، لاسيما وأن حاميتها التي كانت تقدر بحوالي ٢٠٠٠ جندي كانت قد غادرتها آنذاك[٧٣٦].

وعلى كل، عندما علم أدامانتيوس باحتلال ثيودريك بن ثيوديمير لمدينتي سكامبة وأبيدامنوس، أرسل إليه سفارة على وجه السرعة، حيث أخبره أنه ما كان يجب عليه أن يقوم بأية أعمال مناقضة لوعوده السابقة، كما طالبه بالتوقف عن أعماله العدوانية والبقاء في مكانه حتى يصل إليه، وطالبه أيضًا بأن يرسل إليه سفارة لتقديم الالتزامات بضمان سلامته (سلامة أدامانتيوس) [٧٣٧].

---

(733) Malchus: op.cit., vol. II, p. 439, 414. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 414; Heather: op.cit., p. 161.

(734) ليكنيدوس (ليكاندوس Likandos): قلعة في جبال أنتيتوروس Antitaurus جنوب شرق البيستان Elbistan. Alexander: op.cit., vol. II, p. 1258، في حين يقول البعض أنها مدينة بنيت في موضع حصين على ساحل بحيرة أوكريدا Ochrida. انظر: Bury: op.cit., I, p. 417. (not. 2).

(735) سكامبة: مدينة هامة جدًا تقع بين ليكنيدوس وديراخيوم. انظر: Bury: op.cit., vol. I, p. 417.

(736) وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث. انظر: Malchus: op.cit., vol. II, p. 441, 443; Gordon: op.cit., pp. 171-173. Cf. also, Burns: op.cit., p. 59; Bury: op.cit., vol. I, 417.

(737) Malchus: op.cit., vol. II, p. 443; Gordon: op.cit., p. 173.

غادر أدمانتيوس مدينة تسالونيكا، فصول إلى مدينة الرها Edessa(٧٣٨)، وعندما تقابل هناك مع سابينيانوس Sabinianus سلمه منشورًا من قبل زينو لتعيينه قائدًا عسكريًا لأليريا بدلاً من أونولف Onulf. وخلال المناقشات التي دارت بين أدامانتيوس وسابينيانوس اتضح عدم إمكانية مهاجمة ثيودريك بن ثيوديمير دون حشد جميع القوات المبعثرة في الإقليم، ومن ثم صدرت الأوامر باستدعاء تلك القوات. وفي غضون ذلك كان السفير الذي أرسله أدامانتيوس قد عاد وبصحبته سفير ثيودريك، الذي وعد أدامانتيوس بضمان سلامته(٧٣٩).

ولكن يبدو أن أدامانتيوس كان يشك في نوايا ثيودريك بخصوص ضمان سلامته، فأرسل إليه سفارة تطالبه بأن يقابله في مكان قريب من ليكنيدوس، أما إذا رغب في أن تكون المقابلة في مدينة أبيدامنوس فعليه أن يرسل بعض الرهائن إلى مدينة ليكنيدوس، على أن يتم إطلاق سراحهم بعد عودته، فوافق ثيودريك، ولكن بشرط أن يقسم سابينيانوس على ضمان عودة الرهائن، غير أن سابينيانوس رفض، ولذلك لم يرسل ثيودريك الرهائن وتأزم الموقف بين الطرفين(٧٤٠).

والحقيقة، أنه إذا كان مالخوس(٧٤١) قد ذكر أن السبب في عدم قيام سابينيانوس بأداء اليمين هو "أنه لم يقسم من قبل بخصوص أي موضوع، وأنه لن يغير مبادئه"، كما قال سابينيانوس نفسه، فربما يكون ذلك هو السبب المعلن فقط، أما السبب الخفي فهو رغبة سابينيانوس في فشل مساعي أدامانتيوس لإقامة السلام مع ثيودريك، ورغبة أيضًا في خوض الحرب ضد القوط، حتى ينال الرعاية من قبل زينو.

(738) الرها: تقع في جنوبي مقدونيا على طريق أجناتيا، وتتحكم في الدخول إلى الجبال. كانت في القرن السابع عبارة عن أسقفية. ظهر اسمها السلافي الحديث فودينا Vodena لأول مرة عندما استولى باسيل الثاني على حصن فروريون Phrourion سنة ١٠٠١م. انظر:
Alexander: op.cit., vol. III, p. 2185.

(739) Malchus: op.cit., vol. II, p. 443.

(740) Op.cit., vol. II, p. 445. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 418.

(741) In Fragmentary Classicising Historians…, vol. II, p. 443, 445.

ولكن كيف تخلص أدامانتيوس من هذا المأزق؟. تقول الرواية التاريخية أن الرجل اصطحب معه مائتي جندي، ومع غروب الشمس، تسلق ممرات وعرة لم تطأها حوافر الخيل من قبل، حتى وصل إلى إحدى القلاع الحصينة، والتي كان يفصلها عن مدينة أبيدامنوس خندق عميق يتدفق الماء خلاله، وإلى هناك- وبناء على رسول أدامانتيوس- وصل ثيودريك بن ثيوديمير، في عدد قليل من رجاله إلى الضفة الأخرى للخندق(٧٤٢).

ودارت بين الرجلين محادثة، لن نخوض في تفاصيلها الطويلة، وخلاصتها أن ثيودريك بن ثيوديمير ألقى باللائمة على الإمبراطور زينو، لأنه لم يف بوعوده معه، لاسيما الوعود الخاصة بحملته ضد ثيودريك استرابو، ولذلك كان مضطرًا لإقامة السلام معه. أما ادامنتيوس فقد راح يذكر ثيودريك بالوظائف التي أنعم بها زينو عليه، والتي لا يحصل عليها سوى القادة الرومان الكبار، كما اتهمه أيضًا بأنه تصرف بحماقة عندما استولى على المدن البيزنطية في الوقت الذي كان ينتظر فيه قدوم سفارة زينو، وفي النهاية، راح أدامانتيوس يطالب ثيودريك بمغادرة جميع المدن التي استولى عليها، بما فيها، أبيروس والاستقرار في داردانيا Dardania، بإقليم أليريا، حيث توجد هناك منطقة واسعة تربتها خصبة، وخالية من السكان، وستكون كافية لمساعدة قواته(٧٤٣).

وبالتأكيد، كان البيزنطيون يسعون لإبعاد القوط الشرقيين عن المدن الواقعة بالبلقان، على السواحل الشرقية للأدرياتيك، لأن ذلك ربما يفصل بينهم وبين إيطاليا.

وعلى أية حال، في الوقت الذي أبدى فيه ثيودريك استعداده لقبول عرض ادامنتيوس، فقد ذكر أن أتباعه- وبسبب الأخطار العديدة التي تعرضوا لها- سيتمسكون بقضاء الشتاء في أبيروس، وهو من جانبه لن يسمح لهم بالإغارة على أية مدن أخرى، كما عرض ثيودريك أنه إذا سُمح له بقضاء

---

(742) Malchus: op.cit., vol. II, p. 445; Gordon: op.cit., pp. 174-175.

(743) وللمزيد من التفاصيل انظر:

Malchus: op.cit., II, p. 445, 447, Gordon: op.cit., pp. 175-176. Cf. also, Bury: op.cit., vol, I, pp. 418-419.

الشتاء في أبيدامنوس فإنه سيرحل إلى داردانيا في الربيع التالي(٧٤٤). وأضاف أنه على استعداد أن يترك أمتعته والمدنيين من قومه في أية مدينة يختارها الإمبراطور زينو، وأن يقدم والدته وأخته كرهائن- لإظهار حسن نيته- وذلك في مقابل السماح له بخوض الحرب ضد ثيودريك استرابوا بـ ٦٠٠٠ آلاف من خيرة قواته وبمساعدة الجيش البيزنطي، ولكن بشرط، أنه عندما يقضي على قوط استرابو في تراقيا، فيجب أن يُعين قائدًا عسكريًا بدلاً من استرابو، وأن يستقبل في مدينة القسطنطينية كما لو كان مواطنًا رومانيًا. كما عرض أنه مستعد- إذا أمر زينو- أن يذهب إلى دالماشيا Dalmatia، لإعادة الإمبراطور الغربي نيبوس (٤٧٣-٤٧٥م) Nepos، المنفي هناك بواسطة أورستيس Orestes، الذي استولى على العرش الإيطالي آنذاك. وعلى كل، لم يكن أدامنيتوس قادرًا على أن يعد بشيء، حيث كانت الضرورة تقتضي أن يرسل سفيرًا لزينو لاستشارته، وهكذا، انتهت المقابلة(٧٤٥). وإذا كانت لم تسفر عن أية نتائج تذكر، فقد أظهرت مدى الكراهية المتبادلة بين قوط تراقيا وقوط مقدونيا في البلقان.

ولكن ثيودريك بن ثيوديمير تعرض، في غضون ذلك، لضربة موجعة، حيث ذكرت المصادر التاريخية أنه أثناء التفاوض مع أدامنتيوس، انقض سابينيانوس بقواته على مؤخرة الجيش القوطي، التي كان يتولى قيادتها، ثيوديموند، أخ ثيودريك، والتي لم تكن قد وصلت بعد إلى مدينة أبيدامنوس (ديراخيوم)، فأنزل بها هزيمة قاسية، واستولى على أمتعتها، وعلى عربات النقل

(744) Gordan: op.cit,. p. 176. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 420; Jones: op.cit., vol. I, pp. 226-227.

(745) Malchus: op.cit., vol. II, p. 447. Cf. also, Jones: op.cit., p. 227; Burns: op.cit., p. 63; Norwich: op.cit., pp. 171-172.

وينفرد أحد المؤرخين المحدثين بذكر، أن ثيودريك عرض على أدامانتيوس استخدام الـ ٦٠٠٠ ألف جندي لإعادة الاستيلاء على إيطاليا من أودواكر. انظر:

Heather: op.cit., p. 161.

التي بلغت ٢٠٠٠ عربة، وأسر حوالي ٥٠٠٠ آلاف. ويومها أفلت ثيوديموند ووالدته من الوقوع في الأسر بإعجوبة(٧٤٦).

وبعد القضاء على مؤخرة الجيش القوطي، تلقى الإمبراطور زينو سفارتين، إحداهما من ادامانتيوس، تعرض اقتراحات ثيودريك ابن ثيوديمير، والأخرى من القائد سابينيانوس بالغت في انتصاره، وأعلنت للإمبراطور أنه ليست هناك حاجة لإقامة سلام مع القوط، وذكرت له السبب، وهو إما طردهم من البلقان، أو إضعافهم لأقصى درجة(٧٤٧).

واختار زينو طريق الحرب، وذلك لأنه- كما ذكر بعض المؤرخين المحدثين- لم تكن لديه نية لاستبدال قائد قوطي بآخر(٧٤٨). كما أن الحرب أفضل له بكثير من السلام المخزي(٧٤٩)، فأصدر أوامره إلى سابينيانوس بمواصلة القتال ضد ثيودريك بن ثيوديمير، واستدعى أدامانتيوس من مدينة ليكنيدوس(٧٥٠).

وبالفعل استطاع سابينيانوس محاصرة ثيودريك بن ثيوديمير في أبيروس، حتى تم اغتياله في سنة ٤٨٢م بأمر زينو نفسه(٧٥١).

ويعلق بعض المؤرخين على اغتيال سابينيانوس موضحًا، أن الإمبراطورية حُرمت من مجهود أحد القادة الرومان العظام، الذي كان يمكن أن يخلصها من القوط، لقد كان سابينيانوس بمثابة الشمعة المضيئة في النفق المظلم

---

(746) Malchus: op.cit., vol. II, p. 447, 449, Cf. also, Bradley; op.cit., p. 143, Wolfram: op.cit., p. 275; Burns: op.cit., p. 63.

ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الأحداث وقعت سنة ٤٧٩م. انظر:

Bury: op.cit., vol. I, p. 42.

ولكن ما هو مصير أخت ثيودريك؟ هذا ما لم تشر إليه كتب التاريخ، ويبدو أنها وقعت في الأسر.

(747) Gordon: op.cit., p. 178.

(748) Burns: op.cit., p. 63.

(749) Malchus: op.cit., vol. II, p. 449.

(750) Loc.cit. Cf. also, Croke B.: op.cit., p. 62.

(751) Burns: op.cit., p. 63.

في ذلك الوقت(٧٥٢). وربما كان زينو لا يرغب في قائد عسكري قوي، يمكن أن يقوم بثورة ضده في يوم ما.

وفي سنة ٤٧٩ قاد مارقيان Marcian(٧٥٣) ثورة في مدينة القسطنطينية كان الهدف منها الإطاحة بالإمبراطور زينو، ولكن بعد نجاح لم يدم سوى الليل تم القضاء عليها(٧٥٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، هل كان ثيودريك استرابو ضالعًا في هذه الثورة؟.

لقد أجاب الكثير من المؤرخين بأن ثيودريك استرابو كان ضالعًا في ثورة مارقيان، حيث وجد أنه من الأفضل التحالف معه بدلاً من زينو. ولكن المؤرخين لم يبينوا لنا نوع المساعدة التي قدمها ثيودريك إلى مرقيان. وبديهي أن ذلك يعود إلى صمت المصادر التاريخية. وفي الوقت نفسه يجب علينا أن ندرك أن ما دفع المؤرخين للقول بأن ثيودريك كان ضالعًا في ثورة مارقيان، هو هروب أخويه بركوبيوس Procopius ورومولوس Romulus، إلى ثيودريك، عندما تم القضاء على ثورة مارقيان(٧٥٥)، هذا من ناحية. وكذلك تقدم ثيودريك إلى القسطنطينية عندما سمع بالثورة، من ناحية أخرى(٧٥٦).

---

(752) John of Antioch- In Gordon: op.cit., p. 181. Cf. also, Croke B. op.cit., pp. 65-66; Wolfram: op.cit., p. 200.

(753) مارقيان: هو ابن الإمبراطور الغربي أنثيميوس Anthemus (٤٦٧- ٤٧٢)، وزوج ليونتيا Leontia، ابنة الإمبراطورة فرينا والإمبراطور ليو الأول. انظر:
Theophanes: op.cit., p. 193; Evagarius: op.cit., p. 161. (Not. 81).

(754) للمزيد من التفاصيل. انظر:
Candidus: op.cit., vol. II, p. 469; Theophanes: op.cit., p.193; Evagarius: op.cit., p.161.

(755) Heather: op.cit., p. 162; Bury: op.cit., vol. I, p. 421; Corke B.: op.cit., p. 63; Jones: op.cit., vol. I, p. 227; Treadgold: op.cit., p. 159; Cam. Med. His., vol. I, p. 476.

(756) Malchus: op.cit., vol. II, p. 451.

والجدير بالذكر، أن ثيودريك استرابو عندما تقدم على رأس قواته تجاه القسطنطينية أعلن "أنه يرغب في الدفاع عن الإمبراطور والمدينة" وهذا يكون السبب المعلن، أما السبب الخفي فهو "مهاجمة المدينة والإمبراطور"، ولقد كان الجميع يعلم هذه الحقيقة(٧٥٧).

وفي غضون ذلك، سعى زينو لمنع ثيودريك استرابو من دخول القسطنطينية، فبعث إليه برسول لكي يشكره على مروءته ويطالبه بالعودة إلى تراقيا، لأنه لم يعد في حاجة إلى مساعدته، لاسيما وأن دخوله المدينة سوف يزيد من مشاكلها الداخلية، ولكن ثيودريك الذي رد بأنه سينفذ طلبات الإمبراطور، راح يماطل متعللاً بأن قواته مجهدة، وأنه سيعود، ولكن بعد حصولها على قسط من الراحة. ولم يكن هذا هو السبب الحقيقي في مماطلة ثيودريك في العودة، بل السبب هو التأني، فربما يتمكن من الاستيلاء على القسطنطينية، ولقد كان زينو يدرك هذه الحقيقة. وفي النهاية أمكن شراء ثيودريك استرابو بالأموال، فقفل عائدًا، ولاسيما عندما أدرك أن دخوله المدينة سيؤدي لإشعال النار فيها من قبل الأيزوريين، بسبب كراهيتهم للقوط(٧٥٨)، وهكذا تمكن الإمبراطور زينو من إنقاذ مدينة القسطنطينية من خطر حقيقي محدق بها.

والحقيقة، أن مدينة القسطنطينية كان مقدرًا لها- كما نرى- أن تعيش في خطر دائم. فقد حدث وقتئذ أن طلب الإمبراطور زينو من ثيودريك استرابو أن يسلمه بروكبيوس ورومولوس ولكنه رفض مدعيًا أنه ليس من المناسب أن يسلم من لجأ إليه، ثم طلب من زينو أن يتغاضى عن هذا الموضوع، "لاسيما وأنهما لن يسببا له ولا لأي شخص آخر أية متاعب طول حياتهما"(٧٥٩).

---

(757) Loc. Cit.

(758) Malchus: op.cit., vol. II, p. 451, 453; Evagarius: op.cit., p. 16. (Not. 78).

(759) Malchus: op.cit., vol. II, p. 453; Gordon: op.cit., p. 179. Cf. also, Cam. Med. His., vol. I, 477; Heather: op.cit., p. 162.

والناظر يرى أن السبب الحقيقي في عدم تسليم بروكوبيوس ورمولـــوس ليس هو طلبهما اللجوء لدى القوط، كما ادعـــى ثيودريـــك ولكـــن الحقيقـــة أن ثيودريك أراد الاحتفاظ بهما كورقة ضغط على الإمبراطور زينو يستخدمها عند الطلب، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العلاقة بين الإمبراطور زينو وثيودريـــك استرابو كانت واهية ويمكن أن تسوء في أية لحظة.

وعلى كل، لقد جاء رد زينو سريعًا، فعندما وجد عدم حسن النية لـــدى ثيودريك عزله من مركز قيادة الجيش، الأمر الذي دفعه للتحالف مع ثيودريـــك بن ثيوديمير، وتم الاتفاق بينهما على مهاجمة الأراضي البيزنطية(٧٦٠). وتعليقًـــا على هذا التحالف، يقول أحد المؤرخين المحدثين: ربما خطط استرابو، بالتحالف مع عدوه القديم، لطرد زينو من مدينة القسطنطينية بمساعدة الجرمان الموجودين داخلها(٧٦١).

وبديهي، فقد أدى تحالف استرابو وابن ثيوديمير إلى شعور الإمبراطور زينو بالخطر، ولذلك- كما ذكر المؤرخ يوحنا النيقي- طلـــب المســـاعدة مـــن البلغاريين الموجودين في منطقة الدانوب الأدنى، ولكن ثيودريك استرابو انتصر عليهم، وعند ذلك تقدم بقواته تجاه مدينة القسطنطينية، سنة ٤٨١م، وكان يمكـــن أن يستولى عليها بسهولة، لو لم يتمركز إلوس بقواته على أبوابها قبل وصـــوله، ولذلك فشلت هجماته الأولى والثانية عليها، بسبب دفاع إلوس عنها. ومـــن ثـــم حاول العبور إلـــى بيثينيـــا Bithynia(٧٦٢)، ولكنـــه فشـــل، بســـبب هزيمتـــه البحرية(٧٦٣). وربما كان يأمـــل فـــي مهاجمـــة القســـطنطينية مـــن خلقدونيـــة

(760) John of Antioch. Fr. 211, in Gordon: op.cit., p. 180. Cf. also, Heather: op.cit., p. 162; Jones: op.cit., vol. I, p. 227; Bury: op.cit., vol. I, p. 421.

(761) Burns: op.cit., p. 64.

(762) بيثينيا: إقليم روماني في آسيا الصغرى، يقع بين أسيا، جالاتينا والبحر الأسود. انظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 57.

(763) John of Antioch. Fr. 211, in Gordon: op.cit., p. 180; Evagarius: op.cit., p. 160 (Not. 78). Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 159.

Clalcedon[٧٦٤]. ولكن القسطنطينية لم يكن من السهل الاستيلاء عليها بواسطة القوط، حتى ولو خربوا شبه جزيرة البلقان[٧٦٥].

وعندما فشل ثيودريك استرابو في الاستيلاء على مدينة القسطنطينية، عاد إلى تراقيا، ومن هناك توجه إلى بلاد اليونان عن طريق أجناتيا، ولكنه قتل سنة ٤٨١م في المكان المسمى ستابولا ديوميديس Stabula Diomedis (بين فيليبي وماكسيميانوبوليس Maximianoples). فخلفه ابنه ريسيتاتش Recitach وعماه في قيادة قوطه، الذين يقال أن عددهم كان حوالي ٣٠,٠٠٠ ألف رجل[٧٦٦].

ولقد تباينت آراء المؤرخين حول النتائج التي ترتبت على وفاة ثيودريك استرابو. فقال أحدهم: لقد تراجعت أخطار الغزو القوطي في البلقان إلى حد ما[٧٦٧]. في حين ذكر آخر، أن وفاة ثيودريك استرابو كانت تعني نهاية القيادة القوطية المزدوجة[٧٦٨]. كما تحرر ثيودريك بن ثيوديمير من منافسه الخطير

---

(764) Heather: op.cit., p. 162.

وخلقدونية: مدينة تقع في إقليم بيثينيا، على ساحل البوسفور، أمام مدينة القسطنطينية مباشرة. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 82.

(765) هامرتن: المرجع السابق، جـ٤، ص٢٧٣.

(766) John of Antioch. Fr. 211, in Gordon: op.cit., p. 18. Cf. also, Heather: op.cit., p.163.

وتذكر كتب التاريخ أن ثيودريك استرابو سقط من فوق جواده على الرمح الذي كان مغروسًا، وسنه لأعلى، أمام خيمته، فأصابه في جنبه، الأمر الذي أدى لوفاته. وللمزيد من التفاصيل، انظر:

Evagarius: op.cit., p. 160. Cf. also, Cork B.: op.cit., 63.

ولكن المؤرخ بورنس يذكر أن ثيودريك استرابو مات في إحدى المعارك سنة ٤٨١م، ولكن هذا الرأي بعيدًا عن الصواب. انظر:

History of The Ostrogoths, p. 63.

في حين يذكر أحد المؤرخين المحدثين أن ثيودريك مات سنة ٤٨٤م. انظر:

Ostrogorsky.: History of The Byzantine State, Tr., by Joan Hussey, (Oxford, 1968), p. 63.

(767) Treadgold: op.cit., p. 160.

(768) Wolfram: op.cit., p. 201.

والمزعج، كما قال مؤرخ ثالث[769]. كما ذكر البعض أنه منذ وفاة ثيودريك استرابو فصاعدًا أصبح ثيودريك بن ثيوديمير الحاكم الأوحد للقوط الشرقيين في البلقان ولذلك أصبح ذات سلطة مرعبة، ومن ثم كان من الضروري للإمبراطور زينو أن يعامله باحترام[770].

ومن ناحية أخرى يجب علينا أن ندرك أن الإمبراطور زينو قد تخلص أيضًا من أحد الزعماء القوط، الذي كان يحلم أن يجلس على العرش الإمبراطوري. وإذا كان زينو لن يجد الآن من يستخدمه ضد ثيودريك بن ثيوديمير، فعلى الأقل سوف يواجه عدو واحد.

وعلى أية حال، تقول كتب التاريخ، أن ريسيتاتش بن ثيودريك استرابو تخلص من عميه، ومن ثم حكم منفردًا في تراقيا، "وقام بالعديد من أعمال النهب والسلب، ربما أكثر من والده"[771].

وعلى الجانب الآخر، كان الإمبراطور زينو على موعد مع ثيودريك بن ثيوديمير. فبعد موت القائد العظيم سابينيانوس سنة ٤٨٢م انطلق ثيودريك من عقاله وأعمل النهب والسلب في مقدونيا وثيالي Thessaly[772]، واستولى على مدينة لاريسا Larissa. ويومها لم يتمكن يوحنا السكيثي وموسكيانوس Maschainus، قائدا الإمبراطور زينو- اللذان أرسلهما ضده- من كبح جماحه[773]. وربما يكون زينو قد تذكر- آنذاك- أنه أخطأ في التخلص من قائده العظيم سابينيانوس.

---

(769) Bradley: op.cit., p. 143.

(770) William G.: op.cit., p. 460; Cam. Med. His., vol. I, p. 438.

(771) John of Antioch. Fr. 213, in Gordon: op.cit., p. 181. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 421; Heather: op.cit., p. a63; Cam. Med. His., vol. I, p. 477.

(772) ثيسالي: تسمى باللاتينية ثيساليا Thessalia: إقليم يقع في وسط بلاد اليونان وجنوب مقدونيا، وشمال هيلاس Hellas، وإلى الشرق من أبيروس. وعاصمة مدينة لاريسا Larissa. انظر:

Alexander B.: op.cit., vol. III, p. 2073; Matthew B.: op.cit., p. 414.

(773) John of Antioch. Fr. 213: in Gordon, op.cit., pp. 180-181. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 421; Croke B.: op.cit., p. 63; Heather: op.cit., p. 163.

ونظرًا لخطورة الموقف في اليونان ومقدونيا فقد أيقن الإمبراطور زينو أنه لابد من التوصل إلى حل مع ثيودريك فاستقدمه إلى القسطنطينية سنة ٤٨٣م، وتوصل معه إلى اتفاقية سلام نصت على الآتي:

أولاً: التنازل لثيودريك وأتباعه عن أراضي في مؤيزيا السفلى وداكيا ريبنسير Dacia Ripensis[٧٧٤].

ثانيًا: تعيين ثيودريك سيدًا للجند وبطريقًا.

ثالثًا: تعينه أيضًا قنصلاً لعام ٤٨٤م[٧٧٥].

وتعليقًا على هذه التنازلات التي قدمها الإمبراطور زينو لثيودريك، يقول بعض المؤرخين المحدثين: أنها كانت بسبب الأوضاع الداخلية في بيزنطة آنذاك حيث كانت هناك ثورة من قبل إلوس ضد زينو[٧٧٦]. ولكن لا يجب علينا أن ننسى أن، هذه التنازلات كانت- أيضًا- بسبب الدمار والخراب الذي لحق بالأراضي البيزنطية في مقدونيا وبلاد اليونان.

وعلى كل حال، عندما خطط زينو لإرسال ثيودريك على رأس قواته ضد إلوس في إيزوريا بآسيا الصغرى، طالب ثيودريك بأن يتخلص أولاً من

([774]) داكيا ريبنسيز: إقليم روماني يقع على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب بين مؤيزيا الأولى والثانية. من أهم مدنه راتياريا Ratiaria وأوسكوس Oescus. انظر:

Alexander: op.cit., vol. I, p. 577.

([775]) John of Antioch Fr. 213, in Gordon: op.cit., p. 181; Jordanes: op.cit., p. 16. Cf. also, Wolfram: op.cit., p. 201; Heather: op.cit., p. 163, Norwich: op.cit., p. 179.

تذكر إحدى المصادر التاريخية أن ثيودريك كان مستدعى للقسطنطينية في سنة ٤٨٤/٤٨٥م. انظر:

Theophanes: op.cit., p. 201.

([776]) William G.: op.cit., p. 463.

إن الانشقاق بين إلوس والإمبراطور زينو، والذي بدأ سنة ٤٨١م بلغ ذروته سنة ٤٨٣م. ولم يتلق إلوس مساعدات من خارج إيزوريا، وبعد حصار طويل في إحدى قلاعها، تم القبض على قادة الثورة وأعدموا سنة ٤٨٨م. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Candidus: op.cit., vol. II, p. 469, 471; Theophanes: op.cit., p. 196, 199; Evagarius: op.cit., pp. 162-163.

ريسيتاتش بن ثيودريك، الذي كان في القسطنطينية آنذاك، "لأنه لن يترك" كما قال، "منافسه حرًا في الساحة بأوروبا أثناء غيابه" فوافق زينو على ذلك، لاسيما أنه رأى أن ريسيتاتش كان معاديًا له أكثر من والده. ومن ثم، سمح لثيودريك أن يتخلص منه(٧٧٧).

ولقد نتج عن اغتيال ريسيتاتش أن انضم قوطه إلى ثيودريك بن ثيوديمير، وبذلك توحد القوط في البلقان(٧٧٨). وهنا يمكن القول أن ثيودريك بن ثيوديمير أصبح أشد خطرًا على الإمبراطورية البيزنطية من ذي قبل.

أما عن الدور الذي لعبه ثيودريك ضد إلوس، فكل ما ذكر في المصادر التاريخية القديمة وكتب التاريخ الحديثة أنه وافق على الوقوف إلى جانب زينو مقابل مبلغ من المال. ولكن عندما وصل بقواته إلى مدينة نيقوديميديا Nicomedia(٧٧٩)، استدعاه زينو لعدم ثقته فيه، أما قواته فقد بقيت إلى جانب الجيوش الرومانية حتى سنة ٤٨٤م، عندما هرب إلوس وبعض قادته إلى إحدى قلاع إيزوريا، المسماة Cherris، وعند ذلك، سحب زينو القوات القوطية- على وجه السرعة- تاركًا القوات الرومانية تحاصر القلعة(٧٨٠).

---

(777) John of Antioch. Fr. 214 (3). In Gordon: op.cit., p. 181. Cf. also, Moorhed: op.cit., p. 16.

ولكن كيف جاء ريسيتاتش إلى مدينة القسطنطينية ولماذا؟ هذا ما لم تتحدث عنه كتب التاريخ سوى قولها: أنه قتل في نهاية ٤٨٣م أو بداية ٤٨٤م. انظر:

Heather: op.cit., p. 163.

(778) Heather: The Goths, p. 164.

(779) نيقوميديا: مدينة تقع في بثينيا على بحر مرمرة Marmara، تبعد حوالي ٦٠ ميلاً عن القسطنطينية، تعد من أعظم المدن أهمية في آسيا الصغرى، أسسها الإمبراطور نيقوميدس الأول Nicomedes 1 حوالي ٢٦٤ق.م، انظر:

Matthew B.: op.cit., pp. 295- 296; Alexander: op.cit, vol. III, p. 1483.

(780) John of Antioch. Fr. 214(4) in Gordanes: op.cit., p. 181. Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 161; Moorhed: op.cit., p. 17; Bury: op.cit., vol. I, p. 398; Jones: op.cit., vol. I, p. 229.

وينفرد المؤرخ ثيوفانيز بذكر أن ثيودريك بقى إلى جانب قواته حتى هرب إلوس إلى قلعة Cherris. انظر:

The Cronicle, p. 201.

ويذكر بعض المؤرخين أن ثيوديك غضب بشدة من الإمبراطور زينو، لأنه لم يسمح له بقيادة قواته ضد إلوس[٧٨١]، ولذلك- في محاولة لامتصاص غضبه، وكشكر له على ما قدمه من مساعدة- أمر زينو أن يقام له تمثال، عبارة عن جواد يمتطيه فارس في أحد ميادين القسطنطينية سنة ٤٨٦م[٧٨٢].

غير أن ثيودريك لم يكن يرغب في أن يعيش البلقان فترة من الهدوء، كما أنه- في نفس الوقت- لم يكن راضيًا عن المكاسب التي حصل عليها من الإمبراطور زينو[٧٨٣]، ولذلك تقدم على رأس قواته من نوفا، سنة ٤٨٦م، إلى تراقيا، وقام بعملية نهب وسلب واسعة النطاق، وفي سنة ٤٨٧م بدأ هجومه الشرس فاستولى على رجيوم Regium، وخرب الأراضي المجاورة لها، وبصفة خاصة مدينة ميلانتياس Melantias (على بعد ثمانية عشر ميلاً من رجيوم) [٧٨٤]. كما فرض حصارًا شديدًا على مدينة القسطنطينية، وقطع قنوات المياه التي كانت تغزيها، ولأن الإمبراطور زينو كان يعلم الرد المناسب، فقد بعث إليه أخته آمالافريدا Amalafrida ببعض الهدايا القيمة ومبلغ كبير من المال، وعند ذلك عاد إلى نوفا[٧٨٥]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ثيودريك لم يكن يقصد من حصاره لمدينه القسطنطينية الاستيلاء عليها، ولكنه كان يرغب فقط في الحصول على الهدايا والأموال، والدليل أنه عاد إلى نوفا بمجرد ما أن تحقق هدفه.

---

(781) Jones: op.cit., vol. I, p. 229.

(782) Jordanes: op.cit., p. 69. Cf. also, Wolfram: op.cit., p. 201; Bradley: op.cit., p. 144; Cam. Med. His., vol. I, p. 438.

(783) Croke B.: op.cit., p. 64.

(784) John of Antioch. Fr. 214(7.8). in Gordon: op.cit., pp. 181-182. Cf. also, Bury: op.cit., p. 421.

(785) John of Antioch: op.cit., p. 182; Theophanes: op.cit., p. 201. Cf. also, Moorhed: op.cit., p. 17.
ويذكر بعض المؤرخين أن آمالافريدا أخت ثيودريك، ربما كانت رهينة في مدينة القسطنطينية. انظر:
Burns: op.cit., p. 64.

وفي نهاية المطاف، عندما وجد الإمبراطور زينو أن ثيودريك سيظل يمثل له قلقًا شديدًا في البلقان، فقد رأى أن الحل الوحيد لمشكلته هو إزالته وقومه من هناك، ولذلك اقترح عليه، في سنة ٤٨٨م،س غزو إيطاليا، وحكمها بدلاً من أودواكر Odovacar، ونيابة عن الإمبراطور، وعند ذلك، غادر ثيودريك البلقان متوجهًا لإيطاليا[٧٨٦]. وهذا موضوع آخر جدير بالدراسة.

وبديهي أن تكون الأسباب التي دفعت ثيودريك على الذهاب إلى إيطاليا هي:

أولاً: إن منطقة البلقان لم تعد قادرة على تقديم المؤن اللازمة لكفاية القوط الشرقيين، فلقد أصابها الدمار والخراب.

ثانيًا: الاستقرار في البلقان وإقامة وطن فيه للقوط كان أمرًا عسيرًا، بسبب قوة الإمبراطورية البيزنطية.

ثالثًا: الاستيلاء على مدينة القسطنطينية كان ضربًا من ضروب المستحيل، بسبب حصانتها وقوة دفاعاتها.

رابعًا: كان الاستيلاء على إيطاليا والاستقرار فيها أمرًا سهلاً، لأن الذي يحكم هناك لم يكن إمبراطور بل قائدًا جرمانيًا.

خامسًا: كان ثيودريك يتطلع أن يصبح ملكًا على شعب مستقر ذي حضارة[٧٨٧].

---

(786) John of Antioch. Fr. 214(8). Op.cit., 182; Valesiani: op.cit., vol. 3, p. 539; Theophanes: op.cit., p. 201; Ostrogorsky: op.cit., p. 63; Norwich: op.cit., p. 178.

أودواكر هو قائد إحدى فرق الجيش الجرمانية، العاملة ضمن الجيوش الرومانية. ثار ضد الإمبراطور رومولوس أوجوستولوس (٤٧٥- ٤٧٦م)، في ٢٨ أغسطس سنة ٤٧٦م وعزله وتولى بدل منه في إيطاليا، نيابة عن الإمبراطور زينو. للمزيد من التفاصيل. انظر:

Gordanes: op.cit., p. 57; Candidus: op.cit., vol. II, p. 469.

(787) Bradley: op.cit., p. 144.

أما عن أهم نتائج البحث، فقد تمثلت في أن الصراع بين قـادة القـوط الشرقيين في البلقان وعدم اتحادهم معًا كان مـن حسـن حـظ الإمبراطوريـة البيزنطية، التي غذى أباطرتها هذا التنافر، مطبقين أسلوب "فرق تسد".

ومن النتائج أيضًا، أن الشعب القوطي، وليس قادة القوط، كان يدرك أن اتحادهم فقط هو الذي سيمكنهم من الوقوف في وجه الإمبراطورية البيزنطيـة، ولذلك انضموا إلى ثيودريك بعد اغتيال ريسيتاتش سنة ٤٨٣م، ومن ثم أصبحوا أشد خطرًا على الإمبراطورية أكثر من ذي قبل[٧٨٨].

وكذلك لقد أثبتت الأحداث أن زينو مهندسًا بارعًا في تعامله مـع قـادة القوط، فعن طريق المال والمناصب استطاع أن يروض هذه الخيول الجامحـة، وأن ينقذ مدينة القسطنطينية من خطرها، لذلك يمكن أن نضع زينو فـي قائمـة أباطرة بيزنطة الكبار.

وأيضًا نجاح زينو في توجيه القوط الشرقيين لإيطاليا أنقذ الإمبراطورية البيزنطية من خطرهم، وبذلك بقيت مستقلة، وأنهى وجودهم من البلقان للأبـد، وجعله يعيش فترة سلام حقيقي حتى وفاته سند ٤٩١م[٧٨٩].

(788) Heather: op.cit., 164.

(789) William G.: op.cit., p. 463; Bradley: op.cit., p. 144; Ostrogorsky: op.cit., p. 63; Treadgold: op.cit., p. 162, 164; Cam. Med. His., vol. I, p. 479.

عمر كمال توفيق تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (القاهرة، ١٩٦٧م) ص٣٧، حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣م) ص٤٤.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

(1) Candidus: in Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blocley, vol. II, (Great Btitain, 1983).

(2) Evagarius Scholasticus: The Ecclesiastical History, (Liverpool University, 2000).

(3) Gordanes: The Origin and Deeds of The Goths, Tr., by Charles C. Mierow (Net).

(4) John of Antioch: in Gordon C.D.: The Age of Attila, (U.S.A., 1966).

(5) John of Nikiu: Chronicle, (London, 1916), Tr., by Roger Pearse, (Net. 2002).

(6) Malchus: in Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blocley, vol. II, (Great Britain, 1943).

(7) Paschale: Chronicon 284-628 A. D., (Liverpool University, 1989).

(8) Priscus: in Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blocley, vol. II, (Great Britain, 1983).

(9) Theophanes Confessor: The Chronicle, Tr., by Cyral Mango and Roger Scott, (Oxford, 1997).

(10) Valesiani A.: Tr., by John C. Rolfe, in Ammianus Marcellinus, vol. 3, (London, 1935).

"العلاقات السياسية بين روما، قرطاجة والقسطنطينية"

٤٥٤-٤٧٦م

شهدت الأوضاع السياسية في النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية اضطرابًا هائلاً في سنة ٤٥٤م، كان له أثرٌ كبيرٌ عليها، ففي هذا العام تم اغتيال القائم العظيم إئتيوس[٧٩٠] Aetius على يد الإمبراطور فالنتنيان الثالث (٤٢٥-٤٥٥م) Vallintininan III[٧٩١].

ولقد تضاربت آراء المؤرخين حول الأسباب التي دفعت فالنتنيان للتخلص من إئتيوس. فهناك من يقول: إن السبب يعود إلى الكراهية المتأصلة لدي كل من بيترونيوس ماكسيموس Pertronius Mascimus[٧٩٢] وهو

([790]) إئتيوس: روماني الأصل من سيليستريا Silistria، ولد حوالي سنة ٣٩٠م، وكان والده يدعى جودنتيوس Gaudentus، قائد سلاح الفرسان في الإمبراطورية الغربية. خدم إئتيوس في مقتبل حياته في وظيفة الوالي البريتوري؛ اتخذ كرهينة مرتين، إحداهما لدى آلاريك، ملك القوط الغربيين، والأخرى لدى الهون. وفي سنة ٤٢٩م أصبح إئتيوس قائدًا لسلاح الفرسان في غالة، ثم قائدًا عامًا للجيوش الرومانية؛ وفي سنة ٤٣٢م تم ترقيته لرتبة قنصل لمدة عام. ثم حصل، بعد ذلك على لقب بطريق من قبل بلاسيديا. ومنذ سنة ٤٣٠م وحتى وفاته سنة ٤٥٤م كان الحاكم الفعلي للغرب.

Cam.Med.Hist., Vol. II, Book III, tr. By H.B. Dewing (London,N.D), p. 27.

وللمزيد من التفاصيل عن بعض جوانب جياة إئتيوس وصفاته انظر:

Gregory of Tours: Tr., By Lewis Thrope, (London, 1979), pp. 118-119.

([791]) John of Antioch: in Priscus, The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983), p-327. cf. also, John Moorhead: Theoderic in Ataly, (Oxford, 1992), pp- 6-7; Ostrogorsky g.: History of the Byzantine Statem, Tr., by John Hussy, (Oxford, 1968), p. 57.

([792]) بيترونيوس ماكسيموس: واحدٌ من أعظم النبلاء والسيناتورات الأقوياء المتسلطين تولى منصب الولي لمدينة روما مرتين في سنة ٤٢٠- ٤٢١، ووالي بريتوري لإيطاليا مرتين، كما تولى منصب القنصل مرتين الأولى في سنة ٤٣٣ والثانية ٤٤٣م. ومن المحتمل أنه حصل على هيبته ونفوذه نظرًا لثروته الضخمة أكثر منها إلى عائلته أو سيرته المهنية، والحقيقة أن أصله غير معروف. في سنة ٤٥٤م اقترب من عامة الستين انظر:

Bury J.B: Later Roman Empire From the Death of Theodosius to the Death of Justinian, vol. I, (N.Y.1958), pp. 298-299, p. 298 (Not.1).

اكليوس Heracleius- كبير الحجاب في البلاط الإمبراطوري- لإئتيوس- وذلك لأن كليهما كان يرغب في تولي منصب بطريق الذي كان يشغله إئتيوس(٧٩٣). في حين يرى البعض الآخر من المؤرخين أن السبب في ذلك يعود إلى الخوف الذي كان يسيطر على الإمبراطور من قوة إئتيوس، وخوفه من القضاء عليه بسبب أطماعه في المنصب الإمبراطوري، "ولذلك قام بقتله على الرغم من أنه لم تكن توجد هناك تهمة واضحة يمكن أن ينسبها ضده"(٧٩٤). وهناك من يرى أيضًا أن الإمبراطور فالنتيان قد اغتصب زوجة ماكسيموس، ولذلك عقد ماكسيموس النية على التخلص منه، ولكن وجود إئتيوس كان عقبة في سبيل تحقيق ذلك، ومن ثم كان لابد من التخلص من إئتيوس أولاً(٧٩٥). وفريق آخر من المؤرخين يقول: إن إئتيوس كي يثبت دعائم قوته داخل الإمبراطورية، فقد سعى في سنة ٤٥٠م إلى إجبار الإمبراطور فالنتينيان الثالث على خطبة ابنته إلى ابنه جودنتيوس Gaudentius، ومن ثم فإن ذلك أثار غضب الإمبراطور، الذي عقد النية على الانتقام منه؛ لأنه لم يحتمل أن يرى زواج إحدى بناته من ابن أحد أتباعه(٧٩٦).

وعلى أية حال، جاءت الفرصة تسعى للإمبراطور فالنتيان للتخلص من إئتيوس، وذلك عندما أوحى إليه ماكسيموس والخصى هيراكليوس بأنه إذ لم يقم بالتخلص من إئتيوس، وعلى وجه السرعة، فإن الأخير هو الذي سينهي حياته. فوافق فالنتيان على هذه المشورة، وعقد النية على التخلص من إئتيوس في القصر الإمبراطوري عندما يأتي ليعرض عليه التقرير المالي الخاص بالإمبراطورية. وبالفعل عندما كان الرجل يضع التقرير المالي أمامه هب

---

(793) John of Antioch: op.cit., vol II, 327.

(794) Gregory of Tours: op.cit., p- 119; Theophanes Confessor: Chronical, in Priscus, the Fr., vol II, p. 333.

(795) Nicephori Callisti: Ecclesiasticae Historia, Patrologiae Graecae, Tomus 147, p. 35; Procopius: op.cit., vol II, Book III, pp. 39- 41.

(796) Noruich.j.j: Byzantium, the Early Centuries, (N.Y.1989), p. 160; Robert S.H. Stanly Chodorow: Europe in the Middle Ages, (U-S-A 1958), p. 68; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 418.

الإمبراطور واقفاً، واتهمه بالخيانة وقال له بأعلى صوته: "إنني لن أسمح لك بإهانتي بعد اليوم"، وعندما وقف إئتيوس مذهولاً بسبب ثورة الإمبراطور، وفي الوقت الذي سعى فيه لتهدئته، والدفاع عن نفسه، استل فالنتنيان سيفه وانقض على إئتيوس الذي كان في نفس الوقت مهاجم من قبل هيراكليوس، فأرداه قتيلاً[٧٩٧]. ولقد أشار بعض المؤرخين إلى أن إئتيوس تم اغتياله في ٢١ سبتمبر سنة ٤٥٤م[٧٩٨].

وعلى الفور استدعى فالنتيان مجلس الشيوخ وراح يكيل الاتهامات إلى إئتيوس، ولعل السبب في ذلك يعود إلى خوفه من ثورة الشعب عليه بسبب هذا العمل[٧٩٩]؛ وذلك لأن إئتيوس كان الدعامة الأساسية في بقاء الإمبراطورية الغربية أثناء حياته، وإذا كان- كرجل دولة- ربما يلام على إهماله لأفريقيا فإنه في نفس الوقت استطاع أن يحافظ على إيطاليا، في المقابل من نهب الوندال في حال حياته[٨٠٠].

---

(797) John of Antioch: op.cit., vol. II, pp. 327- 329; Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Tr., By Mango and Roger Scott, (oxford, 1997), p. 166, Procopius: op-cit., vol. II, Book III, p. 41. cf- also, Moses Hadas: A History of Rome from its Origins to 529 A.D., (New- York, 1956), p. 241; Stephenson c: Mediaval History, (London, 1943), p. 67.

(798) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p-41. cf. also, John A.H.M: The Decline of the Ancient world, (London, 1966), p 89; Livermore H.V: The Origins of Spain and Portugal, (London, 1971), p. 100.
وينفرد المؤرخ ثيوفانيز بالإشارة إلى أن إئتيوس تم اغتياله في سنة ٤٥٣م.
انظر: The Chronicle, p. 166.
والحقيقة أنه أخطأ في ذلك.

(799) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 329.

(800) Gibbon E.: The History of the Decline and Fall of the Roman Empire Vol. III, (N.Y, 1815) p. 593; Cam. Med. Hist vol, 1, pp. 418-419.

"لقد قتلوا الرجل"، كما قال يوحنا الإنطاكي[٨٠١] "الـذي طالمـا، واجـه بشجاعة كبيرة، الأعداء في الداخل والخارج. إن أحد رجال البلاط، عندما سئل بواسطة الإمبراطور فالنتنيان الثالث عن رؤيته في وفاة إئتيوس، أجابه قائلاً: "سيدي إن الشيء الوحيد الذي أفهمه جدًا إنك استخدمت يدك اليسرى لقطع اليمنى"[٨٠٢].

وبالفعل كان إئتيوس اليد اليمنى للإمبراطور فالنتنيان، والرجل الذي يمكن أن يدافع عن إيطاليا ضد الوندال.

ويتساءل المؤرخ بيورى[٨٠٣] قائلاً من الآن الذي سينقذ إيطاليا من الوندال؟. ويجيب بكل تأكيد لم يكن بيترونيوس ماكسيموس هو الرجل الذي يمكن أن يقوم بهذه المهمة.

وعلى أية حال، لقد وقع الإمبراطور فالنتنيان الثالث رخصة وفاته عندما قتل وزيره إئتيوس[٨٠٤].

وفي ذلك يقول التاريخ إن ماكسيموس، بعد أن تخلص من إئتيوس راح يتودد إلى الإمبراطور فالنتنيان كي يعينه في وظيفة بطريق، ولكن هيراكليوس اعترض على منحه هذا المنصب، وذلك لأنه لم يرغب في أن يتمتع ماكسيموس بنفوذ يساوي نفوذه في البلاط الروماني الغربي. وعند ذلك عقد ماكسيموس العزم على التخلص من فالنتنيان، ولذلك استدعى كل من أوبتيلا Optila وثروستيلا Thraustila، وهما من أتباع إئتيوس، وفي نفس الوقت من المقربين إلى عائلة الإمبراطور واتفق معهما على التخلص من فالنتنيان انتقامًا لسيدهما وفي منتصف مارس سنة ٤٥٥م تم اغتيال فالنتينان، عندما كان يمارس رمي

(801) John of Antioch: op.cit., vol. II, pp. 329.

(802) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, pp. 41- 43. also, Grant M.: From Rome to Byzantium, the Fifth Century AD, (London, 1920), p. 82. Gibbon: op.cit., vol. II, page 593.

(803) Later Roman Empire from the Death of Theodosius I to the Death of Justinian, vol. I, p. 299.

(804) Cam. Med. Hist., vol. I, p. 419.

النبال في ساحة مدرسة مارتيوس، على مرأى من حراسه. ولقد سقط معه أيضًا هيراكليوس، ولم ترتفع يد لكي تعاقب القتلة، وذلك بسبب الخوف منهما بسبب أصلهما الهوني(٨٠٥).

وعلى كل، كان اغتيال إتيوس والإمبراطور فالنتنيان الثالث علامة على بداية فترة من الفوضى التي انتهت بعد عشرين عامًا باختفاء الحكم الروماني في الغرب(٨٠٦). وذلك لأنه لم يوجد هناك قائد يحل محل إتيوس صمام الأم للإمبراطورية الغربية، هذا في الوقت الذي لم يوجد فيه وريث ذكر من بيت ثيودرسيوس ليخلف الإمبراطور فالنتنيان الثالث آخر سلالة الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٦- ٣٩٥م)، ولو أن هناك وريث شرعي لمنع بعض الاضطرابات التي حلت بإيطاليا في السنوات التالية(٨٠٧).

وعلى أية حال، أصيبت مدينة روما بحالة من عدم النظام والارتباك بعد وفاة الإمبراطور فالنتنيان، وذلك عندما انقسم الجيش إلى قسمين: رغب إحداهما في تولية ماكسيموس إمبراطورًا، ورغب الآخر في تعيين ماكسيميان Maccimian- ابن تاجر مصري- أما يودوكسيا Eudoxia، أرملة فالنتنيان، فقد كانت ترغب في تولية ماجوريانت Majorian. ولكن ماكسيموس استطاع

---

(805) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

John of Antioch: op.cit., vol. II, pp. 32- 33; Jordanes: Rom 339, In Priscus, The Fr., vol. II, p-333; The Same other: The Origin and Deeds of Goths, Tr., by Charles C. Mierow, p. 56. (Net. 2004), cf. also, Bury: op-cit., vol. I, pp. 299-300; Moorhead j.: Theoderic in Italy, (oxford, 1992), p. 7; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 595.

وينفرد المؤرخ ثيوفانيز برواية عن قتل الإمبراطور فالنتنيان، تكون بعيدة عن الحقيقة تمامًا. حيث قال: "إن واحدًا من البطارقة هو ماكسيموس، دخل القصر وقتل الإمبراطور فالنتنيان". انظر: The Chronicle, Byzantine., p,. 167.

(806) Downey G.: The Later Roman Empire. (London, 1969), p. 82; Grant: op.cit., p. 20; Scarre C.: chronicle of The Roman Empire, (London, 1995), p. 231.

(807) Bury: op.cit., vol. I, p. 300; Ostrogorsky G: op.cit: p. 57; Wolgram H.: History of the Goths, Tr, by Thomas j. Dunlap, (London, 1990), p. 172; Thorndike: op.cit., p. 83.

حسم هذا الصراع لصالحه عن طريق الرشاوي(٨٠٨). وتولى عرش الإمبراطورية في الغرب في ١٧مارس، سنة ٤٥٥م(٨٠٩) ثم ما لبث أن تزوج من يودوكسيا بالقوة معتقد أن هذا الزواج سيوفر الحماية إلى منصبه(٨١٠)، وربما يجعل الإيطاليين يلتفون حوله(٨١١).

ولكن في الحقيقة كان هذا الزواج نقمة عليه، فلقد أودي بحياته(٨١٢).

فعندما علم جيزريك، (٤٢٨- ٤٧٠م) Geiseric، ملك الوندال في قرطاجة، بأخبار اغتيال إئتيوس والإمبراطور فالنتنيان الثالث، وجد أن الوقت قد أصبح مناسبًا لمهاجمة إيطاليا، والاستيلاء على مدينة روما؛ لا سيما وأنه اعتبر أن معاهدة السلام التي عقدها في سنة ٤٤٢م مع فالنتنيان وإئتيوس(٨١٣)، قد أصبحت لاغية بوفاتهما، هذا من ناحية، كما أن الإمبراطور ماكسيموس، لم تكن لديه قوات كبيرة، تمنعه من دخول روما، من ناحية أخرى(٨١٤). بل وأعلن جيزريك أنه لن يقبل ولن يع ترف بمكسيموس إمبراطورًا في مدينة روما، وذلك لأنه المسئول، أو على الأقل متواطئ في عملية قتل إئتيوس والإمبراطور،

---

(808) John of Antioch: op.cit., vol II, p. 331; paschale: Chronicon Paschales 284- 628 A.D. Tr., by Michael whitby and Mary whitby (Liverpool university 1989), p. 83.

(809) Bury: op.cit., vol. I, p. 324; Gibbon: op.cit., vol. II, p. 599.

(810) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331; Evagrius scholasticus The Ecclesiastical History of Evagrius, Tr., by Michael whit by (Liverpool un. Press, 2000), p. 88; Gibbon: op.cit., vol. III, pp 600-601.

(811) Bury: op.cit., vol. I, p. 324.

(812) Nicephori Callisti: op.cit., p. 35. cf. also, Norwich: op.cit., 160.

(813) John of Anfioch: op.cit., vol. II, p. 331.

وعن معاهدة سنة ٤٤٢م، التي أدت إلى قيام السلام بين جيزريك والإمبراطور فانتنيان الثالث وإئتيوس والتي قسمت أفريقيا بين الجانبين. أنظر:

Wolfram: op.cit., p. 167; Merrills A.H: Vandal, Roman and Berbers, (U.S.A., 2004), p. 40;

إسحق عبيد: من آلارك إلى جستنيان، القاهرة، ١٩٧٧م)، ص ٨٩.

(814) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331.

والزواج من يودوكسيا بالقوة، ولذلك لابد من خلعه من المنصب الإمبراطوري[٨١٥].

ومن الأسباب التي دفعت جيزريك- أيضًا- لغزو مدينة روما، هو قيام ماكسيموسن بزواج يودوكيا Eudocia، ابنة الإمبراطور فالنتيان ويدوكسيا، لابنه، علمًا بأنها كانت مخطوبة لهونوريك Huneric، بن جيزريك، أثناء إقامته في رافنا Ravenna بين عامي ٤٤٢ و ٤٤٥- ٤٤٦م، ولذلك كان لابد من استردادها[٨١٦]. والحقيقة أن جيزريك كان يعلق أملاً كبيرًا على مسألة زواج ابنه من ابنة الإمبراطور فالنتيان؛ وذلك لأنه وجد أن ما لا يمكن الحصول عليه عن طريق الحرب يمكن الحصول عليه عن طرق المصاهرة لبيت ثيودوسيوس[٨١٧].

كما تجمع المصادر التاريخية على أن يودوكسيا- أرملة الإمبراطور فالنتيان- لعبت دورًا كبيرًا في غزو جيزريك لمدينة روما، وذلك لأنها كانت في الحقيقة قد تأثرت من جراء هذا الزواج الذي كان يمثل لها فضيحة لم تكن تتوقعها، ومن ثم فقد سعت لوضع حدًا لهذه الإهانة التي لحقت بها لا سيما عندما أدركت أن قدوم أية مساعدات إليها من القسطنطينية سوف تكون بعيدة المنال، ومن ثم فقد أرسلت إلى قرطاجة تتوسل لجيزريك بأن ينتقم للإمبراطور فالنتيان، وأن ينقذها من زوجها، وذلك لأنها تعاني من سوء المعاملة على يد هذا الطاغية. وفي محاولة منها للتأثير على جيزريك فقد أرسلت إليه الهدايا

---

(815) Gautier E.F.: Genseric Roi Des Vandals, (Paris, 1935), p. 232; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308.

(816) Franzius Enno: History of the Byzantine Empire (New York, 1967), p. 52; Wolfram: H: The Roman Empire and Germanic Peoples, Tr., by Thomas Dunlop, (London, 1997), pp. 171- 173; Merrilles: op.cit., p. 40; Cameron A.: The Mediterrancan World in Late Antiquity A-D 395 600, (London, 1993), p. 29;

اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

(817) Wolfram: op.cit., pp. 171- 172.

القيمـــة، وراحـــت تـــذكره- أيضـــاً- بأنـــه صـــديق وحليـــف إلـــى البيـــت الإمبراطوري(٨١٨).

وإجابة على سؤال ما إذا كانت يودوكسيا قد أرسـلت إلـى جيزريـك لإنقاذها أم لا. فإننا نجد أن المؤرخ بيوريي لا يستبعد ذلك، ويوضح أن هنـاك سببًا خاصًا لطلب المساعدة من قرطاجة وهذا السبب هو زواج ابنتها يودوكيـا من بالاديوس Palladius بن ماكسيموس بالقوة، وهي التي كانت مخطوبة إلـى هونوريك ابن جزيريك، وهذا في حد ذاته قد مس كرامـة جيزريـك، ولـذلك، سوف يأتي لمساعدة يودوكسيا قبل قدوم أية مساعدة من مدينة القسطنطينية(٨١٩).

والباحث من جانبه يرى أن علاقة الخطوبة التي ربطـت بـين رومـا وقرطاجة كفيلة بأن تتوجه الإمبراطورة يودوكسيا، وعلى وجه السـرعة، إلـى قرطاجة، لأنها تعلم أن جيزريك لن يتوانى وسوف يهـب لمسـاعدتها، وإنقـاذ خطيبة ابنه.

وعلى أية حال، بعد أن استعرض جيزريك العرض الذي تقـدمت بـه الإمبراطورة يودوكسيا قرر إنقاذها على وجه السرعة دون وضع اعتبار لـرأي الشعب الروماني نفسه(٨٢٠).

---

(818) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147. p. 35; Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 45; 47; Theophanes Confessor: op.cit., p. 167; Evagrius: op.cit., p. 82- 83; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331; Georgu Cedreni: Compendium Historiarum, p. G. Tom., 121, p. 658; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 601.

وينفرد المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس بالإشارة إلى أن رسالة يودوكسيا إلى جيزريك كانت في ١٧ مارس سنة ٤٥٥م. انظر:

History of the Wars, Book III, p. 47.

(819) Later Roman Empire, vol. I, p. 324.

وانظر ايضا: Livermore: op.cit., p. 101:

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308, 398.

(820) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 35. 38.

ولكن، هل نفهم من ذلك أن جيزريك ذهب إلى مدينة روما فقط بدافع الانتقام لمقتل الإمبراطور فالنتنيان الثالث، وتخليص يودوكسيا من زوجها وإنقاذ خطيبة ابنه، أم أن هناك سببًا آخرًا؟.

لقد أجاب الكثير من المؤرخين على هذا السؤال، فأشاروا إلى أن جيزريك لم يذهب إلى إيطاليا فقط من أجل إنقاذ الإمبراطورة يودوكسيا، بل إن السبب الأساسي كان الثورة التي تمتعت بها مدينة روما(٨٢١). تلك الثروة التي كانت باعثًا كافيًا لأي زعيم قبيلة بربري للقيام بنهبها(٨٢٢).

لقد كان قلب جيزريك وعيونه معلقه بإيطاليا، ومدينة روما، وكان الحظ يحالفه بما فيه الكفاية لكي يدعى إلى الأرض التي كان يشتاق لغزوها(٨٢٣). ومن ثم فعندما وجهت إليه الدعوة لم يتوان وذهب إلى مدينة روما(٨٢٤).

والحقيقة أن جيزريك تحرك إلى إيطاليا بدافع النهب والسلب لأنه ليس من المعقول أن يتوجه على رأس قواته إلى هناك، دون الحصول على المقابل.

وتقول الأحداث، إنه في شهر مارس، سنة٤٥٥م كان هناك أسطول ضخم لا يستهان به مجهز بالمؤن والعتاد يقف في ميناء قرطاجة على أهبة الاستعداد للإيجار إلى مدينة روما(٨٢٥). وتشير إحدى المصادر التاريخية إلى أنه كان هناك –أيضًا– عدد كبير من القوات ولكن هذا المصدر لم يذكر كم كان

---

(821) Procopius: op.cit., Book III, p. 47. Cf. also, Hadas: op.cit., p. 242; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 421.

(822) Norwich: op.cit., p. 161. Hadas: op.cit., p. 242; Cam. Med. Hist. vol. I, p. 421.

(823) Lisa Ripperton: The Baldiwin Project. (2000- 2006), www. Mainlesson. Com. P.2.

(824) Theophanes Confessor: op.cit., p. 167. cf. also. Mckilliam A.E.: A chronicle of the Popes, from St. Peter to Pius X, (London, 1912), p. 54.

(825) Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Gautier: op.cit., p. 232.

عدد هذه القوات[٨٢٦]. ومما هو جدير بالذكر أن الأسطول الوندالي كان يوجد على متنه بعض القوات من المغاربة Moors[٨٢٧].

وفي مايو سنة ٤٥٥م، أبحر جيزريك على رأس أسطوله من قرطاجة متوجهًا إلى مدينة روما بعزيمة قوية وشعور فياض لاغتنام الفرصة التي أتيحت له للاستيلاء على هذه المدينة[٨٢٨]. ومن حسن حظه أنه لم يواجه بأية عقبات خلال تقدمه إلى مدينة روما[٨٢٩]. هذا، ويذكر بعض المؤرخين أن خبر حملة الملك جيزريك قد وصل إلى مدينة روما منذ رحيله من ميناء قرطاجة[٨٣٠].

ولقد تضاربت آراء المؤرخين حول الميناء الذي رسى فيه الأسطول الوندالي على نهر التيبر، فيذكر البعض أن جيزريك رسى بأسطوله في ميناء بورتو Porto، في شمال نهر التيبر، وليس في أوستى Ostia، أو بالقرب منها، وذلك لأن شواطئها رملية الأمر الذي يجعل من الصعب رسو الأسطول[٨٣١]. في حين يذكر البعض الآخر من المؤرخين أن جيزريك توقف بأسطوله في ميناء أوستى[٨٣٢]. هذا، ويذكر بعض المؤرخين أن جيزريك كان أول أجنبي نزل في هذا الميناء[٨٣٣].

---

(826) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331.

(827) Merrills: op.cit., p. 41; Wolgram: op.cit., p. 172.
لقد كان الرومان يطلقون على البربر Berber اسم المغاربة Moors. انظر:
Mcrrilles: op.cit., p. 3.

(828) Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Gautier: op.cit., 233; Norwich Byzantium, p. 162; Wolgram: op.cit., p. 172.

(829) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 47; Hadas: op.cit., p. 242.

(830) Bury: op.cit., vol. I, p. 325.

(831) Gautier: op.cit., p. 233; Wolfram: op.cit., p. 172; Cam. Med. Hist., vol., I, p. 308.
إسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

(832) Norwich: op.cit., p. 162; Deanesly M.: A History of Early Medieval Europe, from 476 to 911, (London, 1974)., p. 76; Gibbon op.cit., vol. III, p. 602.

(833) إميل لودفيغ: البحر المتوسط، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة: ١٩٥٢م)، ص ٣٨١.

وعلى كل، راحت القواتن الوندالية تتقدم تجاه مدينة روما عبر طريق بورتونيسيس Portuensis[٨٣٤]. وأثناء تقدمها ارتكبت أول أعمالها الهمجية وذلك عندما أشعلت النيران في كنيسة القديس هيبوليت Saint-Hippolyte[٨٣٥].

وعلى الجانب الآخر، فإن الإمبراطور بيترونيوس ماكسيموس، الذي قبع- في البداية- في قصره، أعلن أنه على جميع رجال روما الأقوياء أن يتحالفوا للدفاع عن الإمبراطورية، ولكنه أشار في الوقت ذاته إلى أن أي شخص يرغب في مغادرة المدينة فإن له كامل الحرية أن يقوم بذلك متى شاء[٨٣٦].

ولكن الشيء المؤكد أن مدينة روما لم تكن لديها القدرة في الدفاع عن نفسها، ولذلك ساد الرعب والفزع بين سكانها منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها خبر رسو الجيش الوندالي عند مصب نهر التيبر. ومن ثم فقد قرر جميع السكان الهروب من المدينة، يستوى في ذلك الطبقة العليا من الشعب والسفلى. فالنبلاء الرومان- بصفة خاصة- كانوا يعلمون جيدًا المصير الذي ينتظرهم عند دخول الجيش الوندالي إلي المدينة[٨٣٧]. ولذلك قام الجميع بإرسال زوجاتهم وأبنائهم خارج المدينة حفاظًا على سلامة أرواحهم. لقد كانت الطرق المتجهة إلى الشمال والشرق من مدينة روما تغص بالعربات المليئة بالعائلات الهاربة، وإلى جانب ذلك، كان هناك الكثير من العائلات التي حملت أمتعتها وسارت على أقدامها. إن كل الذين هربوا كان هدفهم الأسمى الحفاظ على أنفسهم من الوقوع أسرى في يد الوندال[٨٣٨]. وهكذا، لقد انهارت الروح المعنوية لسكان مدينة روما فتركوها وهربوا.

---

(834) Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308.

(835) إسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

(836) Norwich: op.cit., p. 162.

(837) Gautier: op.cit., p. 233; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Norwich; op.cit., p. 161.

(838) Norwich: Byzantium, p. 162; Cam, Med. Hist., vol. I, p. 308.

ولم تكن روح الإمبراطور ماكسيموس بأحسن حال من روح رعاياه فلقد نسى الدعوة التي وجهها إلى القدرين من أهالي رومات بـأن يتحـالفوا للـدفاع عنها، فكان من الذين ولوا الأدبار. إن هذا الرجل عندما سمع أن جيزريك قـد رسى بقواته أمام مدينة روما فكر في الهروب. وعند ذلك تخلى عنـه حرسـه الخاص، وغيرهم من الأشخاص الأحرار الذين ساندوه في الوصـول لعـرش الإمبراطورية الرومانية الغربية. ولقد أنهال عليه بالسباب أولئك الذين شـاهدوه أثناء هروبه، واتهموه بالجبن. وعندما كان على وشك الخروج من المدينة قذفـه أحد سكانها بحجر في رأسه فأرداه قتيلاً. وعند ذلك انقضـت جمـوع الشـعب الروماني الغاضبة على جسده فمزقته إربًا، وهي تصيح بعبارات النصـر(٨٣٩). ومثلت بجثته عبر شوارع مدينة روما، ثم ألقت بها في النهاية في نهر التيبـر. وكان ذلك في ٣١مايو سنة ٤٥٥م(٨٤٠). وهكذا فقد تخلصت الإمبراطورة الأرملة يودوكسيا من زوجها الإمبراطور ماكسيموس ولكن من ناحية أخرى لا نعـرف شعورها عندما رأت الشعب الروماني يغادر مدينة روما هربًا من جيزريك الذي يقف الآن على أبوابها.

وينفرد المؤرخ جوردانيز(٨٤١) بالإشارة إلى أن الذي اغتال الإمبراطور ماكسيموس كان جندي رومـاني يـدعى أورسـوس Urisus، أمـا المـؤرخ جوتيه(٨٤٢) الذي يتفق معه حول اسـمه، يـذكر أنـه ذات أصـل بورجنـدي Burgonde.

وبسبب اغتيال الإمبراطور ماكسيموس، اجتاحت مدينة رومـا إشـاعة مفادها أنها أصبحت بلا مدافع بسبب خيانة هذا البور جندي. ولكن، في الحقيقـة

---

(839) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 333. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 602.

(840) Gautier: op.cit., p. 233; Norwich: op.cit., p. 162; Moorhead: op.cit., p. 7, Cam, Med. Hist., vol. I, p. 308.

اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

يذكر بعض المؤرخين أن اغتيال الإمبراطور ماكسيموس وقع في ٢ يونيه سنة ٤٥٥م. انظر:

Jones: op.cit., p. 89; Livermore: op.cit, p. 100.

(841) The Origin and Deeds of the Goths, p. 56.

(842) Geneseric Roi De Vandals, p. 233.

يمكن أن يقال – أيضًا– أن الإمبراطور لو لم يقتل لهرب من المدينة شأنه في ذلك شأن كل النبلاء الرومان، وبالتأكيد أن أورسوس لم يكن يعمل لحساب أحد سوى أنه شعر بجرح في كرامته بسبب جبن الإمبراطور وتخاذله(٨٤٣).

وبعد موت الإمبراطور ماكسيموس أصبح البابا ليو الأول (٤٦١م) Leo 1 هو المسئول السياسي والرسمي، الممثل للسلطة والمدافع عن مدينة روما. ولذلك– على الرغم من أنه كان طاعنًا في السن– فقد خرج على رأس سفارة من الأكليروس وتوجه إلى جيزريك للتفاوض معه بشأن المدينة(٨٤٤).

ولكن البابا ليو الأول كان يقف في غضون ذلك على أرض هشة وذلك لأن جيزريك كان الآن يقف على أبواب مدينة روما، كما أن قواته كانت في قمة صحتها، ولديها من المؤن الكثير، كذلك لم تكن توجد هناك أية خطورة عسكرية على جيزريك وقواته؛ فليست هناك قوات تتقدم من خلفه كما حدث مع أتيلا من قبل، عندما كان على أبواب مدينة روما سنة ٤٥٢م كما أن المعسكر الوندالي كان خاليًا من الأمراض(٨٤٥).

ويبدو أن البابا ليو بدأ مفاوضاته مع جيزريك بمطالبته بمغادرة إيطاليا وعدم دخول مدينة روما، ولكن هذا لم يجد نفعًا. والدليل على ذلك ما قاله بعض المؤرخين من أن الوندال الذين أصبحوا الآن في إيطاليا، رفضوا الرحيل بدون نهب مدينة روما(٨٤٦).

ولكن إذا كانت سفارة البابا ليو لم تنجح نجاحًا كاملاً في مفاوضتها مع جيزريك، فإنها لم تفشل فشلاً ذريعًا في نفس الوقت. حيث فاوض البابا جيزريك على أن يسلم له بعض الكنوز النفيسة في كاتدرائية القديس بطرس مقابل العفو عن المدينة، فوافق جيزريك على مطالب البابا ووعد بالآتي:

---

(843) Gautier: op.cit., p. 233.

(844) Norwich: op.cit., p. 162; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Ripperton: op.cit., p. 2; Gautier: op.cit., p. 234; M Killiam: op.cit., p. 54; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 602.

(845) Norwich: op.cit., p. 162.

(846) M killiam: op.cit., p. 54.

أولاً: عدم ممارسة الوندال أي أعمال قتل ضد السكان الذين لن يقاومهم.

ثانيًا: لن تكون هناك أية أعمال تعذيب ضد السكان لإجبارهم على كشف مواضع الخزائن المخفية.

ثالثًا: حماية الأسرى من التعذيب.

رابعًا: سوف يلتزم الوندال بالمحافظة على سلامة المبـاني الحكوميـة وغير الحكومية(٨٤٧).

خامسًا: التزام الوندال بعدم إشعال النار في المدينة، وإذا حدث شيء من هذا القبيل فلن يكون عاما(٨٤٨).

ترى هل كان البابا ليو الأول سعيدًا بما حصل عليه من تنازلات من قبل جيزريك؟ يقول بعض المؤرخين، ربما تكون وعود جيزريك قد أدت إلى الراحة نوعًا ما، ولكنها، على الأقل، كانت أفضل من لا شيء(٨٤٩).

وهكذا، نرى أن ذهاب البابا ليو الأول ومقابلته جيزريك كان لها تـأثيرٌ كبيرٌ في إنقاذ مدينة روما من الدمار. ولكن المؤرخ جوتيه(٨٥٠) يتساءل قائلاً: إن السؤال الذي لا نعرف له إجابة، هو، هل كانـت توسـلات البابـا ليـو الأول لجيزريك دافعًا حقيقيًا له على الحفاظ على المدينة؟ ولكننا نشك أن هناك مصادر أخرى. إن كل ما يهم، هو أن هذا الحدث بتفاصيله كان يتفق مع رغبات البابا".

---

(847) Norwich: op.cit., p. 162; wolfram: op.cit., p. 172; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Mckilliam: op.cit., p. 54; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 602.

(848) Karl Baus and other: The Emperial Church from Constantine to the Early Middle Ages, Tr. By Anselm Biggs, vol. II, (New york, 1980), p. 605.

(849) Norwich: Byzantium, p. 162.

(850) Genseric Roi Des Vandales, p. 234; Jacquin A.M.: Historue De L'Eglise, Tom II, (Paris, 1936), p. 417.

وفي ٢ يونيه سنة ٤٥٥م فتحت أبواب مدينة روما أمام جيزريك وقومه فندفعوا داخلها دون أية معارك أو مقاومة تذكر(٨٥١).

ولقد أفاضت المصادر التاريخية القديمة وكتب التاريخ الحديثة في ذكـــر أعمال النهب والسلب التي مارسها الجيش الوندالي داخل مدينة روما فأشـــارت إلى أن أعمال النهب كانت منظمة بطريقة جيدة وفي هدوء تام فخـــلال أربعـــة عشر يوما استطاع الوندال تجريد القصور الملكية من محتوياتها النفســـية؛ مـــن ذهب، وكنوز وخزائن وبرونز وغير ذلك، كما استولى جيزريك على النياشـــين والشارات الإمبراطورية وعلى جزء من سقف معبد الإله جـــوبيتر كـــابيتولين Jupiter Capitolini، إلى جانب بعض التماثيل القديمة وخزائن الذهب التـــي كان القائد تيتوس Titus قد حملها إلى روما من معبد سليمان ببيت المقدس، منذ أربعة قرون. ولم تسلم منازل أهالي المدينة من النهب والسلب، فلقـــد اســـتولى جيزريك على كل ما تركه آلاريك أثناء غزوه لروما سنة ٤١٠م(٨٥٢). وكما قال أحد المؤرخين: "إن الوندال عندما اختاروا ما سوف يأخذونه من مدينة روما، لم يتبق لأهلها سوى حيطان المباني"(٨٥٣).

وللتاريخ يقول أحد المؤرخين، لم يكن الوندال فقط هم الـــذين مارســـوا أعمال السلب والنهب في مدينة روما سنة ٤٥٥م، بل شاركهم في ذلك عدد كبير من الجرمان والبرابرة الذين يعملون في المدينة، والذين كان الكثير منهم –بدون شك– لا يعرف أبدًا النظام(٨٥٤).

---

(851) Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Theophanes: op.cit., p. 167. cf. also, Gautier: op.cit., p. 233; Wolfram: op.cit., p. 172; Cam. Med. Hist, vol. I, p. 308.

(852) Procopius: op.cit., vol. II, book III, p. 47, 49; Theophanes: op.cit., p. 167; Georgii Cedreni; Tomus 121, op.cit., p. 659; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38. cf. also, Gautier: op.cit., 235; Mckilliam: op.cit., p. 54; Merrilles: op.cit., 40; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Verrzone p.: The Art of Europe, (New-York, 1967), p. 46; Perkins B.W.: The Fall of Rome and the End of Civilization (Oxford, 2005). P. 17.

(853) Lisa Ripperton: op.cit., p. 2.

(854) Grant: op.cit., p. 21.

ولكن سؤال الملح الآن، ما هو موقف جيزريك وقومه من الكنائس؟ من الواضح أن كنائس مدينة روما قد تم الحفاظ عليها، والحكم بذلك يأتي من صمت المصادر المعاصرة، التي لم تذكر أية إشارة عند ذلك، ولو حتى على سبيل التنويه، فبريسكوس Priscus، المؤرخ المعاصر– وبروكوبيوس Procopius، وباشال Pachale، وغيرهم لم يتحدثوا عن أن الكنائس قد امتدت إليها يد الوندال بسوء.

وهذا ربما يعود إلى أنه كان هناك اتفاق سري بين البابا وجيزريك بعدم التعرض للكنائس. وإلا فما الذي منع جيزريك عن نهب الكنائس؟. لو لم يكن هناك اتفاق بينه وبين البابا.

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن الكنائس تم الحفاظ عليها[٨٥٥]. ولكن هذا لم يمنع الوندال من القيام بالتعدي على بعض الكنائس[٨٥٦].

وكان لدى الوندال الكثير من سفن النقل. ويبدو أنهم أحضروا هذه السفن خصيصًا لنقل ما سوف يستولون عليه من مدينة روما[٨٥٧].

وبعدما فرغ جيزريك من نهب مدينة روما قفل عائدًا إلى أفريقيا بالغنائم والرهائن الهامة كالسيناتورات، وأصحاب المهن؛ كالكتبة وخبراء السلاح والآلاف من الأسري، وكان من ضمن الرهائن التي عاد بها جيزريك إلى أفريقيا يودوكسيا، أرملة الإمبراطور فالنتيان وابنتيها يودوكيا Eudocia وبلاسيديا Placidia، وجودنتيوس Gaudentius ابن إئتيوس[٨٥٨].

---

(855) Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308.

(856) Gautier: op.cit., p. 235; Norwich: op.cit., p. 50; Hoyt: op.cit., p. 68.

(857) Lisa a Ripperton: op.cit., p. 2.

(858) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 47; Theophanes Confessor: op.cit., p. 167; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38. cf. also Wolfram: op.cit., p. 172: Perkins: op.cit., 17; Mckilliam: op.cit., p. 54; Cam. Med. Hist. vol. I, p. 421.
اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩٠.
أشار المؤرخ باشال إلى أن إحدى بنات بلاسيديا كانت تدعى هونوريا Honoria. انظر: Chronicon Paschale., p. 83.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه أثناء عودة جيزريك غرقت إحدى سفنه بما عليها من تماثيل، أما باقي السفن فقد وصلت سالمة إلى ميناء قرطاجة(٨٥٩). ويعلق المؤرخ الكبير إسحاق عبيد(٨٦٠) على غرق التماثيل الرومانية قائلاً: "ولعل الدارس يرى في هذه الحادثة علامة على غرق حضارة بأكملها". والباحث من جانبه يرى أنه يجب على العالم أن يكدس جهوده للبحث عن هذه الحضارة الغارقة في مياه البحر الأبيض المتوسط.

وعلى أية حال، فقد كان جيزريك صادق الوعد مع البابا ليو الأول وذلك لأنه حافظ على السكان والمباني بدون أي ضرر كما أن الحرق العمد في مدينة روما -مثلما ثبت تمامًا- لم يقع(٨٦١).

والجدير بالذكر، أن الإمبراطورة يودوكسيا كانت تتوقع من الوندال أن يعاملوها معاملة كريمة، ولكن آمالها ضاعت أدراج الرياح، لأن الوندال استولوا على ما لديها من جواهر، بل وحملوها أسيره إلى قرطاجة(٨٦٢). ولذلك لم يحز جيزريك على ثقتها، بسبب أعماله الغير أخلاقية التي ارتكبها في المدينة(٨٦٣).

وعلى كل، لقد أثبتت حملة جيزريك على مدينة روما أنه لم يقم بها لتخليص الإمبراطورة يودوكسيا من زوجها الإمبراطور بيترونيوس ماكسيموس، ولكن الهدف من ذلك هو النهب والسلب. كما أثبتت مدى النفوذ الذي كانت تتمتع به البابوية في الغرب، والدور السياسي الذي راحت تلعبه هناك منذ ذلك الوقت. ولقد أثبتت الأحداث- بما لا يدع مجالاً للشك- أن اغتيال القائد العظيم إئتيوس سنة ٤٥٤م على يد الإمبراطور فالنتيان الثالث كان وبالاً على الإمبراطورية

---

(859) Procopius: op.cit., vol. II, p. 49.

(860) من آلارك إلى جستنيان، ص ٩٠.

(861) Norwich: op.cit., p. 163; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308.
يشير المؤرخ إيفاجريوس إلى أن جيزريك أشعل النار في مدينة روما ودمر كل شيء فيها انظر:
The Ecclesiastical History of Evagrius., p. 83.

(862) Lisa Ripperton: op.cit., 2.

(863) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38.

الرومانية الغربية. كما يذكر بعض المؤرخين أيضاً أن جيزريك أصبح، منذ ذلك الوقت، سيدًا للبحر المتوسط، ومحورًا للتاريخ الأوربي[٨٦٤].

وتقول الأحداث إنه بعد عودة الوندال والمغاربة إلى الشمال الأفريقي فقد اقتسموا الأسرى الرومان فيما بينهم[٨٦٥]. ويذكر البعض من المؤرخين أن الوندال عاملوا يودوكسيا معاملة طيبة بسبب وضعها الاجتماعي[٨٦٦]. ولكن باقي الأسرى عانوا معاناة شديدة بسبب العذاب الذي وقع عليهم من قبل الوندال. ولقد لعب ديوجراتسياس Deogratias- أسقف مدينة قرطاجة- دورًا كبيرًا في تخفيف آلام هؤلاء الأسرى. حيث يقال أنه باع الأواني المقدسة لكنيسته لكي يشتري الأسرى، ويعيد الأسر بعضها إلى بعض لا سيما وأن الوندال كانوا قد فرقوا شمل تلك الأسر، عن طريق بيع الأزواج والزوجات والأطفال كل على حدة، وهذه عادة كان الوندال يتصفون بها[٨٦٧].

ولم يكن أسقف مدين قرطاجة هو الذي قدم المساعدات فقط للأسرى بل قدمتها أيضًا الإمبراطورة يودوكسيا[٨٦٨].

وعلى أية حال، اعتلى ماركوس ماكيليوس فلافيوس أباركيوس أفيتوس Marcus Maecilius Flavius Eparchius Avirus (٤٥٥- ٤٥٦م) عرش الإمبراطورية الرومانية في الغرب وسط هذه المعاناة الشديدة التي كانت تعانيها مدينة روما[٨٦٩].

---

(864) Cam. Med. Hist. vol. I, p. 309.

(865) Jacquin: op.cit., Tom. II, p. 417; Can. Med. Hist. vol. I, p. 308.

(866) Perkins: op.cit., p. 17.

(867) Loc- cit.; Karl Paus and other, op.cit., vol. II, p. 605; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308; Gibbon: op.cit., vol. II, p.
إسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

(868) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 39.

(869) Priscus: Fragment, vol. II, (G.B., 1983), 333; Gregory of Tour: op.cit., p. 128; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38.
تمت المناداة بأفيتوس إمبراطورًا في مدينة تولوزا بغالة في ٩ يوليو سنة ٤٥٥م. انظر:
Evagrius: op.cit., (Not92), p. 83; Scarre: op.cit., p. 231.

وعلى الفور بعث بسفارة إلى القسطنطينية يناشد فيها الإمبراطور البيزنطي مارقيان (٤٥٠-٤٥٧م) Marcian أن يساعده في القيام بهجوم مشترك ضد الوندال في الشمال الأفريقي، وذلك لأنه في حاجة إلى الأسطول البيزنطي(٨٧٠). ويبدو أنه خلال هذه السفارة راح يطالبه بالاعتراف به إمبراطورًا، ولكن مارقيان رفض؛ لأن اختياره لم يتم عن طريق القسطنطينية(٨٧١). ولكن البعض يذكر أن الإمبراطور مارقيان اعترف به زميلاً له في الغرب(٨٧٢).

وبخصوص السفارة التي أرسلها الإمبراطور أفيتوس إلى مارقيان فإن المصادر التاريخية القديمة والمراجع الحديثة لم تقدم لنا أية معلومات حول ما إذا كان مارقيان قد رد على أفيتوس أم لم ير، ولكن لماذا لم تقم القسطنطينية بالإشتراك في عمل عسكري مع الإمبراطورية الغربية في عهد الإمبراطور مارقيان؟

وهناك قصة مفادها أن مارقيان عندما كان جنديًا في حلمة أسبار سنة ٤٣٢م ضد الوندال في الشمال الأفريقي وقع أسيرًا ثم حمل مع مجموعة من الأسرى إلى قصر جيزريك في قرطاجة، ولأنه انتظر هناك لمدة طويلة تحت حرارة الشمس اللافحة فقد غالبه النوم، وبينما كان جيزريك ينظر من النافذة فقد وجد نسرًا ضخمًا يحوم فوقه ويظلله بجناحه، ولذلك أدرك على وجه السرعة أن هذا الفتى سيكون له مستقبلاً باهرًا. فاستدعاه، وأخبره بأنه سيطلق سراحه في مقابل وعد منه بأنه إذا أصبح أو تولى في يوم ما إمبراطورًا أو أي منصب آخر

أشار المؤرخ ثيوفانيز إلى أن ماجوريان هو الذي حكم بعد ماكسيموس وليس أفيتوس.
أنظر: The Chronicle, p. 167.
وللمزيد من التفاصيل عن تولية ماجوريان انظر:-
Bury: op.cit., vol. I, pp. 326- 327: Wolfram: op.cit., p. 179.

(870) Cam. Med. Hist., vol. I, p. 309.

(871) Livermore: op.cit., pp. 100- 101.

(872) Bury: op.cit., vol. I, p. 326; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 423.

لا يحمل السلاح ضد الوندال مرة أخرى فوافق مارقيان على ذلك وأقسم أنه لن يحمل السلاح مرة أخرى ضد الوندال(٨٧٣).

والحقيقة أن هذه القصة التي هي عبارة عن أسطورة لا يمكن أن تكون سببًا في عدم قيام الإمبراطور مارقيان بعمل عسكري ضد الوندال ولكن يمكن القول فقط إن ظروف بيزنطة العسكرية لم تكن تؤهلها في ذلك الوقت للقيام بمثل هذا العمل الضخم، وخصوصًا أن بيزنطة كانت منهكة بسبب حربها الطويلة مع الهون.

ومهما يكن من أمر، فإن الإمبراطور مارقيان الذي كان يكن كراهية شديدة إلى جيزريك- وذلك بسبب الأعمال الهمجية التي ارتكبها في مدينة روما- لم يتخل عن قضية روما مع الوندال(٨٧٤).

فيروي لنا المؤرخ العظيم بريسكوس(٨٧٥) أن الإمبراطور مارقيان بعث بالسفارات إلى جيزريك يطالبه بالخروج من الأراضي الإيطالية، وإطلاق سراح يودوكسيا- سليلة البيت الإمبراطوري- وبناتها، "ولكن هذه السفارات عادت إلى مدينة القسطنطينية فارغة الأيدي، وذلك لأن جيزريك لم يهتم بهؤلاء الذين أرسلهم الإمبراطور مارقيان، ولم يعطهم وعدًا بالانسحاب من أراضي الإيطالية، أو إطلاق سراح يودوكسيا وبناتها".

ولم تقتصر علاقات الإمبراطور مارقيان مع جيزريك على السفارات السابق ذكرها، بل بعث إليه بالعديد من الخطابات(٨٧٦).

والحقيقة أن بريسكوس لم يذكر كم عدد هذه الخطابات، كما أنه لم يوضح ما إذا كان جيزريك قد رد على هذه الخطابات أم لم يرد. ولكن يبدو أن جيزريك لم يعط بالاً للإمبراطور مارقيان.

---

(873) وللمزيد من التفاصيل عن هذه القصة انظر:
Theophanes: op.cit., 161; Georgii Cedreni, Tomus, 121; cf. also, Norwich: op.cit., p. 165.

(874) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147; Evagrius op. cit., p. 83.

(875) Fragments., vol. II, p. 333; Bury: op.cit., vol.p. 327.

(876) Priscus: op.cit., vol. II, p. 333.

ولكن مارقيان لم ييأس وبعث بليدا- أحد الأساقفة الأرثـوذوكس- إلـى جيزريك، ولكن جيزريك لم يهتم بمطالب الإمبراطور مارقيان، عنـدما أطلعـه عليها بليدا، الأمر الذي دفع بليدا لتغيير لهجة حديثة مع جيزريك، فبعد أن كانت تتسم بالورد تحولت إلى التهديد والوعيد، لقد أخبر بليدا جيزريك "بأنه إذا كـان يتيه فرحًا بالنجاح الذي حققه آنذاك، فإنه من مصلحته، والأفيـد لـه ألا يثيـر إمبراطور الرومان الشرقيين (مارقيان) ومن ثم يجبره على إعلان الحرب عليه بسبب عدم إطلاق سراح الإمبراطورة يودوكسيا وبنتيها"(٨٧٧).

والحقيقة أن جيزريك، كما قال بريسكوس(٨٧٨)، لم يستمع إلى نصـيحة بليدًا؛ بإطلاق سراح الإمبراطورة يودوكسيا، ولم يتأثر بتهديداته الناريـة التـي كانت من المفترض أن تجعله يغير من سلوكه تجاه الإمبراطور مارقيان. ولكن جيزريك- في تحد سافر لمرقيان- قام بطرد بليدا من بلاطـه دون تحقيـق أي نتائج تذكر.

وعلى الجانب الآخر، بعث الإمبراطور أفيتوس سفارة إلـى جيزريـك مذكرًا إياه بالإتفاقات القديمة(٨٧٩)، وراح يهدده بأنه إن لم يلتزم بهـا، ويحـافظ عليها فإنه سيرسل ضده حملة عسكرية ضخمة، "وأن هذه الحملة لن تكون مؤلفة من قواته فقط بل أيضًا ومن قوات حلفائه"(٨٨٠).

---

(877) Ibid, pp. 333-335.

(878) The Fragment, p. 335.

(879) الاتفاقيات القديمة، هي اتفاقية سنة ٤٣٥م، واتفاقية سنة ٤٤٢م، والأخيرة هي التي قسمت أفريقيا بين الوندال والإمبراطورية الغربية. حيث أعطت للوندال موريتانيا تينجيتانا (مراكش- أي المغرب) Mauretania Tingitana، الواقعة عبر مضيق جبل طارق، Byzacena, Proconsularis أو Zugyitana ونوميدا Numidia (الجزائر) في حين أخذت الإمبراطورية مرويتانيا القيصرية Mauretania, Cirtan Numidi Sitifensis, Caesariensis وطرابلس Triopolis، وللمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدات. انظر: Procopius: op.cit., vol. II, Book, III, p. 137, 39 cf. also, Wolgram: op.cit., p. 166; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 307, 413; Merrilles: op.cit., p. 39; Deanesly: op.cit., p. 76; Karl Baus: op.cit., p. 603.

(880) Priscus: op.cit., vol. II, p. 335. c. also. Cam. Med. Hist., vol. I, p. 422; Bury: op.cit., vol. I, p. 327.

وعلى ما يبدو أن جيزريك كان قد استولى في سنة ٤٤٥م، وبعد عودته من غزو مدينة روما، على بعض الأراضي التي كانت تخص الإمبراطورية الغربية طبقًا لإتفاقية سنة ٤٤٢م[٨٨١]. وهذه هي الأراضي الإيطالية التي كان الإمبراطور مارقيان يطالب بعودتها من خلال سفاراته وخطاباته إلى جيزريك.

ولكن جيزريك كان صلفًا إلى حد كبير؛ فلقد ازدرى كل من الإمبراطور مارقيان- الإمبراطور البيزنطي- وأفيتوس- الإمبراطور الغربي- وأرسل أسطولا لمهاجمة صقلية[٨٨٢]، والأراضي الإيطالية المجاورة لها، ولقد قامت يومها القوات الوندالية بتخريب تلك الأراضي[٨٨٣]. وعلى أية حال، من خلال الإشارات الغير كافية للمؤرخين يتضح لنا أن حملة جيزريك هذه كانت في عام ٤٥٦م[٨٨٤]. وواقع الأمر أننا لم نجد أية تفاصيل أكثر من ذلك عن هذه الحملة.

أما الإمبراطور أفيتوس، فقد أرسل، وعلى وجه السرعة قائده العظيم ريكيمير Ricimer[٨٨٥]، على رأس أسطول ضخم للدفاع عن صقلية والأراضي الإيطالية، ويومها تمكن ريكيمير من هزيمة فرقة عسكرية من الوندال في جزيرة أجريجنتوم Agrigentum، المجاورة لجزيرة صقلية ومن ثم كان

---

(881) Bury: op.cit., vol. I, p. 327; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 422.

(882) صقلية: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا شددت، وبعض يقول بالسين وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام: وبين الجزيرة وبر إفريقية مائة وأربعون ميلا. ياقوت الحموى: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، جـ ٣ (بيروت، ١٩٩٠م)، ص ٤٧٣ ويفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق مسين. انظر: عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجم أمين توفيق، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص٨.

(883) Priscus: op.cit., p. 335.

يذكر بيوري أن الأسطول الوندالي كان مكونًا من ستين سفينة. انظر:

The Later Roman Empire, vol. I, p. 327.

(884) Deanesly: op.cit., p. 77.

(885) ريكيمير Ricimer: رجل ذات أصول جرمانية، فوالدته ابنة واليا Wallia ملك القوط الغربيين، ووالده سويفي Sueve الأصل، كان يعمل ريكيمير في خدمة الإمبراطورية الغربية، ولقد عينه الإمبراطور أفيتوس سيدًا للجند، منذ ٤٥٦ وحتى وفاته ٤٧٢م. أنظر:

Bury: op.cit., vol. I, p. 327; Hadas: op.cit., p. 243.

الوندال مجبرين على الهروب، ولكن ريكيمير تابعهم وأنزل بهم هزيمة بحريــة في المياه الكورسيكية(٨٨٦).

ولقد كان من أهم نتائج حملة ريكيمير البحرية، والانتصار الذي حققــه على الأسطول الوندالي قرب جزيرة كورسيكا Corsica والواقعة فــي غــرب البحر المتوسط، قيامه بخلع الإمبراطور أفيتوس من عرش الإمبراطوريــة فــي ١٧ أكتوبر سنة ٤٦٥م(٨٨٧).

والجدير بالذكر، أنه لم يتم اختيار إمبراطــورًا جديــدًا للإمبراطوريــة الغربية على وجه السرعة، وهذا في حــد ذاتــه يعــد توقــف مؤقــت للحكــم الإمبراطوري، المنفصل في الغرب، ولذلك كان من الطبيعي القول إنه مــن ١٧ أكتوبر سنة ٤٥٦م وحتى ١ ابريل سنة ٤٥٧م كانت هناك فترة خلــو كرســي الملك في الغرب، ولكن لا ينبغي علينا أن ننسى أنه من الناحية النظرية فإن هذه العبارة تكون غير صحيحة، وذلك لأنه من الناحية القانونية فــإن الإمبراطــور مارقيان كان الحاكم الوحيد للإمبراطورية منذ سقوط أفيتوس في ١٧ أكتوبر سنة ٤٥٦م وحتى وفاته في نهاية يناير سنة ٤٥٧م كما أن الإمبراطــور ليــو الأول (٤٥٧- ٤٧٤م) Leo I، الذي تولى بعده كان الحاكم الوحيدة للإمبراطورية في الغرب، ولمدة ثلاثة شهور بعد وفاة الإمبراطور مارقيان(٨٨٨).

اعتلى ماجوريان (٤٥٧- ٤٦١م) Majorian عرش الإمبراطورية في الغرب، من قبل مجلس الشيوخ الروماني(٨٨٩). ولكنــه لــم يكــن معترفًــا بــه

---

(886) Priscus: op.cit., vol. II, p. 533; Bury: op.cit., vol. I, p. 327: Cam. Med. Hist., vol. I, p. 309; Gibbon: op.cit., vol. III, pp. 612- 613.

(887) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 533, 537. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 328; Jones: op.cit., p. 89; Bovere M: Mediterranean Cross Currents, Tr. From Germany, by Louisa Marie, (London, 1938), p. 120; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 613.

(888) Bury: op.cit., vol. I, pp. 328- 329: Cam. Med. Hist.

(889) Gregory of Tour: op.cit., p. 128; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 329; Jones: op.cit., p. 98; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 616.

إمبراطورًا من قبل الإمبراطور البيزنطي ليو الأول[٨٩٠]. ولذلك فإنــه – علــى الأقل– يكون فاقدًا الشرعية، وذلك لأن شرعية أي إمبراطور يتولى الحكم فــي إيطاليا اعتمدت على كونه معترفًا به كزميل بواسطة الإمبراطور القــابع علــى العرش في القسطنطينية، وعلى هذا الأساس فإن المؤرخ بيوري، في رأيه أنــه لكي يكون حكم أي إمبراطور راسخًا في الغرب، فلابد من أني نــال اعتــراف إمبراطور الشرق، وهذا ما حصل عليه الإمبراطور ماجوريان[٨٩١].

ولقد كان الهدف الأساسي لإمبراطور ماجوريان خــلال فتــرة حكمــه استرداد أفريقيا من الوندبال[٨٩٢]، وذلك لأنــه كــان يــرى أن ضــياع ليبيــا Libya[٨٩٣] من الإمبراطورية الرومانية الغربية يمثل خسارة كبرى لها، ويحط من هيبتها[٨٩٤]، وفي نفس الوقت كان يبحث لنفسه عن دور في التــاريخ لكــي يثبت ذاته ويظهر أنه أهل لمثل هذه الأعمال الكبرى[٨٩٥].

ويمكن أن تظهر في ذلك الوقت كبداية سعيدة، أنه لم يكد يمضي علــى اعتلاء ماجوريان العرش الإمبراطوري وقت طويل حتى نجحــت فرقــة مــن

ارتبكت بعض المصادر التاريخية فجعلت ماجوريان بعد ماكسيموس. انظر:
Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Evagrius: op.cit., p. 83.
أما المؤرخ جورافيز فقد ذهب أبعد من ذلك عندما قال: "ولقد تولى بعد الإمبراطور ماكسيموس ماجوريان، بأمر من الإمبراطور الشرقي مارقيان". أنظر: The Origim and Deeds of the Gothe, p. 56.
تقريبا لأربع سنوات منذ ١ أبريل سنة ٤٥٧م حتى ٢ أغسطس سنة ٤٦١م.
انظر: Evagrius: op.cit., 83 (Not 92).

(890) Downey: op.cit., p. 84; Grant: op.cit., p. 54; jones: op.cit., p. 89; Treadgold w. : A concise History of the Byzantine Empire Palgrave, 2001), p. 151.

(891) Bury: op.cit., vol. I, p. 329.

(892) Livermore: p. 103. op.cit.,

(893) ليبيا Libya: مصطلح كان اليونان يطلقونه على كل ما عرفوه من الشمال الأفريقي عدا مصر وأثيوبيا. انظر:
زاهر رياض: شمال أفريقيا في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ٧ (هامش١).

(894) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p, 65.

(895) Bury: op.cit., vol. I, p. 331.

القوات الرومانية في هزيمة بعض القوات الوندالية والمغاربة، التي كان يتولى قيادتها صهر الملك جيزريك وقتلت الكثير منها، ومن ضمنها صهر الملك نفسه، وذلك عندما كانت تقوم بغارة على الجنوب الإيطالي من أجل النهب والسلب[٨٩٦].

وفي غضون ذلك، تقدم ماجوريان على رأس جيش ضخم، في شتاء سنة ٤٥٨- ٤٥٩م إلى غاله، حيث نجح في إخماد التمرد الذي قام به القوط الغربيون والبرجنديون وغيرهم، بسبب سقوط الإمبراطور السابق أفيتوس. كما نجح في تسوية نفس الأمور في أسبانيا، وذلك بهدف استخدامها كقاعدة لإعداد الأسطول في موانيها للهجوم على الوندال[٨٩٧].

ويبدو أن جيزريك قرأ ما يدور في ذهن الإمبراطور ماجوريان، ومن ثم فقد سعى جاهدًا في سنة ٤٥٧م، في التوسط لإنهاء الصراع الدائر بين القوط الغربيين والسويفي في أسبانيا، وذلك بهدف إقامة تحالف ثلاثي ضد الإمبراطورية الرومانية الغربية ولكنه فشل[٨٩٨]، بسبب التقارب بين القوط الغربيين والإمبراطور ماجوريان[٨٩٩].

وعلى كل، وصل الإمبراطور ماجوريان إلى أسبانيا في مايو سنة ٤٦٠م، واتخذ من سراقوسطه Saragossa مقرًا لإقامته[٩٠٠].

وتشير المصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة إلى أن ماجوريان استطاع، في غضون ذلك جمع قوات ضخمة وأسطول مكون من ثلاثمائة

---

(896) Gibbon: op.cit., vol. III, p. 621; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 309.

(897) Priscus: op.cit., vol. II, p. 337; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 330-331; Wolgram: op.cit., p. 180; Cam. Med. Hist., vol.. I, p. 423.

(898) Wolfram: op.cit., p. 180; Cam. Med. Hist., vol. I. p. 309.

(899) Livermore: op.cit., p. 104.

(900) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 65; Theophanes: op.cit., p. 184. cf. also, Livermore: op. cit., p. 104.

سفينة[٩٠١] جمعت من الساحل الأسباني[٩٠٢]، ورست في ميناء أليكانتيه Alicante الأسباني، للإيجار مباشرة ضد الوندال[٩٠٣].

وينفرد المؤرخ بروكوبيوس[٩٠٤] بقصة غريبة ربما يصعب قبولها وهذه القصة مفادها أن الإمبراطور ماجوريان قبل عبوره إلى أفريقيا رغب في معرفة قوة عدوه، والوقوف على مدى العلاقة التي تربط بين البربر والرومان من سكان ليبيا وجيزريك. ولأن ماجوريان رغب في معرفة ذلك بنفسه فقد سافر إلى الشمال الأفريقي كما لو كان مبعوثًا للإمبراطور. وخوفًا من اكتشافه من قبل جيزريك غير من هيئته. لدرجة أن جيزريك لم يتعرف عليه عندما قابله، "لقد سعى هذا البربري (جيزريك) بشتى الطرق لإلقاء الرعب في قلبه (ماجوريان).. وعامله بأسلوب جذاب وأحضره إلى منزله حيث كانت كل أسلحته مخزونة هناك". ثم يستطرد بروكوبيوس[٩٠٥] موضحًا أن ماجوريان عندما أنهى مهمته عاد إلى أسبانيا، وتقدم على رأس قواته حتى وصل إلى مضيق جبل طارق بهدف العبور من هناك. وعندما عرف جيزريك – فيما بعد- أن الذي كان يقف أمامه منذ وقت وجيز كان الإمبراطور ماجوريان، أصابه الرعب وراح يستعد للحرب.

ومهما يكن من أمر فقد بدأت آمال الشعب الروماني تزداد بسبب استعدادات الإمبراطور ماجوريان الضخمة في استرداد الشمال الأفريقي مرة أخرى من يد الوندال[٩٠٦].

وعندما شعر الملك جيزريك بأن الخناق يضيق عليه، "أضطر"، كما قال المؤرخ بريسكوس[٩٠٧]، "لإرسال السفارات إليه (إلى مارجوريان) محاولاً تسوية

(901) Priscus: op.cit., p. 337; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339.

(902) Bury: op.cit., vol. I, p. 331.

(903) Livermore: op.cit., p. 104, Cam. Med. Hist., vol. I, p. 423.

(904) History of the Wars, Book III, p. 65. cf. also. Gibbon: op.cit., vol. III, p. 623.

(905) Ibid, p. 67.

(906) Procopius: op.cit., vol. II, Book. III, p. 67, 69.

(907) The Fragments, vol. II, p. 337.

الخلافات القائمة بينهما عن طريق المفاوضات وليس الحرب ولكن ماجوريان رفض التفاوض". وأخذ بالمبدأ القديم القائم: "بأن روما لا يمكن أن تنعم بالأمان طالما بقيت قرطاجة في حالة عداء"(٩٠٨). ويبدو أن رفض ماجوريان التفاوض لم يأت من فراغ بل يعود إلى ثقته في نفسه وقواته التي جمعها، وأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من إعادة الشمال الأفريقي إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية الغربية.

وعلى آية حال، إن يأس جيزريك من إقامة السلام مع الإمبراطور ماجوريان، دفعة إلى القيام بتخريب جميع الأراضي المغربية التي ستنزل فيها قوات الإمبراطور ماجوريان عند عبورها من أسبانيا(٩٠٩). وبخصوص هذه النقطة يذكر بروكوبيوس(٩١٠)، أن جيزريك قام بإزالة جميع أسوار المدن الليبية ماعدا أسوار مدينة قرطاجة حتى لا يتمكن "أهل ليبيا من القيام بالثورة ضده، انطلاقًا من إحدى هذه المدن الحصينة حتى ولو تلقوا المساعدات من قبل الرومان"، وأيضًا لن تتمكن قوات حملة الإمبراطور ماجوريان من الاستيلاء على أية أرض أو مدينة، وأن تقيم بها حامية عسكرية، لأنها سوف تكون عرضه- آنذاك- للهجوم من قبل الوندال. ولم يقتصر دور جيزريك على ممارسة أعمال التخريب، بل سمم جميع آبار المياه الموجودة في المنطقة التي من المنتظر نزول حملة الإمبراطور ماجوريان فيها؛ وطبيعي فإن ذلك كان بهدف حرمان الجيوش الرومانية من المياه(٩١١). كما دمر جيزريك الموانى التي تصلح لرسو السفن(٩١٢).

ومهما يكن من أم، فإن حملة الإمبراطور ماجوريان لم يكن من المستطاع تنفيذها أن ذاك، وذلك لأن الوندال استطاعوا عن طريق خيانة بعض

---

(908) إدوارد جيبون: إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٢، ترجمة محمد سليم سالم مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ص ٢٠٧.

(909) Loc. cit.

(910) History of the Wars, vol. II, Book. II, p. 49.

(911) Priscus: op.cit., vol. II, p. 337. cf. also, Cam. Med. Hist. vol. I, p. 309.

(912) اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩١.

قادة الإمبراطور ماجوريان الاستيلاء على عدد كبير من سفن هـذا الأسـطول الروماني التي كانت ترابط خارج ميناء إليكانتيه البحـري وأحرقـوا وأغرقـوا الكثير منها. الأمر الذي أدى لانهيار مشروع الحملة[٩١٣]. وتخلى ماجوريان عن القيام بها، في سنة ٤٦١م[٩١٤].

وهنا نجد أن المؤرخ يوحنا الإنطاكي[٩١٥]، الذي ينقل عن بريسـكوس، يقول: إن الإمبراطور ماجوريان عقد معاهدة مع جيزريك. "بشروط مخزية" ولم يوضح ما هي هذه الشروط المخزية. ولكن أحد المؤرخين المحدثين يقـول: إن ماجوريان اعترف في معاهدته مع جيزريك بحقه، أي جيزريك، في الممتلكـات الجديدة التي استولى عليها في الشمال الأفريقي منذ سنة ٤٥٥م[٩١٦].

ولعل النتيجة الوحيدة التي ترتبت على فشل حملة الإمبراطور ماجوريان ضد جيزريك هي أنه أثناء عودة ماجوريان لإيطاليا تم القـبض عليـه وقتلـه بواسطة ريمكيمير في ٢ أغسطس سنة ٤٦١م[٩١٧]، ويتهكم ويحنا الأنطاكي[٩١٨] على هذه النهاية المخزية قائلاً: وكانت هذه هي نهاية الإمبراطور ماجوريـان". حقًا إنها نهاية مؤسفة.

والواقع، أن جيزريك وجد في سياسة الإمبراطور ماجوريـان العدائيـة ضده ذريعة جديدة لزيادة أعمال الاضطهاد ضد الكاثوليك في الشمال الأفريقـي

(913) Bury: op.cit., vol. I, pp. 332; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 310.

(914) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339. cf. also, Treadgold: op.cit., p. 152.

(915) The Fragment, vol. II, p. 339.

(916) Cam. Med. Hist. vol. I, p. 310.

(917) وللمزيد من التفاصيل عن نهاية ماجوريان. انظر:
John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339; Gordanes: op.cit., p. 56. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 332. Cam. Med. Hist. vol. I, p. 424; Wolgram op. cit., p. 180; John: op.cit., p. 90.
ولكن المؤرخ بروكوبيوس يذكر أن الإمبراطور ماجوريانوس مرض بمرض الدوسنتاريا Dysentery ومات في سنة ٤٦١م. انظر:
History of the Wars, vol. II, Book III, p. 69.

(918) The Fragments., Vol. II, p. 339.

فأمر أتباعه بجمع كل الكتب المقدسة والأواني الكنسية من الكنائس، كما استولى رجاله على ستائر الكنائس وحولوها إلى ملابس يلبسونها، وإمعانًا في زيادة إذلال الكاثوليك، فقد أغلق الوندال دور العبادة الخاصة بهم، وعندما تجمع الكثير من الكاثوليك في إحدى المرات للاحتفال بعيد الفصح[٩١٩] في كنيستهم هجم عليهم الوندال وأبادوهم جميعًا في قلب الكنيسة، كما أجبر الوندال عددًا كبيرًا من الأساقفة الكاثوليك على اعتناق الأرثوذكسية، أما الذين رفضوا ذلك فقد تم التخلص منهم إما عن طريق القتل أو الحرق[٩٢٠].

وتقول الأحداث، إنه بعد التخلص من الإمبراطور ماجوريان أنعم ريكيمير بالإرجوان الإمبراطوري على ليبيوس سيفيروس (٤٦١-٤٦٥م) Libius severus[٩٢١].

وكان من المفترض أن نسمع من المؤرخين آية معلومات عن سعي الإمبراطور ليبيوس سيفيروس لدى البلاط القسطنطينية للحصول على الإعتراف به إمبراطورًا في الغرب، ولكن كل الذي قاله المؤرخون هو أن ليبيوس سينيروس لم يتم الإعتراف به في مدينة القسطنطينية[٩٢٢]. ولقد كان الحاكم الحقيقي في مدينة روما هو ريكيمير وليس الإمبراطور سيفيروس[٩٢٣].

---

(919) عيد الفصح: هو العيد الكبير الذي يفطر فيه المسيحيون ويحتلفون فيه بذكرى قيام السيد المسيح من قبره، واجتماعه مع حواريه وتناول الطعام معهم وكلمهم وأوصاهم وأقام في الأرض أربعين يومًا. انظر: قاسم عبده قاسم أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ١٢٠. ولنفس المؤلف دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، (القاهرة، ١٩٨٣)، ص ١٠٤.

(920) اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩١.

(921) Nicephore Callisti: op. cit., Tomus 147, p. 38; Gordames: op. cit., p. 56, cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 332, Gibbon: op. cit., vol. III, p. 625.

يذكر المؤرخ ثيوفانيز أن سيفيروس تولى إمبراطورًا في شهر يوليه سنة ٤٦١م. انظر: The Chronicle, p. 175.

Evagrius: op. cit., p. 83 (Not 92).

(922) Bury: op.cit., vol. I, p. 332; Croke B.: Count Marcellinus and his Chronicle, (oxford, 2001), p. 175. Treadgold: op.cit., p. 152; Downey: op.cit., p. 84.

(923) Bury: op. cit., vol. I, p. 333.

وعلى أية حال، كانت النتيجة التي ترتبت على تولية الإمبراطور ليبيوس سيفيروس هي إعلان الملك جيزريك- وعلى وجه السرعة- التنصل من الاتفاقية التي عقدها مع الإمبراطور ماجوريان، وأرسل قوة من الوندال والمغاربة لممارسة أعمال النهب والسلب في إيطاليا وصقلية(٩٢٤).

ويبدو، أنه مما شجع جيزريك على مهاجمة جزيرة صقلية، مغادرة الكونت ماركللينوس(٩٢٥) لها، وذلك بسبب العداء بينه وبين ريمكير، الذي استطاع عن طريق الرشاوي استمالة أتباع ماركللينوس من الهون للعمل في خدمته. ولأن ماركللينوس كان يعلم أنه لن يقوي على منافسة ريكيمير وخوفًا على نفسه من الاغتيال فقد غادر إلى دالماشيا، حيث حكم تحت سيادة الإمبراطور ليو الأول، وربما كان ذلك بلقب سيد الجند في دالماشيا(٩٢٦).

ويتحدث المؤرخ بريسكوس(٩٢٧) عن سفارات أرسلت من قبل الإمبراطور البيزنطي ليو الأول، وريكيمير إلى جيزريك تطالبه بضرورة المحافظة على الاتفاقية التي عقدها مع الإمبراطور السابق ماجوريان، وكذلك الإنسحاب من إيطاليا وجزيرة صقلية، والعمل أيضًا على عودة الإمبراطورة يودوكسيا وبنتيها.

---

(924) Priscus: op.cit., vol. II, p. 337. cf. also, Cam. Med. Hist., vol. I, p. 310.

(925) الكونت ماركللينوس: كان ماركللينوس Marcellinus واحدًا من رجال إئتيوس رقى إلى منصب الجند في دالماشيا Dalmatia. رفض تقديم الطاعة إلى الإمبراطور فالنتنيان الثالث بعد اغتيال إئتيوس؛ ولكن عندما اعتلى ماجوريان عرش الإمبراطورية، قدم ماركللينوس الولاء والطاعة إليه، لأنه كان من رجال إئتيوس، ولذلك فقد أوكل إليه ماجوريان مهمة الدفاع عن صقلية ضد الوندال، ولكن سقوط ماجوريان دفعه إلى الثورة- لا سيما بعد ما غادر صقلية إلى دالماشيا – وجعل من نفسه حاكمًا مستقلاً لها. كان ماركللينوس وثنيًا، ورجل سياسة من الطراز الأول. انظر:
Gibbon: op.cit., vol. III, p. 626; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 425; Bury: op.cit., vol. I, p. 333.

(926) Priscus: op.cit., vol. II, p. 333; Treadgold: op.cit., p. 152.

(927) Fragments., vol. II, p. 337.

والواضح أن سفارات الإمبراطور ليو الأول وريكيمير قد تعددت إلى جيزريك، ولكنها لم تحقق أية نتائج تذكر سوى إطلاق سراح الإمبراطورة يودوكسيا- أرملة الإمبراطور فالنتيان- وابنتها بلاسيديا، وذلك لأن جيزريك كان قد زوج ابنتها الكبرى يودوكيا إلى ابنه هونريك Huneric[٩٢٨].

ويذكر بعض المؤرخين أن جيزريك تلقى في مقابل إطلاق سراح يودوكسيا وابنتها بلاسيديا، حصة من أملاك الإمبراطور فالنتيان الثالث كمهر إلى يودوكيا. وبذلك يمكن القول، إن عودة بلاسيديا قد أدت إلى قيام اتفاق سلام بين القسطنطينية وقرطاجة[٩٢٩].

ولكن على الجانب الآخر، فقد استمرت العلاقات العدائية بين روما وقرطاجة، وذل بسبب رفض ريكيمير تولية أوليبريوس Olybrius.، نبيل روماني عظيم- مرشح جيزريك- عرش الإمبراطورية الرومانية في الغرب بعد القضاء على ماجوريان، ولم تأت مطالبة جيزريك بذلك من فراغ، بل لأن أوليبريوس كان متزوجًا من بلاسيديا أخت يودوكيا زوجة ابنه هونريك. ولذلك لم تتوقف غارات جيزريك التخريبية على كل من إيطاليا وصقلية، بل إزدادت في حدتها[٩٣٠].

---

(928) Prscus: op.cit., vol. II, p. 337; Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 49; Evagrius: op.cit., p. 83; Theophanes: op.cit., p. 167, 169. cf. also, Norwich: op.cit., p. 163 (Not.1); Gibbon: op.cit., vol. III, p. 629.

يذكر بعض المؤرخين أن بلاسيديا عادت مع والدتها يودوكسيا إلى مدينة القسطنطينية في عهد الإمبراطور مارقيان، وعند ذلك أمر بزواجها من أوليبريوس Nicephori Callist. op.cit., Tomus 147, p. 38; Evagrius: op.cit., p. 83. يذكر بعض المؤرخين أن عودة بلاسيديا ويوديكسيا كانت في سنة ٤٦٢ أو ٤٦٣. انظر: Jacquin: op.cit., Tom. II, p. 419.

(929) Priscus: op.cit., vol. II, p. 343. cf. also. Bury: op.cit., vol. I,p. 334; Cam. Med. Hist, Vol. I, p. 310, Tread gold: op.cit., p. 152.

(930) Priscus: op.cit., vol. II, p. 337; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 340.

وإذا كان السبب الحقيقي في تزايد غارات جيزريك على إيطاليا وصقلية هو عدم تولية أوليبريوس إمبراطورًا في الغرب، فإنه كان يعلن أنت سبب ذلك هو عدم "تسلمه ممتلكات الإمبراطور فالنتنيان الثالث وإئتيوس فالأولى باسم يودوكسيا، لأنها زوجة ابنه هونريك، والثانية باسم جودنتيوس ابن إئتيوس، والذي كان يعيش، آنذاك، في بلاط جيزريك(٩٣١).

وعلى كل، أمام تهديد الوندال من ناحية، وتزايد قوة الكونت ماركللينوس، والخوف من إعلانه الحرب على الإمبراطورية الرومانية الغربية، من ناحية أخرى أرسل ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني السفارات للإمبراطور البيزنطي، ليو الأول يطلبون منه التدخل لإقامة السلام مع جيزريك والكونت مالركللينوس، وبالفعل وافق ليو على القيام بدور وسيط السلام. ويومها تمكن سيزه فيلارخيوس Phylarchus من إقناع ماركللينوس بعدم إشعال النار الحرب ضد الإمبراطورية الرومانية الغربية، ولكن فيلارخيوس فشل في سفارته إلى جيزريك، الذي رفض إقامة السلام مع الإمبراطورية الرومانية الغربية ما لم تسلم إليه أملاك الإمبراطور فالنتنيان الثالث وإئتيوس(٩٣٢).

ولقد استخدم جيزريك زريعة أملاك فالنتنيان وإئتيوس لاستمرار فتح باب العداوات مع الإمبراطورية الرومانية الغربية، ولذلك قاد حملات بحرية سنوية في بداية فصل الربيع ضد كل من صقلية وإيطاليا والعديد من المدن الإيطالية الأخرى، حيث قام بنهب وتخريب واستعباد أهل المدن التي لا توجد عليها دفاعات قوية، ولكنه في نفس الوقت لم يهاجم المدن الحصينة(٩٣٣).

ويلتمس المؤرخ بريسكوس(٩٣٤) العزز للإمبراطورية الرومانية الغربية بسبب عدم قدرتها على تأمين دفاعات جميع الأماكن التي يمكن أن تصل إليها هجمات الجيوش الوندالية، فيوضح أن ذلك يعود إلى "الكثير من المعوقات

---

(931) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339- 341.

(932) Priscus: op.cit., vol. II, p. 334. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 334.

(933) Priscus: op.cit., II, p. 343; cf. also, Gibbon: op.cit., vol. III, p. 628.

(934) The Fragment, vol. II, p. 343.

المتمثلة في كثيرة أعدائها من ناحية، وعدم وجود أسطول قوي من ناحية أخرى".

وحدث وقتئذ أن طلب ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني المساعدات العسكرية من الإمبراطور ليو الأول، ولكن دون جدوى. ولعل السبب في ذلك يعود إلى السلام القائم بين القسطنطينية من ناحية وقرطاجة من ناحية أخرى(٩٣٥). هذا السلام الذي حدث بعد عودة الإمبراطورة يودوكسيا وابنتها بلاسيديا إلى القسطنطينية.

وهنا نجد أن المؤرخ بريسكوس(٩٣٦) يتحدث بمرارة موضحًا أن السبب في "معاناة الرومان الغربيين- كما قال- يعود إلى انقسام الإمبراطورية الرومانية".

وعلى كل، أرسل ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني مرة أخرى سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي ليو الأول، لكي يوضحا له أنهم لم تعد لديهم القدرة على الاستمرار في مقاومة الجيوش الوندالية، ولذلك لابد من تدخله لإنهاء حالة الحرب بين روما وقرطاجة. ولم يتوان ليو الأول. فبعث بتاتيان Tatian سفيرًا إلى الوندال نيابة عن الإمبراطورية الرومانية الغربية. ولكن تاتيان عاد على

---

(935) Loc cit.

(936) The Fragments, vol. II, p. 343.

يعتبر العام الذي تولى فيه هونوريوس Honorius (٣٩٥- ٤٢٥) في النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية وأركاديوس Arcadius (٣٩٥- ٤٠٨) في النصف الشرقي وهو سنة ٣٩٥م- على يد والدهما الإمبراطور يثودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩- ٣٩٥) الذي كان آنذاك على فراش الموت، بداية الانفصال العملي، بين شطري الإمبراطورية الرومانية، إذ صار كل من هذين الإمبراطورين يعمل جاهدًا على الدفاع عن ممتلكاته دون النظر لوحدة الإمبراطورية، ولقد عجل هذا الانقسام بزوال النصف الغربي لا سيما هوأن حكام القسطنطينية كانوا مجبرين على أن يدافعوا عن أملاكهم ضد البرابرة وتخلوا تمامًا عن النصف الغربي. انظر:

Brehier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.Y.1976), p. 1; هسى: العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، (القاهرة، ١٩٨٢)، ص ٩٧؛ إبراهيم أحمد العدوى: المسلمون والجرمان، (القاهرة، ١٩٩٤م)، ص٩، (هامش١).

وجه السرعة إلى القسطنطينية دون التوصل لشيء مع الوندال وذلك لأن جيزريك رفض مقابلته(٩٣٧).

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى الاستخفاف بالإمبراطور ليو الأول من قبل جيزريك، لدرجة أنه لم يرض، حتى أن يقابل سفيره.

ولقد حدث في غضون ذلك تغير نوعي في العلاقات بين روما والقسنطنطينية، وذلك لأن الإمبراطور ليبيوس سيفيروس كان قد مات في ١٤ نوفمبر سنة ٤٦٥م(٩٣٨). ولمدة عام ونصف بعد سنة ٤٦٥م لم يكن هناك إمبراطورًا في الغرب، ولكن في مثل هذه الحالة فإن الإمبراطورية الرومانية الغربية، تكون من الناحية القانونية تحت سلطة الإمبراطور البيزنطي ليو الأول(٩٣٩). حتى لو يمارس هذه السلطة من الناحية العلمية(٩٤٠).

ولأن استرداد أفريقيا من الوندال كان ما يزال الهدف الأسمى لدى الإمبراطورية الرومانية الغربية، فإن ريكيمير كان الأمل ما يزال يراوده في استخدام القوة لطرد الوندال من هناك، ولكن القيام بهذا العمل لم يكن من المستطاع بدون قوة بحرية، وفقط كانت الإمبراطورية البيزنطية هي التي تمتلك هذه القوة، ولذلك راح ريكيمير يتقرب إلى الإمبراطور ليو الأول الذي استغل الفرصة، وأكد على حقه في تعيين إمبراطورًا للإمبراطورية الرومانية الغربية(٩٤١). وبدأت المفاوضات بالفعل بين الإمبراطور ليو وريكيمير لاختيار هذا الإمبراطور(٩٤٢)، ولكن أمد المفاوضات قد طال؛ لأنه في غضون ذلك كان جيزريك ما يزال يطالب بتولية أوليبريوس إمبراطورًا في الغرب ولكن ليو الأول لم يكن راغبًا في ذلك، وفي نفس الوقت لم يكن راغبًا في كسر اتفاقية

(937) Priscus: op.cit., vol. II, p. 345, 347.

(938) Livermore: op.cit., p. 106: Evagrius: op.cit., p. 83 (Not. 92).
يذكر البعض أن الإمبراطور ليبيوس سيفيروس مات في ١٥ أغسطس سنة ٤٦٥م.
انظر: Bury: op.cit., vol. I, p. 334.

(939) Bury: op.cit., vol. I, p. 334; Hadas: op.cit., p. 243.

(940) Thorndike: op.cit., p. 83.

(941) Livermore: op.cit., p. 106; Downey: op.cit., p. 84.

(942) Treadgold: op.cit., p. 152.

السلام القائمة بين القسطنطينية وقرطاجة، ولذلك أخر عملية اختيار إمبراطورًا في الغرب حتى نفذ صبر جيزريك وقام بالهجوم على البيلوبونيز Peloponnesus في سنة ٤٦٧م[٩٤٣].

وعند هذه النقطة، شعر الإمبراطور ليو الأول أن الوقت قد حان للقيام بعمل عسكري مشترك مع الحكومة الغربية ضد الوندال الذي أصبحوا الآن يهددون أراضيه. ولكن الخطوة الأولى للقيام بهذا العمل تمثلت في إيجاد رجل مناسب يتقلد السلطة الإمبراطورية في الغرب[٩٤٤]، وكاستجابة للسفارات التي بعث بها ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني، وقع اختيار ليو الأول أنثيميوس Anthemius، زوج ابنة الإمبراطور السابق مارقيان[٩٤٥]. ويذكر بعض المؤرخين أن أنثيميوس ربما يكون- بسبب زواجه من ابنة مارقيان- محسوبًا- إلى حد ما - نائبًا عن بيت ثيودوسيوس، ولذلك يمكن أن يكون منافسًا ضد أوليبريوس مرشح جيزريك[٩٤٦]. وهذا هو الحادث بالفعل، لأن الإمبراطور ليو الأول بتعيينه أنثيميوس رغب في إيقاف جيزريك عن المطالبة بتعيين أوليبريوس.

وعلى أية حال، بعث الإمبراطور ليو الأول على وجه السرعة بفيلا رخيوس سفيرًا إلى قرطاجة لينهى لجيزريك أمر تولية أنثيميوس إمبراطورًا في الغرب، ولكي يطالبه بالتوقف عن حملاته- القائمة على النهب والسلب- على

---

(943) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 53, 57. cf. also. Cam. Med. Hist. vol. I, p. 425.

(944) Bury: op.cit., vol. I, p. 334.

(945) Evagrius: Fragments, vol. II, p. 347: Gordanes: op.cit., p. 56; Theophanes. op.cit., p. 178; LevtchenkoM.V: Byzance, (Paris, 1949), p. 46.

كانت زوجة أنثيميوس هي إيليا مارقيا يوفميا. Aelia Marcia

Theophanes: op.cit., p. 178 (Not5).

أما أنثيميوس فهو سيناتور، ينتسب إلى إحدى العائلات الشرقية النبيلة، أمتلك ثروة طائلة وكان محبًا للفلسفة، ميالا للوثنية انظر: Procopius: Fragments, vol. II. p. 363 Bury: op.cit., vol. I, p. 339.

(946) Bury: op.cit., vol. I, p. 335.

كل من إيطاليا وصقلية فورًا، وإلا ستعلن بيزنطة الحرب على الوندال، ولكن فيلارخيوس عاد إلى القسطنطينية دون تحقيق أية نتائج تذكر سوى أنه أخبر الإمبراطور ليو– وعلى لسان جيزريك– بأن الأخير مشغولاً– في غضون ذلك– في الاستعدادات لشن الحرب على الإمبراطورية البيزنطية، بسبب انتهاكها للمعاهدة المعقودة بين الطرفين(٩٤٧).

وهكذا، فقد انفتح باب العداء على مصراعيه بين الوندال من ناحية والإمبراطورية الغربية وبيزنطية من ناحية ثانية وذلك لأنه عندما فشلت مساعي جيزريك في تولية أوليبريوس إمبراطورًا في الغرب استشاط غضبًا وبدأت غاراته المدمرة تجتاح جميع أراضي الإمبراطورية الغربية(٩٤٨).

وعندما أصبحت أراضي الإمبراطورية الغربية لا تفي باحتياجات الوندال من النهب والسلب بدأ جيزريك في تحويل سفن أسطوله تجاه أراضي الإمبراطورية البيزنطية ومن ثم فقد أعملت قواته النهب والسلب في الليريكوم Illyricum(٩٤٩) ومعظم البيلوبونيز وباقي بلاد اليونان وجميع الأراضي التي تقع على مقربة منها(٩٥٠).

وينفرد المؤرخ بروكوبيوس(٩٥١) بالقول إنه ذات يوم، وعندما كان جيزريك موجودًا على متن سفينته في ميناء قرطاجة، وفي الوقت الذي كانت تستعد فيه سفن أسطوله للإبحار، سأله الربان قائلاً: "سيدي ضد أي شعوب العالم تريدنا أن نذهب". فأجابه جيزريك قائلاً: "ضد أولئك الذي غضب عليهم الرب".

---

(947) Priscus: op.cit., vol. II, p. 347. cf. also, Cam. Med. Hist., vol. I, p. 310.

(948) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 57; The same auther: Fragment, vol. II, p. 363.

(949) ألليريكوم Illyricum (دالماشيا Dalmatia): منطقة تمتد من شمال شرق إيطاليا حتى مقدونيا، ومن الدانوب بطول حد مؤيزيا Moesia حتى إيبروس Eprius انظر:
Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (oxford, 1991), p. 302.

(950) Procopius: History of the Wars, vol II, Book III, p. 53.

(951) History of the wars, vol II, Book III, p. 55.

وهكذا، أصبح جيزريك سيدًا لعالم البحر المتوسط، فها هي سفن أسطوله تمخر عبابه وقتما تشاء، وتتوجه إلى أي مكان ترغب فيه دون رادع ومن ثم، كان لابد أن يقوم الإمبراطور ليو الأول بعمل عسكري ضده يقضي عليه نهائيًا، ويعيد الشمال الأفريقي إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية الغربية مرة أخرى. ترى، هل كان الإمبراطور البيزنطي ليو الأول يشعر بمدى مسئولية بيزنطية عن النصف الغربي من الإمبراطورية، أم أنه لم يتحرك إلا عندما بدأت خطورة الوندال تصل إلى الأراضي البيزنطية. ربما تكون الإجابة، أن بيزنطة لم تتحرك إلا عندما شعرت بالخطورة على أراضيها ولكنها كانت تشعر- في نفس الوقت- أن الأراضي التي ضاعت في الشمال الأفريقي أراضي رومانية ولابد من عودتها.

وبدأ الإمبراطور ليو الأول يعمل على وجه السرعة، فأرسل أسطولاً ضخمًا بقيادة ماركللينوس الدلماشي، لكي يقوم بتوصيل أنثيميوس إلى ايطاليا ليتولى منصبه هناك، ثم يتقدم ماركللينوس بعد ذلك إلى أفريقيا(٩٥٢).

وفي ١٢ أبريل سنة ٤٦٧م تمت المناداة بأنثيميوس إمبراطورًا قرب روما(٩٥٣)، وتزوجت ابنته من ريكيمير(٩٥٤).

وعندما أعلن ليو الأول عن هدفه بإرسال حملة عسكرية ضد الوندال في الشمال الأفريقي، قوبل مشروعة بفرحة عارمة في الغرب، وبدأت الاستعدادات تجري على قدم وساق(٩٥٥).

---

(952) Ibid, p. 57,. cf. also, Tredgold: op.cit., p. 153; wolfram: op.cit., p. 197; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 310.

(953) Bury: op.cit., vol. I, p. 335; Jones: op.cit., p. 90.

ذكر المؤرخ باشال Paschale أن أنثيميوس كان إمبراطورًا في مدينة روما سنة ٤٥٤ م. انظر:

Chronicon Paschale 284 628, p. 82.

(954) Livermore: op.cit., p. 106; Hadas: op.cit., p. 245.

(955) Norwich: Byzantium. P. 166.

ويذكر بروكوبيوس(٩٥٦) أن جيش الإمبراطور ليو الأول بلغ تعداده حوالي مائة ألف جندي. ولقد اتفق معه في هذا المؤرخين المعاصرين(٩٥٧). ولكن بخصوص عدد سفن الأسطول المؤرخين، ففي الوقت الذي يقول فيه البعض أن عددها بلغ حوالي ١٠٠٠ سفينة(٩٥٨). يقول البعض الآخر أنه بلغ حوالي ١١١٣ سفينة(٩٥٩). بينما يذكر فريق ثالث أن تعداد سفن الأسطول بلغ حوالي ١١٠٠ سفينة(٩٦٠). ووسط تضارب آراء المؤرخين فإن الباحث يميل إلى الآراء التي تراوحت أعدادها ما بين ١١١٣، ١١٠٠ سفينة، على اعتبار أن هذه الآراء هي الأغلبية.

وإذا ما تساءلنا عن كيفية الإتيان بكل هذه السفن، فإننا لا نجد إجابة كافية عن هذا السؤال، سوى قول بعض المؤرخين إن الإمبراطور ليو الأول جمعها من السواحل الشرقية للبحر المتوسط(٩٦١).

---

(956) History of the Wars, vol II, Book III, p. 55.

يذكر أحد المؤرخين أن بروكوبيوس يعتبر المؤرخ الوحيد الثقة، بعد بريسكوس لحملة الإمبراطور ليو الأول على الوندال سنة ٤٦٨م. انظر: Norwich: op. cit., p. 166.

(957) Bury: op.cit., vol. I, p. 335: M cope M.: The Empresses of Constantinople, (London, 1913), p. 9; Norwich: op.cit., p. 166: Cam. Med. Hist. vol. I, p. 310; Mathew Bunson: op.cit., p. 53; Levtchenko: op. cit, p. 46.

وانظر التحليل العظيم الذي قدمه المؤرخ تردجولد عن تعداد قوات الإمبراطور ليو الأول وفي رأيه أن تعدادها مائة ألف.

Byzantium and Its Army 284 1081, (U.S.A, 1995), p. 191.

(958) Mcriiles: op.cit., p. 40; Cameron: op.cit., p.28: Franzius: op.cit., p. 55.

(959) Georgii Cedreni: op.cit., Tomuas 121, p. 666. cf. also. Bury: op. cit., vol. I, p. 335; Matthew Bunson: op.cit., p. 53 Levtchenko: op.cit., p. 46.

(960) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 172; Cam. Med. Hist. vol. I, p. 310.

يذكر بعض المؤرخين أن تعداد سفن الإمبراطور ليو الأول بلغ حوالي ١٠٠٠٠٠ ألف سفينة. وهذا الرقم يعد مبالغ فيه بدرجة كبيرة. انظر: Theophanes: op.cit., p. 180.

(961) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 55; Theophanes. op.cit., p. 180. cf. also. Norwich: op.cit., p. 166.

ولم يكن هناك أيضًا اتفاق بين المؤرخين حول التكلفة الإجمالية للحملة فبعض الآراء تقول إن الإمبراطور ليو الأول أنفق على قواته حوالي ١٣٠,٠٠٠ ألف جنيه من الذهب(٩٦٢). في حين تقول أراء أخرى إن جملة النفقات بلغت حوالي ٤٧٠٠٠ ألف جنيه من الذهب بالإضافة إلى ١٧٠٠٠ ألف جنيه أخرى من الذهب من رؤساء الخزائن ٧٠٠٠٠٠ ألف جنيه من الفضة، بالإضافة إلى الأموال(٩٦٣). التي جمعت من المصادرات ومن الإمبراطور أنثيميوس(٩٦٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن لماذا أنفق الإمبراطور ليو الأول كل هذه المبالغ الطائلة على الحملة؟. لقد أجاب المؤرخ بروكوبيوس(٩٦٥) على هذا السؤال موضحًا أن ليو الأول قد أبدى كرمًا غير عادي مع جنود وبحارة حملته، وذلك لأنه لو سعى للاقتصاد في الإنفاق على هذه القوات، ولم ينفق عليها بسخاء، يمكن أن يظهر أمامها بمظهر البخيل، "الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور بعض العقبات أمام رغبته في معاقبة البرابرة".

ولكن بعد كل هذه الاستعدادات العسكرية الضخمة كان يجب على الإمبراطور ليو الأول أن يحسن اختيار قائد لحملته ضد الوندال، ولكن من سوء حظه، كما قال بعض المؤرخين، فإنه تحت تأثير زوجته فرينا(٩٦٦) وصديقه

---

(962) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 77; the same author: Fragment, vol. II, p. 363; Theophanes: op.cit., p. 180; Cameron: op.cit., p. 28.

(963) يذكر بعض المؤرخين أن بروكوبيوس وثيوفانيزا اعتمدا على المؤرخ بريسكوس. انظر:

Theophones: op.cit., p. 180 (Not.3).

(964) Candidus: Fragment, vol. II, (G.B.1983) p. 471. cf. also. Cam. Med. Hist., vol.I., p. 426.

إن هذا الاختلاف بين المؤرخين سواء في تعداد الجيش أو تكلفة الحملة دافع المؤرخ بيوري إلى القول: "من سوء الحظ أننا ليس لدينا قصة هذه الحملة التي رواها بريسكوس المعاصر لها، الذي عمله كان مصدر ثيوفانيز" انظر: Later Roman Empire, vol. I, p. 337 (Not.3).

(965) History of the Wars, vol. II, Book III, p. 55.

(966) فرينا Verina: إن قوميتها أو الأصل الذي جاءت منه غير معروف، كما أن حياتها الباكرة مظلمة، وكل ما هو معروف عنها أنها زوجةو الإمبراطور ليو الأول. ولذلك فمن المؤكد أن أصلها كان وضيعًا: M cope: the Empress of Constantinople, p. 8.

أسبار Aspar (٩٦٧)، عين باسيليسكوس Basiliscus قائدًا عامًـا للحملـة(٩٦٨). ولكن لماذا؟. وذلك لأن فرينا كان يحدوها أمـلاً كبيـرًا فـي إمكانيـة تـولى باسيليسكوس- أخيها- عرش الإمبراطورية البيزنطية، بعد عودته من الشـمال الأفريقي(٩٦٩). أما أسبار فإن إصراره على تعيين باسيليسكوس يعود إلى خوفـه من أنه ربما إذا انتصرت هذه الحملة يزاد نفوذ الإمبراطور ليو الأول على نفوذه في القسطنطينية؛ ولذلك اختار القائد الذي يعلم أن نجاحه سيكون مستحيلا(٩٧٠).

ولقد قامت خطة الحملة على مهاجمة الوندال من ثلاث اتجاهات كالآتي: أولاً: القوة الأساسية كان عليها أن تذهب مباشرة إلى قرطاجة عاصمة الوندال. ثانيًا: قوات أخرى تحت قيادة هيراكليـوس Heraclius ومارسـوس Marsus كان عليها التقدم من مصر ناحية الغرب. ثالثًا: كان على ماركللينوس أن يتقـدم بأسطوله من إيطاليا ترافقه الإيطالية إلـى جزيـرة سـاردينيا Sardinia(٩٧١)

تزوجت ليو الأول في وقت ما قبل اعتلائه عرش إمبراطورية في سنة ٤٥٧م، وكانت أغسطسة من ٤٥٧ وحتى ٤٧٤م. أنظر:

Matthew Bonsum: op.cit., p. 442.

(967) أسبار Aspar: هو فلافيوس أردابوريوس Flavius Ardaburius آلاني Alan الأصل، وهناك احتمال ان زوجته كانت قوطية، لأنه يقال إن ثيودوريك الأول ملك القوط الشرقيين كان بن إخيها. حصل أسبار على لقب قنصل سنة ٤٣٤م، وصل إلى قمة نفوذه العسكري والسياسي في القرن الخامس الميلادي؛ حيث كان يتولى تعيين الأباطرة في بيزنطة بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٠م. انظر: Candidus op. cit., vol. II, p. 405. cf. also, Matthew Bunson: op.cit., p. 38: Kagi W.E: Byzantine Military Unrest 47-843 (Amisterdam, 1981), p. 26.

(968) Procopous: Fragments, vol. II,p. 363; Nicephhori Callisti: op.cit., Tomus 147.cf. also. Bury: op.cit., vol. I, p. 335; Treadgold: op.cit.,p. 53; Levtchenko: op.cit., p. 46.

(969) M cope: op.cit., p. 9.

(970) Procopius: History of the Wars., vol. II, Book III, p. 55.cf. also. Bury: op.cit., vol. I, p. 335.

(971) ساردينيا Sardinia: جزيرة واسعة، تقع في البحر المتوسط، جنوب جزيرة كورسيكا، وفي منتصف السمافة بين جزر البليار الأسبانية وساحل غرب إيطاليا. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 375.

فيستولى عليها ثم يتقدم من هنـــاك للانضـــمام إلـــى القـــوات البيزنطيـــة فـــي قرطاجة[٩٧٢].

ولقد بدأ الهجوم البيزنطـــي الإيطـــالي علـــى الونـــدال بدايـــة ناجحـــة فماركللينوس تمكن من الإستيلاء على جزيرة ساردينيا دون أدنى مقاومـــة مـــن الوندال، الذين هربوا منها. كما أن هير هيراكليوس نجح في هزيمـــة القـــوات الوندالية هزيمة مروعة قرب مدينة طرابلس، التي استولى عليها وعلى العديـــد من المدن الوندالية الأخرى، ثم راح يتقدم بقواته تجاه مدينة قرطاجـــة لخـــوض المعركة الفاصلة مع الوندال[٩٧٣].

وفي غضون ذلك كان الأســطول البيزنطـــي- الـــذي يتـــولى قيادتـــه باسيليسكوس- قد وصل إلى المكان الذي يسمى ميركوريون Mercurion[٩٧٤]. قرب كابابون Cape Bon (رأس آدر Ras Adder)، وألقى مراسيه هناك بدلاً من التقدم نحو مدينة قرطاجة، والقيام بمهاجمتها[٩٧٥].

وإجابة على سؤال حول سبب عدم قيام باسيليسكوس بمهاجمـــة مدينـــة قرطاجة، يقول بعض المؤرخين إنه كان هناك اتفاق سري بين باسيليسكوس من ناحية وأسبار من ناحية ثانية بعدم القضاء على مملكة الوندال، وفـــي المقابـــل سوف يساعد أسبار القائد باسيليسكوس في الوصول إلى منصب الإمبراطور في بيزنطية[٩٧٦]. والباحث من جانبه يتفق مع هذا الرأي، لا سيما وأن باسيليسكوس

---

(972) Procopius: the Fragments., vol. II, p. 363. 365. cf. also. Bury: op.cit., vol. I, p. 336; Cam. Med. Hist., vol. I, pp. 310- 311.

(973) Procopious: op.cit., vol. II, p. 363, 365: The same auther History of the Wars, vol. II, Book III, p. 57. cf. also. Norwich: Byzantium, p. 166; Bury: op.cit., vol. I, p. 339.

(974) ميركوريون Mercurion: مدينة تقع على مسافة ٢٨٠ ستاديا Stades من قرطاجة. ولقد سميت بهذا الاسم لأنه كان يوجد بها معبد هرمس Herms منذ القدم وكان الرومان يطلقون على هرمس ميركوريوس Mercurius. انظر: Procopius: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 59.

(975) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 59. cf. also, Wolfram: op.cit., p. 178; Norwich: op.cit., p. 166.

(976) Nicephori: Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 79.

كان يعلم أنه لن يتمكن من الوصول على منصب الإمبراطور إلا بمساعدة اسبار، ولكن ينبغي علينا أيضًا أن ندرك أن هذا الاتفاق السري لم تكن فرينا تعلم عنه شيئًا.

وتقول الأحداث، إن جيزريك عندما سمع بالكارثة التي حلت بقواته في طرابلس وساردينيا سلم بضياع على كل شيء؛ فباسيليسكوس سوف يضرب ضربته القاضية ويستولى على قرطاجة، وعند ذلك ستتوارى مملكة الوندال من التاريخ(٩٧٧).

ومن ثم، أرسل جيزريك– وعلى وجه السرعة– سفارة إلى باسيليكوس يطلب منه هدنة بين الطرفين لمدة خمسة أيام، والتي خلالها سيكون قد أجرى مشاوراته مع مستشاريه لبحث سبل تنفيذ مطالب الإمبراطور ليو الأول(٩٧٨)، وحتى يجعل باسيليسكوس يوافق على هذه الهدنة فقد أرسل إليه كمية كبيرة من الذهب دون علم أحد؛ الأمر الذي دفع باسيليسكوس إلى قبول مدة الهدنة التي اقترحها جيزريك(٩٧٩). وظل منتظرًا في ميركورويون حتى تنتهي مدة الهدنة(٩٨٠).

والجدير بالذكر، أنه ليس معروفًا على وجه الدقة الأسباب التي دفعت باسيليسكوس لقبول هدنته مع جيزريك. فهل قبل ذلك طبقًا للاتفاق السري الذي عقد بينه وبين أسبار، أو أن ذلك كان مقابل الأموال، أو اعتقادًا منه أن قبول

---

(977) Procopius: op.cit., Book III, p. 59. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 339.

(978) يذكر بعض المؤرخين أن باسيليسكوس كان قد قام بشن بعض الهجمات على مدينة قرطاجة.
Jordanes: Fragments, vol. II, p. 367.
ولكن هذا لم يحدث لأننا لم نجده في مصادر أخرى.

(979) Procopius: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 59; Theophanes Confessor: the chronicle, p. 180 cf. also, Norwich: op.cit., p. 166; Wolfram: op.cit., p. 173.

(980) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 61.

الهدنة هو الطريق الأمثل لإدارة دفة القتال، أم كان ذلك خوفًا من جيزريك(٩٨١) وأغلب الظن أنه قبل الهدنة طبقًا لاتفاقه مع أسبار.

وأيًا كانت الأسباب فإن موافقة باسيليسكوس على إعطاء جيزريك هدنة مدتها خمسة أيام "كانت من أكبر غلطات حياته"(٩٨٢)، لأنه بذلك أعطى جيزريك زمام المبادرة بالهجوم، لا سيما وأن الأخير كان ينتظر فقط فرصة هبوب رياح عاتية تساعده في هجومه على الأسطول البيزنطي(٩٨٣).

وعلى كل، قضى جيزريك هدنة الخمسة أيام في تسليح قواته بشتى أنواع الأسلحة، كما جهز سفنه بالرجال والعتاد، ولكنه في نفس الوقت ترك بعض السفن- التي تتميز بسرعة فائقة- فارغة، وذلك بهدف إشعال النار فيها وإطلاقها ضد سفن الأسطول البيزنطي(٩٨٤).

وبالفعل جاءت الرياح بما لا تشتهي سفن الأسطول البيزنطي، ففي نهاية اليوم الخامس للهدنة هبت رياح عاتية، وعند ذلك أعطى جيزريك الأوامر لقادة أسطوله بالهجوم على باسيليسكوس، ويومها لعبت السفن الوندالية النارية دورًا كبيرًا في هزيمة سفن الأسطول البيزنطي، لا سيما عندما أشعل الوندال النار فيها وأرسلوها مع الرياح لتصطدم بالسفن البيزنطية وانتهت هذه المعركة البحرية بهزيمة مدوية للأسطول البيزنطي(٩٨٥).

---

(981) Ibid, p. 59., 61;

(982) Norwich: Byzantium, p. 166.

(983) Procopius: Fragment, vol. II,p. 365.

(984) Loc- cit. cf. also. Norwich: op.cit., p. 166; Wolgram: op.cit., p. 173.

(985) للمزيد من التفاصيل عن موقعة ميركوريون. انظر: Procopius: op.cit., vol. II, p. 365, 367; The same auther: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 61, 62; Theophanes: The Chronicle p. 180; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 79. cf. also, Mericlles: op.cit., p. 40.; Norwich: op.cit., p. 167; Bury: op.cit., vol. I, p. 336; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 311. Procopius: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 63; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 79. cf. also, Cam.Med. Hist., p. 311.

وعلى كل، استطاع باسيليسكوس الهروب من ساحة القتال بصعوبة بالغة وربما- بنصف سفنه فقط- إلى صقلية ومن هناك توجه إلى مدينة القسطنطينية. أما ماركللينوس فقد تم اغتياله في غضون ذلك على يد أحد جنوده وبتحريض- بالتأكيد- من ريكيمير، كما عاد هيراكليوس إلى مصر(٩٨٦).

والسؤال الآن، ما النتائج التي ترتبت على موقعة ميركوريون البحرية؟

تمثلت النتائج في الآتي:

أولاً: إن فشل هذه الحملة كان له تأثير أدبيًا كبيرًا على كل من بيزنطة والإمبراطورية الغربية. فالمعروف أن الإمبراطوريتين كانتا قد وضعتا كل قوتها في هذه الحملة، ولكنها فشلت فشلا ذريعًا ضد أمة واحدة من البرابرة، الأمر الذي أدى إلى استهانة الأمم البربرية الأخرى. بمدى قوة الجيوش الرومانية. كما أدى انتصار جيزريك إلى زيادة غطرسته(٩٨٧).

ثانيًا: لقد مات الآلاف من جيوش الإمبراطورية البيزنطية، الأمر الذي كان له تأثيرًا كبيرًا على العسكرية البيزنطية(٩٨٨).

ثالثًا: لجوء الإمبراطور ليو الأول إلى المصادرات من ثروات السكان لمواجهة نفقات الدولة؛ لأن حملته البحرية أفلست خزانته لأكثر من ثلاثين عامًا(٩٨٩).

رابعًا: خابت الآمال الإيطالية التي كانت معلقة على الإمبراطور أنثيميوس وفقد الإيطاليون الثقة في الإمبراطورية الشرقية(٩٩٠) التي لم تفكر في القيام بأي

---

(986) ويذكر بعض المؤرخين أن ماركللينوس تم اغتياله في أغسطس سنة ٤٦٨م. Cam. Med. Hist., vol. I, p. 311. ولذلك فمن المؤكد أن معركة ميركوريون البحرية قد وقعت في نهاية يوليه أو أغسطس.

(987) Bury: op.cit., vol. I, p. 337, Hadas: op.cit., p. 243.

(988) Treadgold: op.cit., p. 53.

(989) Bury: op.cit., vol. p. 337; Treadgold: History, of the Byzantine State, p. 156; Hadas: op.cit., p. 243.

(990) Livermore: op.cit., p. 109.

تدخل آخر بشأن الإمبراطورية الغربية، وبقى الشمال الأفريقي تحت حكم الوندال حتى حملة بليزاريوس سنة ٥٣٣م[٩٩١].

خامسًا: استيلاء جيزريك على صقلية سنة ٤٦٨م[٩٩٢].

سادسًا: لا نتعدى الصواب إذا قلنا أن الفشل الذي حاق بحملة سنة ٤٦٨م قد أسرع الخطى بالإمبراطورية الغربية نحو الزوال.

وعلى كل، فمن حسن حظ الإمبراطور ليو الأول أن سكان مدينة القسطنطينية قد ألقوا بتبعية فشل حملة ميركوريون على كامل أسبار، الذي يقال، إنه كان معارضًا لها منذ البداية[٩٩٣]، ولذلك دبر الإمبراطور ليو الأول مؤامرة في سنة ٤٧١م اغتال على آثارها أسبار[٩٩٤].

وعلى أية حال، ينفرد المؤرخ ثيوفانز[٩٩٥] ببعض الأحداث التاريخية التي يشير فيها إلى أن الإمبراطور ليو الأول أرسل في سنة ٤٧٠م حملة عسكرية برية من مصر تحت قيادة هيراكليوس ومارسوس، وأن هذه الحملة استولت على مدينة طرابلس وعدد آخر من المدن الوندالية هناك الأمر الذي أصاب جيزريك بالرعب فبعث للإمبراطور يطلب منه السلام فوافق على ذلك ولكن هذه الحملة تكون موضع شك لسببين:

أولاً: لم يتحدث عنها سوى ثيوفانيز فقط، وكان الأولى أن يتحدث عنها بروكوبيوس، الذي ينقل عن بريسكوس.

(991) Cameron: op.cit., 28, 37.

(992) Jones: op.cit., p. 90; Cameron: op.cit., p. 37; Treadgold: op.cit., p. 153.

(993) Vasiliev A.A: History of the Byzantine Emprie, 324- 1453, vol. I, (Madison, 1958) p. 104; Treadgold: op.cit., p. 153.

(994) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك. انظر:
Candidus: op.cit., vol. II, p. 467; Theophanes: The Chronicle, p. 182; Nicephori Callisti: op.cit., Tom 147, p. 82; Procopius: op.cit., vol. II, p. 63. cf. also. Norwich: op.cit., p. 167.

(995) The Chronivle, p. 182.

ثانيً: لأن ثيوفانيز ذكر أن السبب الذي جعل الإمبراطور ليو الأول يوافق على السلام مع جيزريك هو حاجته إلى باسيليسكوس وهيراكليوس ومارسوس للتآمر ضد أسبار، وهذا في حد ذاته بعيد عن الصواب تمامًا، لأن باسيليسكوس كان في سنة ٤٧٠م يعيش في تراقيا بعد طرده من القسطنطينية من قبل الإمبراطور ليو الأول[996].

وعلى الجانب الآخر، فإن العلاقات بين الإمبراطور أنثيميوس وريكيمير راحت تتغير بالتدريج من التسامح المتبادل بين الطرفين إلى حرب أهلية شرسة انتهت بالقضاء على الإمبراطور أنثيميوس في سنة ٤٧٢م[997].

وكان الإمبراطور أنثيميوس متبوعًا بعد وفاته بأوليبريوس Olybrius[998]، وإن ظروف إعتلاء أوليبريوس تكون غامضة بعض الشيء فالقصة التي ترويها كتب التاريخ تشير إلى أن أوليبريوس كان في غضون ذلك في مدينة القسطنطينية، وكان جيزريك ما يزال يطالب بإعتلائه عرش الإمبراطورية الغربية، ولذلك خطط الإمبراطور ليو الأول للقضاء عليه بسبب علاقته بالوندال، ومن ثم فقد أرسله إلى مدينة روما، في خضم الصراع بين أنثيميوس وريكيمير في مأمورية صورية تتمثل في إقامة السلام بين الطرفين، ولكنه في نفس الوقت كام حاملاً خطابًا إلى أنثيميوس يطالبه فيه ليو الأول بالتخلص من أوليبريوس، إلا أن هذا الخطاب وقع في يد ريكيمير الذي قام على

---

(996) Nicephori: Callisti: op.cit., Tom 147. p. 79. cf. also. Bury: op.cit., vol. I, p. 337; M cope: op.cit., p. 9.
لقد أشار بعض المؤرخين الذين نقلوا عن ثيوفانيز إلى هذه الحملة.
انظر: Wolfram: op.cit., p. 173.

(997) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 373, Procopius: op.cit., vol. II, p. 65; Gordens: op.cit., p. 56. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 339.
يذكر بعض أن أنثيميوس قتل في ١١ يوليو سنة ٤٧٢م انظر:
Evagrius: op.cit., p. 99 (Not. 150); Jones: op.cit., p. 91.

(998) Gordanes: op.cit., p. 56; Nicephori Callisti.: op.cit., Tomus 147; Evagrius: op.cit., p. 99.

الفور – حتى قبل نهاية الصراع بينه وبين أنثيميوس – بتولية أوليبريوس عـرش الإمبراطورية في الغرب(٩٩٩).

وعلى كل، لم يطل الأجل بريكيمير، فمات في أغسطس سنة ٤٧٢م وتولى مكانه ابن عمه جوندوباد Gundobad(١٠٠٠).

وعلى أية حال، مات الإمبراطور أوليبريوس في نهاية أكتوبر سنة ٤٧٢م فبقى عرش الإمبراطورية في الغرب تابعًا – ولو من الناحيـة النظريـة – إلـى الإمبراطور البيزنطي ليو الأول(١٠٠١) حتى نادى جوندوباد – أمير برجندي – في ٥ مارس سنة ٤٧٣م بجليسيريوس (٤٧٣ – ٤٧٤م) Glycerius إمبراطورًا في الغرب(١٠٠٢).

ولأنه كان من المفروض أن يتشاور جوندوباد مع الإمبراطور ليـو الأول حول اختيار إمبراطورًا للغرب بعد وفاة الإمبراطور جليسيريوس، ولأن ذلك لم يحدث فقد رفض ليو الاعتراف بجليسيريوس إمبراطورا في الغرب؛ وعين في منتصف سنة ٤٧٤م يوليوس نيبوس (٤٧٤ – ٤٧٥) Julius Nepos إمبراطورًا في الغرب، وبعث به على رأس قوات إلى إيطاليا ليتولى منصبه رسميًا هنـاك فاستولى على مدينة روما، وخلع جليسيريوس دون أدنى مقاومة وعينه أسقفًا في

(999) Theophanes: The Chronicle. P. 183; Paschal: op.cit., p. 86.cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 339- 340; Cam. Med. Hist. vol. I, p. 428; Hadas: op.cit., p. 243; Cameron: op.cit., p. 30.

(1000) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 375.cf. also, Franzius: op.cit., p. 55; Downey: op.cit., p. 84.
مات ريكيمير في ١٨ أغسطس سنة ٤٧٢م. انظر:
Bury: op.cit, vol. I, p. 340 (Not. 5).

(1001) Bury: The Fall of Rome, (London, 1963), p. 16; Cam. Med. Hist, vol. I, p. 428.

(1002) John of Antioch: op.cit., vol. I, p. 375. cf. also. Bury: op.cit., p. 16; Jones: op.cit., p. 91; Scarre: op.cit., p. 232.
وضع المؤرخ ثيوفانيز الإمبراطور ماجوريان بعد أوليبريوس. انظر:
The Chronicle, p. 184.

مدينة سالونا Salona[١٠٠٣]، وعند ذلك نودى بنيبوس إمبراطورًا في روما في ٢٤ يونيه سنة ٤٧٤م[١٠٠٤]. أما بخصوص جوندوباد فلم يمكث في روما بعد تولى الإمبراطور نيبوس وأرتد إلى بورجندي[١٠٠٥].

والناظر يرى أن الإمبراطور ليو الأول كان متمسكًا بحق أباطرة النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في تعيين أباطرة النصف الغربي ولذلك مارس حقه الطبيعي وعين الإمبراطور نيبوس.

وهكذا، فقد قام التحالف مرة أخرى بين روما والقسطنطينية مثلما كان في عهد الإمبراطور أنثيميوس[١٠٠٦].

أما إذا انتقلنا إلى الإمبراطورية البيزنطية فسنجد أن الإمبراطور ليو الأول كان قد عين حفيده الذي يسمى- أيضًا- ليو خلفا له في سنة ٤٧٣م. ولذلك عندما مات ليو الكبير في ٣ فبراير سنة ٤٧٤م توجد حفيده إمبراطورًا باسم ليو الثاني (٤٧٤م) Leo II، والذي- عين بدوره- والده زينو Zeno شريكًا له في الحكم، ومن ثم عندما مات ليو الثاني في سنة ٤٧٤ تولى زينو[١٠٠٧] (٤٧٤-٤٩١م) عرش الإمبراطورية البيزنطية[١٠٠٨].

([1003]) سالونا Salona: مدينة تقه على الساحل الشرقي للأورياتيك، عاصمة إقليم الليريكوم (دالماشيا) تسمى أيضا سالونيه Salonae. انظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 373.

([1004]) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 375; Gordanus: op.cit., p. 57; Evagraius: op.cit., p. 99. cf. also, Bury: op.cit., p. 17; Jones: op.cit., p. 91.
يذكر بروكوبيوس أن نيبوس اعتلى عرش الإمبراطورية في الغرب في ٢٤ يوليه سنة ٤٧٤م. انظر: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 69.
في حين يقول مؤرخ آخر إن نيبوس تولى إمبراطورًا في سنة ٤٧٥م. انظر:
Croke B.: op.cit., p. 176.

([1005]) Bury: op.cit., p. 17.

([1006]) Cam. Med. Hist. vol. I, p. 429.

([1007]) زينو Zeno: اسمه الحقيقي تارسيكوديسا Tarasicodissa، ولد في إقليم إيزوريا بآسيا الصغرى، عمل زعيمًا لإحدى القبائل هناك. استقدمه الإمبراطور ليو الأول مع رجاله إلى مدينة القسطنطينية، حيث تولى قيادة الحرس الإمبراطوري، وعندما أثبت قدرات سياسية عالية زوجه الإمبراطور من ابنته إليا أريادين Aelia Ariadne، وعند ذلك غير اسمه إلى زينو، ولقد أنجبت له أريادين ابنه ليو. انظر:

وعلى أية حال، إن إحدى الأعمال الأولى التي قام بها الإمبراطور زينـــو بعد اعتلائه عرش الإمبراطورية البيزنطية، تمثلت في سعيه لوضع نهاية لحرب الوندال؛ وذلك لأنه لم يكن مستعدًا للدخول في صراع معهم(١٠٠٩) ربما لأنه كان يكره الحرب كما ذكر بعض المؤرخين(١٠١٠). ولكن لا ينبغي علينا أن نغفل أن الوضع الداخلي في بيزنطية كان مضطربًا.

أما بخصوص الوندال، فإننا نفهم من حديث المــؤرخ بروكوبيــوس(١٠١١) أنهم لم يتوقفوا عن القيام بغارات النهب والسلب علـــى الأراضـــي البيزنطيـــة وأراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية، بل ربما زادت هذه الغارات ضراوة.

وعند مفاوضات السلام التي دارت بين بيزنطية والوندال، فإن المعلومات المتاحة لنا عنها قليلة. فيذكر مـــالخوس(١٠١٢) أن الإمبراطـــور زينـــو اختـــار السيناتور سيفيروس Severus للقيام بمهمة التفاوض مع جيزريـــك وذلـــك لأن سيفيروس كان رجلاً ضليعًا في الدبلوماسية. ولكـــي يضـــمن زينـــو اســـتقبال سيفيروس استقبالاً حارًا من قبل جيزريك، فقد أنعم عليه برتبة بطريق.

وفي قرطاجة احتج سيفيروس بلهجة شديدة على الغارة التـــي قـــام بهـــا جيزريك على مدينة نيقوبوليس Nicopolis في إبيروس، غـــداة تقدمـــه مـــن القسطنطينية إلى قرطاجة عبر صقلية. فرد عليـــه جيزريـــك- الـــذي أعجـــب بدبلوماسية الرفيعة وحديثه الموزون- بأن هذه الغارة قام بهـــا الونـــدال قبـــل

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147. cf. also, Matthew Bunson: op.cit., 461; Head c.: Imperial Byzantine Portrait. (N.Y., 1982), p. 25.

وللمزيد انظر: Paschal: op.cit., pp. 91- 92. cf. also, Norwich: Byzantium: p. 168; Head: op.cit., p. 22; Treadgold: op.cit., pp. 156- 157.

(1008)يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور ليو الأول مات في ١٠ أكتوبر سنة ٤٧٢م انظر: Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 65.

(1009) Norwich: op.cit., p. 186; Cam. Med. Hist, vol. I, p. 311.

(1010) Malchus: in Fragments, vol. II, (G.B.1983), p. 411.

(1011) History of the Wars., vol II, Book III, p. 71.

(1012) The Fragments, vol. II, p. 411, cf. also, Norwich: op.cit., p. 168.

وصوله إلى قرطاجة، كما أوصى جيزريك بأنه على استعداد- في غضون ذلك- للدخول معه في مفاوضات سلام(١٠١٣).

والجدير بالذكر، أن جيزريك عندما سعى لتقديم الهدايا القيمة لسيفيروس التي تناسب ماكنته كسفير، رفض تلقيها وخاطب جيزريك قائلاً: "إن أنسب هدية تقدم لسفير هي تسلمه الأسرى"(١٠١٤). وفي النهاية توصل الطرفين إلى معاهدة سلام نصت على الآتي:-

أولاً: تسليم جيزريك – كما وعد – جميع أسرى الرومان الذي كانوا من نصيبه ونصيب أسرته، وفي نفس الوقت أعطى سيفيروس إذناً بشراء الأسرى الذي كانوا لدى الوندال كغنائم في حال موافقتهم(١٠١٥).

ثانيًا: تم الإتفاق على أن تضع الحرب أوزارها بين الإمبراطوريتين من ساعة تاريخه.

ثالثًا: وعد جيزريك بكفالة حرية العبادة للكاثوليك في قرطاجة، كما سمح بعودة رجال الأكليروس الذين هربوا من هناك.

رابعًا: كان على الإمبراطورية البيزنطية- ولأنها صاحبة السيادة على الإمبراطورية الغربية- أن تعترف رسميًا بحق الوندال في ملكية ما تحت أيديهم من أراضي رومانية(١٠١٦).

وتشير كتب التاريخ إلى أن معاهدة سلام زينو- جيزريك قد عقدت في نهاية سنة ٤٧٤م(١٠١٧).

(1013) Malchus: op.cit., vol. II, p. 411.

(1014) Loc. cit. cf. also, Norwich: op.cit., p. 168.

(1015) Malchus: op.cit., vol. II, p. 411; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 311; Bury: op.cit., vol. I, p. 390.

(1016) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 71, 73; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 311; Karl Paus and other: op.cit., p. 605; اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩٢.

(1017) vol. I, p. 390; Medicles: op.cit., p. 41; Norwich: op.cit., p. 168; Wolfram: op.cit., p. 173.

وعلى أية حال، لقد أثبت جيزريك أنه صادق الوعد مع السفير سيفيروس فقد قام – وبسبب اعتداله – بإطلاق سراح من كان لديه من الأسرى الرومـــان كهدية لسيفيروس؛ لكي يعود بهم إلى القسطنطينية، كما أن سيفيروس من جانبه اشترى باقي الأسرى من ماله الخاص[١٠١٨].

وعلى كل، لقد حافظ الإمبراطور زينو على معاهدة سلامه مع جيزريـــك، كمـــا حـــافظ عليهـــا مـــن بعـــده الإمبراطـــور أناستاســـيوس (٤٩١– ٥١٨) Anastasius، وبقيت سارية المفعول حتى سنة ٥٣٣– ٥٣٤م عنـــدما نقضـــها الإمبراطور جستنيان (٥٢٧– ٥٦٥م) Justinian بحملته العسكرية على الوندال في شمال أفريقيا سنة ٥٣٣م[١٠١٩].

وتعليقًا على معاهدة زينو– جيزريك، يقول المؤرخ ولغرام[١٠٢٠]: إن هذه المعاهدة تعد الأولى التي يعقدها أول إمبراطور من البرابرة باسم الإمبراطورية البيزنطية.

والحقيقة، إذ كان الإمبراطور زينو قادرًا على ترويض الونـــدال الـــذين أزاقوا الرومان عذابًا أليمًا فإنه تعرض إلى مؤامرة داخلية أطاحت بـــه فـــي ١ يناير سنة ٤٧٥م، وحتى عودته إلى الحكم في أغسطس سنة ٤٧٦م، ولكنه ظـــل يحكم– بعد ذلك– حتى سنة ٤٩١م.

وعلى أية حال، لم يكن الإمبراطور نيبوس– إمبراطـــورًا الإمبراطوريـــة الرمانية الغربية– بأحسن حال من زميله في الشرق؛ فقد تم عزله– هو الآخر–

(1018) Malchus: op.cit., vol. II, p. 411.

(1019) Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 71, 73. cf. also. Wolgram: op.cit., p. 173; Mericless: op.cit., p. 41; Brehier l. : op.cit., p. 12.

(1020) وعن هذه المؤامرة وتفاصيلها. انظر:

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 69, 71; Candidus: op.cit., vol. II, p. 467' Malchus: op.cit., vol. II, p. 415; Paschal: op.cit., pp. 92; John of Nikiu: Chronicle, Tr., by Roger Pears, (London, 1916), (Net., October, 2002), pp. 6-7 cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 390- 393.

في أغسطس سنة ٤٧٥م على يد أورستس Orestes[١٠٢١] – القائد العام للجيش– فهرب إلى دالماشيا، حيث عاش هناك في سالونا، أما أورستس فمن جانبه قام بتعيين أبنه رومولوس أورجوستولوس (٤٧٥– ٤٧٦م) Romulus Augustulus إمبراطورًا على العرش الروماني الغربي في ٣١ أكتوبر من نفس العام[١٠٢٢].

وفي دالماشيا وصلت الأخبار للإمبراطور نيبوس بطرد الإمبراطور زينو من عرشه وتولى باسيليسكوس– قائد أسطول حملة ميركوريون– وعند ذلك فقد نيبوس الأمل في قدوم أية مساعدة من القسطنطينية ومن ثم فقد استسلم لقدره، وراح يراقب ما سوف تسفر عنه الأحداث في الإمبراطوريتين[١٠٢٣].

ولكن من المهم جدًا أن نعرف – كما ذكر بعض المؤرخين– أن وضع الإمبراطور رومولوس أوجوستولوس لم يكن قانونيًا، لأنه لم يكن معترفًا به من قبل الإمبراطور باسيليسكوس، الذي – طبقًا لفكر كل أباطرة بيزنطة– رأي أن الإمبراطور المخلوع نيبوس هو الذي ما يزال الإمبراطور الشرقي في الغرب؛ وما رومولوس أوجوستولوس إلا مغتصبًا للعرش[١٠٢٤].

وعلى أية حال، لقد دفع أورستس حياته ثمنًا للانقلاب الذي قاده ضد الإمبراطور نيبوس؛ وذلك عندما ثارت ضده فرق الجيش الجرمانية بقيادة

(1021) أورستس Orstes: ولد في بانونيا، واتخذ طريقه إلى بلاد أتيلا عندما كان شابا وهناك عينه أتيلا سكرتيرًا خاصًا له، لعب دورًا كبيرًا في إحباط المؤامرة التي حاكها الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني ضد أتيلا. وبعد وفاة أتيلا سنة ٤٥٣م عاد أورستس– الروماني الأصل– إلى وطنه ودخل في خدمة الإمبراطور أنثيميوس الذي عينه قائدًا لقوات القصر الإمبراطوري. ولقد عينه نيبوس قائدًا عامًا للجيش.

انظر: Norwich: op.cit., p. 171; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 433; Wolfram: op.cit., p. 184.

(1022) Gordanes: op.cit., 57; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p.; Evagrius: op.cit., p. 99. cf. also, Norwich: op.cit., pp. 171- 172; Grant: op.cit., p. 46; Scarra: op.cit., p. 232.

(1023) Norwich: op.cit., p. 172.

(1024) Bury: The Fall of Rome, p. 17; Grant. op.cit., p. 46; Croke: op.cit., p. 176.

أودواكر Odovacar[١٠٢٥]، لأنه رفض التنازل لها عن ١/٣ الأراضي الإيطالية وأردته قتيلاً في ٢٨ أغسطس سنة ٤٧٦م. وعلى الفور قـام أودواكـر بعـزل الإمبراطور رومولوس أوجوستولوس وتولى قيادة الإمبراطورية الغربية[١٠٢٦].

واللافت للنظر هنا، أن أودواكر لم يسع لتعيين نفسـه إمبراطـورًا فـي الغرب، أو حتى يحكم هناك من خلال إمبراطور دمية يقوم بتعيينه. فبـدلاً مـن ذلك راح يسعى لدى الإمبراطور زينو – الذي كان آنذاك قد عاد لحكم بيزنطة- ليعترف به حاكمًا مدينًا في الغرب تحت قيادته.

وعلى هذا الأساس، عندما علم أودواكر أن الإمبراطـور زينـو اسـتعاد سياداته في مدينة القسطنطينية، استمال مجلس الشيوخ الروماني ليرسل سـفارة إليه. وفي مدينة القسطنطينية أخبر السفراء زينـو بـأنهم ليسـوا فـي حاجـة لإمبراطور جديد، وذلك لأنه يكفي أن يكون هناك إمبراطورًا واحد للحكـم فـي القسطنطينية وروما؛ لقد أخبروا زينو بأنهم انتخبوا أودواكر بدلاً من رومولوس أوجوستولوس، وذلك لتمرسه السياسي والعسكري؛ ولأنه القادر- فقط – علـى الدفاع عن إيطاليا. وعند ذلك طلبوا من زينو أن ينعم عليه برتبة بطريـق، وأن

([1025]) أودواكر Odovacar: كان والده يسمى إيديكار- إيديكون- Edekon, Edica عمل خادمًا إلى أتيلا، وبعد انخطاط إمبراطورية الهون سنة ٤٥٣م أصبح إيديكون ملكًا على سكيري الدانوب. وفي سنة ٤٦٩م قتل إيديكون في معركة نهر بوليا Bolia ضد القوط، وعند ذلك غادر أولاده وطنهم. فذهب أودواركر إلى إيطاليا، وخدم في عهد الإمبراطور أنثيميوس في الحرس الإمبراطوري. انضم إلى ريكيمير في صراعه مع أنثيميوس، راح اسمه يلمع بعد ذلك، ولد حوالي سنة ٤٣٣، وقتل سنة ٤٩٣. انظر:

Wolfram: op.cit., p. 183- 184; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 430- 433- 434; Matthew Bunson: op.cit., p. pp. 300- 301.

([1026]) وللمزيد من التفاصيل انظر:

Gordanes: op.cit., p. 57' Candidus: op.cit., vol. II, p. 469 cf. alsom Croke: op.cit., p. 190; Vasiliev: op.cit., vol. I, p. 107; Norwich: op.cit., pp. 172-173; Moorhead: op.cit., p. 7; Handas: op.cit., p. 244; Bury: op.cit., pp. 17-18; Henry Chadwick: Boethius, (oxford, 1981), p. 1.

يعينه رئيسًا للحكومة الإيطالية. وفي نفس الوقت، قاموا بتسليم زينو شارات الإمبراطور الغربي(١٠٢٧).

وبتسليم زينو شارات الإمبراطور الغربي يمكن القول أن الإمبراطورية الرومانية الغربية قد انتهت، بل وعادت وحدة الإمبراطورية مرة أخرى، وأصبح هناك إمبراطورًا واحدًا يحكم الشرق والغرب هو الإمبراطور البيزنطي الذي حمل- منذ سنة ٤٧٦م- المسئولية عن الأراضي الرومانية في الغرب، التي لم تعد في حاجة لإمبراطور جديد.

وعلى كل، أثناء وجود سفارة أودواكر في مدينة القسطنطينية وصلت إلى هناك سفارة أخرى من قبل الإمبراطور المخلوع نيبوس لكي تقدم التهاني إلى الإمبراطور زينو على عودته إلى عرشه، ولتطلب منه تقديم الدعم المالي والعسكري حتى يتمكن نيبوس من استرداد عرشه، لا سيما وأنه يعاني معاناة شديدة في منفاه(١٠٢٨).

وأمام هذا الموقف الشائك فقد تصرف الإمبراطور زينو بدبلوماسية فائقة، لا سيما عندما نعلم أنه لم يكن في استطاعته انكار حق الإمبراطور ينيبوس، وفي نفس الوقت لم يكن مؤهلاً لمساعدته عسكريًا(١٠٢٩)، ولذلك خاطب نواب مجلس الشيوخ الروماني موضحًا لهم أن الإمبراطورين اللذين عينتهما الإمبراطورية البيزنطية في روما قتلوا إحداهما- وهو أنثيميوس- وطردوا الآخر- نيبوس-" ولذلك فإنكم تعرفون الآن- تمامًا- ما يجب عليكم القيام به، لا سيما وأن إمبراطوركم (نيبوس) ما يزال حي يرزق، ومن ثم يجب عليكم مباركة حصوله على العرش، والترحيب بعودته"(١٠٣٠).

(1027) Malchus: op.cit., vol. II, p. 419; Candidus: op.cit., vol. II, p. 469; Bury: op.cit., p. 18; Scarre: op.cit., p. 232.

(1028) Malchus: op.cit., vol. II, p. 419; Bury: op.cit., p. 18.

(1029) Bury: op.cit., p. 18.

(1030) Malchus: op.cit., vol. II, p. 419. cf. also, Grant: op.cit., p. 46.

وعلى هذا فإن القسطنطينية ما زالت تعترف بنيبوس إمبراطورًا شرعيًا في الغرب، بل وتساند عودته. والدليل على ذلك ما قاله المؤرخ مالخوس[١٠٣١]: من أن زينو وضح لسفارة أودواكر أنه (أودواكر) يمكن أن ينال شرف لقب بطريق من الإمبراطور نيبوس، وإذا لم يتمكن من ذلك فإنه يمكن أن يمنحه هو له.

وعند عودة سفارة أودواكر إلى روما حملت معها خطابًا إليه، يهنأه فيه زينو بمنصب الوزارة، ويطالبه بالعمل من أجل الرومان، كما أوضح له أنه يمكن أن ينال لقب بطريق إذا سعى لتحقيق العدالة. هذا، ويقال، إن زينو خاطب أودواكر في هذا الخطاب كما لو كان بطريقًا[١٠٣٢]. وهكذا، لم يمنح زينو أودواكر لقب بطريق.

وفي نفس الوقت، قدم زينو دعمه الأولى المطلق للإمبراطور المخلوع نيبوس، "لأنه كان يشعر بالشفقة عليه بسبب نفيه، لا سيما وأنه عانى مرارة النفي قبل ذلك[١٠٣٣]. والحقيقة، أن مساندة زينو لنيبوس لم تأت من فراغ بل بسبب ضغط زوجته فرينا عمة زوجة نيبوس[١٠٣٤].

وهكذا، فإن الإمبراطور زينو لم يقم بأي شيء عملي لإعادة الإمبراطور نيبوس إلى عرشه، لأنه كان مشغولاً بمشاكله الداخلية[١٠٣٥].

وعلى الجانب الآخر فإن أودواكر – من ناحيته- لم يقدم فروض الولاء والطاعة إلى للإمبراطور المنفي نيبوس، ولم يعترف به إمبراطورًا، حتى وفاة نيبوس سنة ٤٨٠م[١٠٣٦]. واكتفى بأن أطلق على نفسه لقب ملك[١٠٣٧].

(1031) The Fragments, vol. II, p. 419.

(1032) Loc- cit. cf. also, Bury: op.cit., p. 18.

(1033) Malchus: op.cit., vol. II, p. 419. cf. also, Bury: op.cit., p. 18.

(1034) Malchus: op.cit., vol. II, p. 419.

(1035) Head: op.cit., p. 26.

(1036) Grant: op.cit., p. 46; Bury: op.cit., p. 18.

(1037) Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147.

وختامًا للموضوع فإن أ÷م ما توصل إليه البحث، هو أن المطامع السياسية لدى ماكسيموس لعبت دورًا كبيرًا في هجوم جيزريك على مدينة روما سنة ٤٥٥م.

ومن نتائج البحث أيضًا أن القائد العظي إئتيوس كان يمثل عقبة كأداء أمام جيزريك لمهاجمة الأراضي الإيطالية، ولا نكون قد تعدينا الصواب إذا قلنا أن جيزريك كان يخافه.

ومن النتائج أيضًا أن ثراء مدينة روما كان جالبًا للنوائب عليها فجميع قادة البرابرة رغبوا في مهاجمتها لسد رمق شعوبهم الجوعى.

ولا ينبغى علينا أن ننسى أن جيزريك يعد واحدًا من جهابذة الدبلوماسية في العصوب الوسطى، كما ظهر في طيات هذا البحث.

كذلك كان فشل الحملة العسكرية التي قامت بها القسطنطينية وروما سنة ٤٦٨م على قرطاجة عاملاً هامًا في انحطاط الإمبراطورية الغربية. بل لا نكون قد أخطأنا إذا قلنا أن هذا الفشل أسرع بخطاها نحو السقوط سنة ٤٧٦م.

كما يثبت لنا البحث أن تقسيم الإمبراطورية في سنة ٣٩٥م على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير لم يكن يعني أن القسم الشرقي أو بيزنطة لم تعد مسئولة عن الغرب، بل ظل أباطرة الشرق يتمسكون بحقهم في تعيين أباطرة الغرب، والدفاع عن الأراضي الإيطالية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية:

1. Candidus: Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983).
2. Evagrius scholasticus The Ecclesiastical History of Evagrius, Tr., by Michael whit by (Liverpool un. Press, 2000).
3. Georgu Cedreni: Compendium Historiarum, p. G. Tom., 121.
4. Gregory of Tours: Tr., By Lewis Thrope, (London, 1979).
5. John of Antioch: Fragments, in Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr. By. R.C. Blockley, vol. II, (G.B., 1983).
6. John of Nikiu: Chronicle, Tr., by Roger Pears, (London, 1916), (Net., October, 2002).
7. Jordanes: The Origin and and Deeds of the Goths, Tr. By. Charles. C. Mierow, (Uni. Of Michigan, 1960), (Net., 2004).
8. Malchus: Fragments, in Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983).

9. Nicephori Callisti: Ecclesiasticae Historia, Patrologiae Graecae, Tomus 147.

10.paschale: Chronicon Paschales 284- 628 A.D. Tr., by Michael whitby and Mary whitby (Liverpool university 1989).

11.Priscus, The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983).

12.Procopius: History of the Wars, vol. II, Tr. By. H. B. Dewing, (London, N.D.).

13.Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Tr., By Mango and Roger Scott, (oxford, 1997).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Averil Cameron A.: The Mediterrancan World in Late Antiquity A-D 395 600, (London, 1993).

2. Brian Croke B.: Count Marcellinus and his Chronicle, (oxford, 2001).

3. Bryan Ward Perkins : The Fall of Rome and the End of Civilization (Oxford, 2005).

4. Bury J.B: Later Roman Empire From the Death of Theodosius to the Death of Justinian, vol. I, (N.Y.1958).

5. The Fall of Rome, (London, 1963). Cam. Med. Hist. vol. I, (Camb., Uni., Press, 1911).

6. Carl Stephenson c: Mediaval History, (London, 1943).
7. Constance Head: Imperial Byzantine Portrait. (N.Y., 1982).
8. Franzius Enno: History of the Byzantine Empire (New York, 1967).
9. Gautier E.F.: Genseric Roi Des Vandals, (Paris, 1935).
10. Ostrogorsky g.: History of the Byzantine Statem, Tr., by John Hussy, (Oxford, 1968).
11. Gibbon E.: The History of the Decline and Fall of the Roman Empire Vol. III, (N.Y, 1815).
12. Glancille Downey G.: The Later Roman Empire. (London, 1969).
13. Wolgram H.: History of the Goths, Tr, by Thomas j. Dunlap, (London, 1990).

    The Roman Empire and Germanic Peoples, Tr., by Thomas Dunlop, (London, 1997)

14. Jacquin A.M.: Historue De L'Eglise, Tom II, (Paris, 1936).
15. John Julius Norwich: Byzantium. The Early Centuries, (N.Y.1989).
16. John Moorhead: Theoderic in Ataly, (Oxford, 1992).

17. John A.H.M: The Decline of the Ancient world, (London, 1966).

18. Jaseph cope M.: The Empresses of Constantinople, (London, 1913).

19. Karl Baus and other: The Emperial Church from Constantine to the Early Middle Ages, Tr. By Anselm Biggs, vol. II, (New york, 1980).

20. Livermore H.V: The Origins of Spain and Portugal, (London, 1971).

21. LevtchenkoM.V: Byzance, (Paris, 1949).

22. Lisa Ripperton: The Baldiwin Project. (2000- 2006), www. Mainlesson. Com.

23. Brehier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.Y.1976).

24. Lynn Brehier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.y. 1976).

25. Margert Bovere M: Mediterranean Cross Currents, Tr., by Louisa Marie, (London, 1938).

26. Margaret Deanesly M.: A History of Early Medieval Europe, from 476 to 911, (London, 1974).

27. Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (N. Y. 1991).

28. Mckilliam A.E.: A chronicle of the Popes, from St. Peter to Pius X, (London, 1912).

29. Merrills A.H: Vandal, Roman and Berbers, (U.S.A., 2004).

30. Michael Grant: From Rome to Byzantium, (London, 1998).

31. Moses Hadas: A History of Rome from its Origins to 529 A.D., (New- York, 1956).

32. Paolo Verzone: the art of Europe, The Dark Ages from Theodoric to Charlemagne (N.Y., 1967).

33. Scarra C.: Chronicle of the Romans Emperors, (London, 1995).

34. Robert S. Hoyt and other : Europe in the Middle Ages, (U-S-A 1958).

35. Vasiliev A.A: History of the Byzantine Emprie, 324-1453, vol. I, (Madison, 1958).

36. W.E: Byzantine Military Unrest 47-843 (Amisterdam, 1981).

37. Treadgold w. : A concise History of the Byzantine Empire Palgrave, 2001).

    - Byzantium and Its Army 284 1081, (U.S.A, 1995).
    - A History of the Byzantine and Society (Stanford Uni, press, 1997).

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة:

١- إبراهيم أحمد العدوي (دكتور): المسلمون والجرمان، (القاهرة، ١٩٩٤).

٢- إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧).

٣- إسحق عبيد (دكتور): من آلارك إلى جستنيان، (القاهرة، ١٩٧٧).

٤- إميل لودفيغ: البحر المتوسط، ترجمة عادل زعيتر، (القاهرة، ١٩٥٢).

٥- زاهر رياض (دكتور): شمال أفريقيا في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٨١م).

٦- عزيز أحمد (دكتور): تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبي، (بيروت، ١٩٨٠م).

٧- قاسم عبده قاسم (دكتور): أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٧٩م).

دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عسر سلاطين المماليك، (القاهرة، ١٩٨٣م).

٨- هسى ج.م: العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، (القاهرة: ١٩٨٢م).

الفهرس

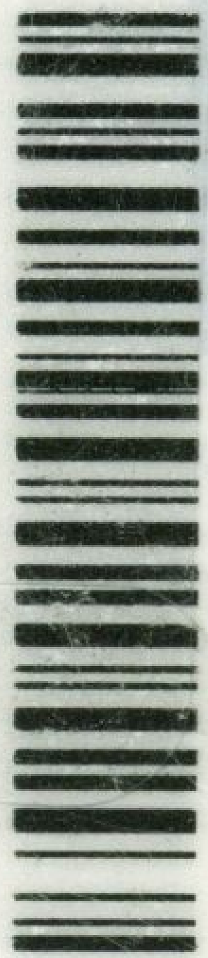
دراسات
في تاريخ أوربا في العصور الوسطى

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب يشتمل علي بعض الدراسات القيمة في تاريخ أوربا في العصور الوسطي؛ لاسيما تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في علاقتها بكل من الإمبراطورية الفارسية في الشرق، أو قبائل الهون، أو قبائل الوندال في الشمال الإفريقي، وذلك من خلال علاقتهم بروما.

وهذه الدراسات تعد إضافة جديدة في مجال دراسات العصور الوسطي، التي تفتح مجالا أمام الباحثين في هذا النوع من الدراسات التي تعد إضافة جديدة للمكتبة العربية.






I.S.B.N.978-977-276-723-6
6 222008 910516

